تربية ستمائة مليون حكيم
في شعر من الصين

د . أسعد علي

مقدمة الدراسة : ترجمة الترجمة

- ١ -

ما المقصود بهذا العنوان : ترجمة الترجمة ؟
وكيف تترجم الترجمة ؟

- ٢ -

الترجمة عملية نقل من لغة الى لغة . وهذه العملية تعرّف الأمم بثقافات بعضها . والتعارف الفكري بين الامم يولّد التعارف الحيوي ؛ وهذان التعارفان، فكراً وحياة ، يخلقان جواً من التقارب والتوحيد بين أمم الأرض فتدرك شيئاً فشيئاً مغزى القول : « كلكم لآدم وآدم من تراب » ..

الناس بنو التراب ، وعليهم أن يتآخوا فوق هذا التراب ..
الترجمة مظهر من مظاهر السعي نحو هذه الأخوّة .

وترجمة الترجمة تعني توجيه الموضوعية النقليّة والأمانة في النقل لتكون أمانة في الغاية وامانة في التقرب من تلك الغاية .. أعني أن الترجمة الأولى تجتهد في ايضاح نصوص المترجم باللغة الجديدة ، وبدقة موضوعية حيادية ..

واعني بترجمة الترجمة تفسير الترجمة الاولى تفسيراً عربياً يكشف غايات النصوص الاولى ، في لغتها الأم ، وهي ، هنا ، اللغة الصينية •• ويكشف ، كذلك ، غايات النصوص الثانية ، أعني امكان الاستفادة منها على صعيد الأمة التي ترجمت النصوص الصينية اليها ، أي العربية ••

- ٣ -

ما صلة هذا المفهوم بهذه الدراسة ؟

سميت الدراسة باسم الفصل السادس منها ، وهو : « ايمان ماوتسي تونغ وتربية ستمائة مليون حكيم » ••

واعتمدت بها على عشرين قصيدة لماوتسي تونغ ، ترجمت من الصينية الى الفرنسية وعن الفرنسية نقلت الى العربية •

واعتمدت على عدد من المصادر المنبعية ، أعني التي تكشف جذور التفكير الماوتسي •• ومن هذه المنابع ما كتبه ماوتسي تونغ نفسه (١) •• ومنها ما كتبه لينين (٢) •• ومنها ما كتبه ماركس (٣) •• ومنها ما كتب عن أفكار هؤلاء المنبثقة من النظرية الماركسية (٤) ••

ودعمت هذه المعتمدات الشرقية بمصادر غربية (٥) وعربية تساعد على المقارنة بين النصوص الصينية ونصوص من التراث العربي (٦) كما تساعد على الموازنة ، كذلك ، بين حياة الانسان المتعلقة بكل من نوعي النصوص •• فالانسان هو الغاية في النوعين •• فماذا تحمل هذه الدراسة ، التي أدعو مقدمتها : ترجمة الترجمة ، للانسان عموماً ، وللانسان في الوطن العربي خصوصاً •• ؟

- ٤ -

ان في هذه الدراسة نوعين من التجاوز :

الأول : تجاوز ما ألفناه من التحديد التقليدي للأدب المقارن •• فالمقارنة

بين أدب وأدب يجب أن تتجاوز شكليات التأثر المتبادل الى روح الحياة التي تصوغ الآداب ·· وعلى هذا فشعر ماوتسي تونغ ، أو شعر صديقه ليوياتسي ، يصلح للمقارنة مع نصوص من التراث العربي ، قديمه وحديثه ، لتأكيد الجوهري في اهتمامات كل أدب عظيم ··

ان في هذه الدراسة المقارنة نوعاً من التجاوز لشروط «الأدب المقارن» ··(٧)

الثاني : تجاوز ما الفناء من النقل الحيادي ، الذي سميته ; الترجمة ··
في هذه الدراسة نوع من تجاوز الترجمة الى ترجمة الترجمة ··

وقد تكون « مجلة الآداب الأجنبية » التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب في دمشق ·· من أطيب المحاولات في الترجمة الحديثة ··

قدمت هذه المجلة نماذج من آداب خمسة وعشرين شعباً في ثمانية من أعدادها ·· هم :

الشعب الفرنسي ، الانكليزي ، الاميركي ، السوفييتي ، الألماني ، البلغاري ، الياباني ، السويدي ، التشيلي ، النيوزيلندي ، الجنوب أفريقي ، الروماني ، التركي ، النوياني ، البولوني ، الكندي ، البرازيلي ، الهنغاري ، البلجيكي ، الايرلندي ، الفيتنامي ، اليوغسلافي ، الايطالي ، اليوناني (٨) ·

هذه النماذج التي قدمتها مجلة الآداب الأجنبية نماذج طيبة من الترجمة التي « تقربنا أكثر من ايقاع العصر الأدبي » ، كما يقول رئيس تحريرها ··(٩)

اما الدراسة التي أقدمها لمجلة الآداب الأجنبية ، فهي تتجاوز الحياد النقلي الى نوع من المقارنة والتعليل تجعلنا أقرب الى ايقاع الحياة العصرية ، في الصين وفي الوطن العربي ·· (١٠)

هذا ما عنيته بترجمة الترجمة ، أو تجاوز الترجمة الحيادية ··

– ٥ –

أما أين كتبت هذه الدراسة ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟

فان فصول هذه الدراسة تجيب على أسئلتي الثلاثة ..

فقد كتبت في شبه ملجأ من لبنان ، ابــان أحداث لبنان الأخيرة .. لجأت الى هذا النوع من الكتابة لأرفع نفسي فوق واقعها ، **فأنا شديد الاعجاب بتوحيد** الشعوب ، وفي هذه النماذج التي درستها من الشعر الصيني سيرة مسيرة نضــالية لتحقيــق **وحدة مائة شعب في الصــين** .. وهذا الاعجــاب بوحدة شعوب الصين المائة ، كما يقــول ليوياتسي (١١) ، ينقلب ، عنــدي ، **الى نوع من الطمــوح** والتمني .. **ما أبهج ذلك اليوم الذي يشرق على لبنان وعلى العالم العربي كلــه** بنور الوحدة الذي يطرد غيوم الانفصالية والانعزالية والتجزيئية والفردية ..

شعرت وأنا أعايش نصوص ماوتسي تونغ أنني أعالــج آلامي القومية .. وشعرت أن تجربة الصين يمكــن أن **تترجم الى الوطن العربي بصورة وحدة بــين فئات هذا الوطن** (١٢) ..

لذلك أترجم ترجمة شعر الرئيس ماوتسي تونغ الى طموح يتأرجح بــين الواقع والممكن والواجب : واقع الوطن العربي ، والممكن لشعب هذا الوطــن ، والواجب على قادته وطلائعه المفكرة .. (١٣)

فهل يحقق هذا النوع من الترجمة الغاية العليا للأدب الابداعي الحق ؟.

- ٦ -

ترجم نصوص الرئيس ماو عن الفرنسيــة الى العربية أديبان عربيــان . الأول هو الدكتور ممدوح حقي وترجم ثماني عشرة قصيدة منها .. والثــاني هو الدكتور علي أسبر وترجم اثنتين منها ..

وترجمت هذه الترجمة معتمداً على النصين : العربي ، والفرنسي أحياناً ؛ لأجعلها صورة حياة ممكنة لسكان الوطن العربي كما حصلت لسكان الصــين في وحدة مائة شعب .. (١٤)

وجعلت ترجمتي المقارنة هذه ، في ثمانية فصول ؛ كتبت ستة منها في لبنان •• وكتبت اثنين منها في دمشق ••

هذه الفصول هي :

١ ـ الصين في الشعر العربي وشعر من الصين •

في هذا الفصل **أربع فقر** : الصين رمز للمجد المنيع والطموح الواسع ؛ ورمز للعلو المبتكر أو رمز فضائي روحي ؛ صورة الصين في فكري وفي ثلاثة من كتبي المطبوعة (١٥) ؛ ديوان ماو باللغة العربية ، وقناعة نقدية بعد تسع سنوات ••

٢ ـ مسيرة روح الشعر بين الوحدة والحرية •

في هذا الفصل **ست فقر** : قصائد الرئيس ماوتسي تونغ وجاذبية الوحدة المتنوعة ؛ الزمان : يقف وحيداً في برد الخريف ؛ المكان : جزيرة البرتقال والرفاق في دار المعلمين ؛ تغيير الدنيا : محاولات في هونان ؛ ربيع الانسان يغالب خريف الزمان ؛ روح وحيد يسأل الأرض عن مليك عظيم ••

٣ ـ مستويات الوحدة الماوتسية •

في هذا الفصل **أربع مستويات** : مستوى **الوحيد** وفيه تجسيد لحيوية الذات •• مستوى **التوحيد** وفيه تجسيد لحيوية الشعب •• مستوى **التجديد** وفيه تجسيد لحيوية الطبيعة •• مستوى الباحث **الموحد** وفيه تجسيد لحيوية الخلاق ••

اعتمدت في ايضاح المستوى الأول على خمس قصائد من ماو ، هي : تشانغ تشا ، عش الكراكي الأصفر ، الثلج ، طرد اله الطاعون ، السباحة ••

واعتمدت في ايضاح المستوى الثاني على ستة نصوص ، اثنان منها لماو ، هما : الى ليوياتسي وجواب الى صديق •• وأربعة منها لليوياتسي ، صديق الرئيس ماو ورفيقه ، وهي : بناء الدولة وحسو الشاي • عظمة الشجاعة • حالة الروح • الوحدة الكبرى ••

واعتمدت في إيضـاح المستوى الثالث عـلى تحليل قصيدة « السباحـة » ، للرئيس ماو ؛ فأظهرت فيها صور السباحة الأربع :

شبابيّة في النهر ، تأملية في القصر ، عمرانية في الجسر ، تجددية في العصر ٠٠

واعتمدت في ايضاح المستوى الرابع على ثلاثة نصوص للرئيس ماو ، هي : تشانغ تشا ، طرد اله الطاعون ، كوين لوين ٠٠

ختمت هذا الفصل بما يشبه النتيجة :

أ تعتبـر الفصـول الثلاثة السـابقة : (الصين ٠٠ المسـيرة ٠٠ المستويات) باباً أول يسمى : **باب روح الشعر ٠٠ وروح الشعر الماوتسي ٠٠**

ب ـ تعتبر مستويات الوحدة الماوتسية **مقاييس لنقد الأدب** يمكن ، فهم الموضوعات النقدية على ضوئها ، في النصوص الصينية ذاتها ٠٠ وفي نصوص الأدب الكوني كله ٠٠ أعني ماذا يعطي النص للحياة من : حيوية الذات ، وحيوية الشعب ، وحيوية الطبيعة ، وحيوية الخلاق ٠٠

جـ ـ وعدت بالباب الثـاني ، وهو : **باب الشعـر وافق الفـن ٠٠ أو : الشعر والنقد** ٠٠ فماذا في الباب الثاني ؟

ـ ٧ ـ

٤ ـ الفصل الرابع : قوس قزح عند الرئيس الصيني وابن الرومي ٠

هذا الفصل نوع من « الأدب المقارن » بصورة من الصور ؛ **فيه خمسة مباحث هي :** آراء المترجم الدكتور حقي هي سبب اختيار النص ؛ **مناقشة المترجم في ملاحظة** واحدة من ملاحظاته ، تتعلق بالأسماء والتواريخ والألوان في شعر ماوتسي تونغ وفي الشعر العربي ؛ قراءة نص ماو « تابوتي » ، الذي يصف فيه قوس قزح ، على ضـوء روح الشعر في مستويات الوحدة الماوتسية ، ثـم اكتشاف مناظر القصـيدة السماويـة والفضائية ؛ والأرضية ، والجمالية ؛ ملاحظـة التركيب الجدلي في

جوهر القصيدة ؛ والاشارة الى قضايا النقد الكبـرى فيها لولا مطاردة صـديقي والخوف من هجاء ابن الرومي ••

والمبحث الرابع يدور على نص ابن الرومي في وصف قوس قزح ، واظهار مناظر القصيدة : الساقي الصبيح ، كاسـات العقار كأنجم ، منظر الجـو والخود الملونة الغلائل ••

والمبحث الخامس يخلص الى المقارنة والحكم عـلى النصين : وحدتهمـا •• طاقتهما •• المطلق والنسبي فيهما ••

الفصل الخامس : المعادل الموضوعي لجوهر الشعر في قصيدة صينية •

في هذا الفصل خمس فقر ، أوضحت في أولاها معنى المعادل الموضوعي عند (ت•س• اليوت) وذكرت بمعنى روح الشعر كمقياس نقدي ••

وأوضحت في الفقرة الثانية ظروف القصيدة النفسية والتاريخية ••

وفي الثالثة أثبت نص القصيدة ••

وفي الرابعة أوضحت ركائز جوهر الشعر والمعادل الموضوعي لعاطفة الشاعر نحو كل من تلك الركائز •• فمعـادل العاطفة الثـورية : الصبح •• ومعـادل العاطفة الوطنية : المنظر الرائع •• ومعادل العـاطفة القيادية : التجـوال •• ومعادل العاطفة الرفيقية : الجبال والقمم والأودية والسهول ••

أما الخامسة فنوع من التنبه الى **ظاهرة فريدة** تعلم القادة وتنفـع الشعوب في عصرنا ، وهي ظاهرة **تمجيد القائد للشعب** في كل مناسبة ••

هذان الفصلان يشكلان **الباب الثاني : الشعر ونقد الشعر ••**

فماذا في الباب الثالث ؟

- ٨ -

٦ ـ اعتبرت **الفصل السادس بابا مستقلا** ؛ فهو يحمل عنوان الدراسة : **« ايمان ماوتسي تونغ وتربية ستمائة مليون حكيم » ••**

العنوان مستنبط من قصيدتين : تشاتــغ تشا ، وطرد اله الطــاعون ·· والقصيدة الثانية نظمت سنة ١٩٥٨ ·· ويبدو أن عدد سكان الصين كان في ذلك الحين (٠٠٠ ٠٠٠ ٦٠٠) ستمائة مليون ··

في هذا الباب **خمسة مباحث أساسية** ، اعتمدت فيها على نصوص مختلفة من شعر ماوتسي تونغ ونثره ·· ومن التراث العربي ·· وهذه المباحث هي :

آ ــ أصول الصمود الجبار : النظام · الوحدة · الارادة · القوة ··

ب ــ المسؤولية ترعى الانسان في الزمان والمكان ··

جـ ــ مسؤولية السماء والايمان بالقدرة الانسانية ··

د ــ روح المسؤولية في التراث العربي الأصيل ··

هـ ــ روح المسؤولية في التراث الصيني الحديث ··

هذا الباب **نوع من « الفكر المقارن »** بصورة تجاوزت بها الفهم الشكلي عندنا ، لكل من الدين والنظرية الماركسية ·· حاولت التوصل الى روح المسؤولية عن سعادة الانسان في كلتا النظريتين : نظريةالدين والنظرية الماركسية ·· وكانت النتيجة مثيرة ومنبهة الى ضرورة التعمق في فهم الفكر كفكر ، ثم في فهمه عبر الممــارسة ·

٧ ــ ٨ ــ في الفصلين الأخيرين عالجت القصيدتين الاخيرتين للرئيس ماو ، اللتين نشرتا مجدداً ·· وهما : العودة الى جبل تسنكانغ · وحوار عصافير ··

وهذان الفصلان يمثلان **الباب الرابع** والأخير في الدراسة ، وموضوعــه : **الشعر الثوري من الواقــع الى المثال** ·· أو من الواقعية الثورية الى الرومنطيقية الثوريــة ··

ــ ١٠ ــ

ان كل فصل من فصول هذه الدراسة يقدم للانسان **أصلاً من أصول الايمان بقدرة الانسان على تجاوز الصعاب مهما كانت عصيبة ··**

لكن هذه الأصول المترجمة بالعبارة تحتاج ترجمة أخرى تنقلها من العبارة الى ابداع الحياة ابداعاً مستمراً ••

على الصعيد العربي تتحقق ترجمة الترجمة هذه بتحقيق ما حققه شاعر الصين العظيم من وقائع الحياة لشعبه ••

لقد حقق لشعبه وحدة الشعور الفعلي بالأخوة الوطنية •• كما حقق لهم وحدة الحياة العملية في مستويات الوحدة الماوتسية : الوحيد ، التوحيد ، التجديد ، الموحد ••

انني أرفع « **هذه الدراسة** » الى أبناء أمتي : قادة ومفكرين وشعباً •• لعل واحداً منهم يستطيع توحيدهم فنكون أمة واحدة على امتداد وطن عربي واحد ••

ان وحدة أمتنا بهذه المستويات تجعلها واحدة من أسم الأرض العظمى ، وتجعل أبناءها أكثر اعتزازاً بالانتماء اليها ••

اطلت مقدمتي لأوضح التجاوزين في دراستي •• ولأوضح الغاية الأساسية من الترجمة وهي ترجمتها نظرياً وعملياً ، كما ترجم زعيم الصين وشعبه **الماركسية** الى الصين ، نظرية وممارسة ••

هذه مقدمة « التجاوز » العربية الى الآداب الأجنبية ••

فالى الصين في الشعر العربي ••

والى شعر من الصين ••

أسعد علي

دمشق : ١٩٧٦/٥/٢٥

مصادر المقدّمة

١ ـ من آثار الرئيس ماو التي اعتمدت عليها :

أ ـ المؤلفات المختارة ، م ١ ؛ ترجمة فؤاد أيوب • دمشق : دار دمشق ، ط ٢ ، ١٩٦٥ م •

ب ـ أربع مقالات فلسفية ؛ بكين : دار النشر باللغات الأجنبية ، ط ١ ، ١٩٦٨ م •

جـ ـ مقتطفات من أقوال الرئيس ماوتسي تونغ ؛ بكين : دار النشر باللغات الأجنبية ، ١٩٦٧ م •

د ـ شمس من الصين ، ترجمة ممدوح حقي • دمشق دار اليقظة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٦ م •

اقواله في الحواشي التي وضعها الأستاذ تشيوتشين فو ؛ ونقلها الى الفرنسية الأستاذ هوجو ••

هـ ـ قصيدتان للرئيس ماو : العودة الى جبل تسنكانغ • حوار عصافير نشرتهما جريدة « لوموند » الفرنسية ١٩٧٦/١/٦ • وترجمهما الى العربية علي اسبر ، ونشرتهما جريدة « الثورة » السورية ١٩٧٦/١/٣١ •

٢ ـ من آثار لينين المعتمدة في هذه الدراسة لاستيضاح أقوال ماو :

آ ـ الدولة والثورة • موسكو : دار التقدم ، ١٩٧٠ م •

ب ـ المادية والتجريبية والنقدية •• المجلد ١٤ ، ١٩٠٨ • مكتب الدراسات في رئاسة الدولة ، دمشق •

جـ ـ عن الشبيبة • منشورات وكالة أنباء نوفوستي •

٣ ـ لاحظت مختارات : ماركس ، أنجلس ••

٤ ـ من هذه المؤلفات :

أ ـ الماركسية عرض وتحليل · جمع وتنقيح سليمان الخش وأنطون مقدسي · دمشق ، ١٩٦٨ م ·

ب ـ ماركس الحقيقي · لارست فيشر وفرانسد مارك · لخليل سحيم · دار ابن خلدون ، ط ١ ، ١٩٧٣ ·

ج ـ ماركس و لخلق · حلال الجرجس · دار الصراع الفكري ، ١٩٥٧ م ·

د ـ بعد ثلاثين عاماً ... الصين الجديدة · لرويي غيان · دمشق مكتب الدراسات في رئاسة الدولة ·

هـ ـ تجربة الشيوعية في الصين محمود الذكرة · دار الكفاح ودار الكاتب العربي ، ط ١ ، ١٩٦٤ م ·

٥ ـ من هذا النوع ، ت · س · اليوت ، الشاعر الناقد ·· ف · ا · ماثيسن · ترجمة احسان عباس ، بيروت : المكتبة العصرية ، ط ١ ، ١٩٦٥ م ·

٦ ـ تلاحظ في الحواشي ·

٧ ـ من هذه الكتب التي تلاحظ بها تحديدات الأدب المقارن

أ ـ في الأدب المقارن ، دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي للدكتور محمد كمالي · بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٢ ·

ب ـ الأدب المقارن ، للدكتور محمد غنيمي هلال · القاهرة مكتبة الانجلو مصرية ، ط ١ ، ١٩٦١ م ·

٨ ـ مجلة الآداب الأجنبية · السنة الثانية ، عدد ٤ ؛ ص ٢ ·

٩ ـ نفسها ، ص ٤ ·

١٠ـ١٢ـ١٣ـ١٤ تمس في الفصل السادس من هذه الدراسة ··

١١ ـ شعر من الصين ، ص : ٧٢ ·

١٥ ـ لاحظ الفصل الأول ، الصين في الشعر العربي ··

الباب الأول

روح الشعر وروح الشعر الماوتسي

الفصل الأول

الصين في الشعر العربي وشعر من الصين

الفصل الثاني

مسيرة روح الشعر بين الوحدة والحرية

الفصل الثالث

مستويات الوحدة الماوتسية

١ ـ الوحيد .. حيوية الذات

٢ ـ التوحيد .. حيوية الشعب

٣ ـ التجديد .. حيوية الطبيعة

٤ ـ الموحد .. حيوية الخلاق

الفصل الاول

الصين في الشعر العربي
وشعر من الصين

ـ ١ ـ

الصين ، في الشعر العربي ، رمز للبعد المنيع والطموح الواسع والعلو الممكن. نجد ما يفيد هذا الحكم عند بعض شعراء العرب ومفكريهم . فأبو تمام الطائي ، شاعرٌ من العصر العباسي الأول ، يمدح قائد المعتصم العسكري في مطاردته لأحد الثائرين على الدولة يومذاك ، فيقول :

ورجّا بلادَ الرُّومِ فاستعصى بـه
أجلٌ أصمُّ عن النجـاء حَرونُ

هيهاتَ لـم يَعْلَمْ بأنّكَ لو ثوَى
«بالصّين» لم تَبْعُدْ عليك «الصّين» (١)

فالصين ، في خاطر أبي تمام ، بَعيدٌ منيعٌ : اذا لجأ اليه الفارُّ لا يدركه أحد ، ولا يستطيع اقتحام ملجئه الصيني مهما كان شجاعاً وصبوراً ؛ لكن «الأفشين» ممدوح الشاعر المقصود في هذه القصيدة لا تبعد عليه الصين اذا أراد أمراً ؛ وبذلك لا أمل لمن يفر منه بالنجاة .

والصين رمز للطموح الواسع ؛ يعبر عن ذلك الشاعر نفسه ، وهو يمدح المعتصم وينصحه أن يولي الخلافة من بعده ابنه الواثق ، الذي صار خليفة بعد وفاة أبيه ، فيقول .

١ ـ ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي ، قافية النون .

فاشْدُدْ بهارونَ الخلافةَ أنّه
سكنٌ لوحشتها ودارُ قرارِ...

ليسيرَ في الآفاقِ سيرةَ رأفةٍ
ويَسوسُها بسكينةٍ ووقارِ

« فالصينُ » منظومٌ بأندلسٍ الى
حيطانِ روميةٍ فملكِ ذِمارِ(١)

فالطموح يتسع بخيال الشاعر ليرى دولة عالمية تضم الشرق والغرب والشمال والجنوب ؛ ركنها الشرقي الصين ، وركنها الغربي الأندلس ، وركنها الجنوبي اليمن أي بلاد ذمار ، وركنها الرابع رومية ..

إن الطموح الواسع لدولة واسعة يعمها السلام والنظام كان يُعبَّرُ عنه بالصين ، مفردة أو مع سواها من بلدان المغرب أو بلدان المشرق ؛ فعندما صار الواثق خليفة مدحه أبو تمام بذكر الصين ، اتساعاً ، فقال :

يا ابنَ الخلائفِ انَّ برْدَكَ مِلؤُه
كرَمٌ يَلُوبُ المزْنُ مِنْه ولِينُ

نورٌ مِنَ الماضي عليكَ كأنّه
نورٌ عليهِ مِنَ النبيِّ مُبينُ

قومٌ غدا الميراثُ مضروبا لهمْ
سورٌ ، عليه مِنَ القرآنِ حَصينُ

وادٍ مِنَ السلطانِ مُحْمِيَ لم يَكُنْ
ليَضيمَ فيهِ الملكَ الا الدِّينُ

١ ــ المصدر نفسه ، قافية الراء .

في دولــــةٍ بيضـــاءَ « هــارونيّةٍ »
مُتكنفاهــا النّصـــرُ والتّمكــينُ

قـــد أصبح الاسـلام في سلطانها
والهندُ بعضُ ثغورها و « الصّين » (١)

ان الصين ترمز الى الطموح الواسع ، على صعيد القوة الدنيوية ، وعلى صعيد القوة الدينية ، فدولة الواثق الرسمية من جهة ، والدينية الموروثة عن نبي الاسلام من جهة ثانية ، تطمح لبناء ذاتها المتكامل بالصين ؛ لأن الصين رمز واسع الدلالة في خواطر الشعراء العرب •

- ٢ -

ومن سمة «الصين» الرمزية ما جعل بعضهم يجعل الصين رمزاً فضائياً وروحياً:

فالمكزون السنجاري يتحدث في أواخر العصر العباسي عن الصعود الى القمر ، وعن اكتشاف آفاق أخرى يطير اليها عن « كور القمر » ، ويغري من يحب السمو والاكتشاف ان يرتقي على « أرجوحته » ليصبح في « بيضاء الصين مستكرأ» ، فيقول:

رَقيت في الأسـبابِ حتى صـرتُ مِنْ
فوقِ السحابِ طرتُ عن كونِ القـمَرْ

وجلـتُ بالآفـــاقِ ، آفـــاق السّمــا
وَاتِ العُلى ، مراجعاً فيهــا النّظـرْ

---

١ ـ المصدر نفسه ، قافية النون •

يَظُـنُّ بي الجـامِدُ أنّي جامـدٌ
ولـو رأى رأى السَّحابَ في المَمَـرّْ

تَطْـرِبُ سمعي نغمـاتٌ مُسْتَمِعي
وناظري يَرْتَعُ في الرَّوضِ النَّضِـرْ ..

فَأَمَلُ عـلى « أرجوحتـي » مكتمـلاً
تُصبِحُ في«بَيْضاءَ صيني» مُبْتَكِر..(١)

ان « بيضاء الصين » رمز للغاية العليا التي يرجوها الرائد الفضائي الذي يتخذ « أسباب الرقي » وسيلة تحمله « سيارا » يطير عن « كوب القمر » الى « آفاق السماوات العلى » ليراجع فيها النظر حتى يدركها ، جلالا وجمالا ؛ ان الذي يبلغ هذا المستوى من الارتقاء المادي والادراك العقلي مبشر بالوصول الى بلاد الغاية القصوى ، بلاد البكور والابتكار ؛ انها « بيضاء الصين » .

وربما بدا لنقاد الأدب أن « بيضاء الصين » هـذه رمز للمعرفـة العليـا المتجددة ؛ وربما رأى فلاسفة الروح به رمزاً للروح الكلية التي تسمو بها روح العبد المترقي « بالمقامات والأحوال » ، كما يقول المتصوفون ..

ولا أرى مانعاً من قبول هذين التفسيرين أو سواهما ؛ لأن الغاية من هـذا البحث أن نشير الى منزلة الصين العليا في نفوس شعراء العرب ومفكريهم ؛ فالصين منذ القديم ، رمز للبعيد الممتنع ، وللطموح الواسع ، وللعلو المبتكر . إن الصين كلمة شعرية ، توحي للانسان العربي ما تمنيه اليقظة المحركة المغرية بالنشاط في سبيل الارتقاء وتحقيق الذات ، مادياً وروحياً .

١ ـ معرفة الله والمكزون السنجاري . لأسعد علي . بيروت . دار الرائد العربي . ١٩٧٢ ط ١ /مجلد ٢/ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

- ٣ -

فكرت بهذه الايحاءات ، عندما درست نصوص أبي تمام لطلاب الأدب العربي في « جامعة بيروت العربية » (١) ؛ كما فكرت بها عندما كتبت رسالتي عن المكزون السنجاري للحصول على درجة الدكتوراة في الفلسفة من « الجامعة اليسوعية »(٢) ؛ وشغلتني « طاو لاوتسه » عندما كنت « في المستحب العاني ومعرفاته » ، للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب من « جامعة طهران »(٣) .

ظلت الصين في نفسي ذلك المدلول الرمزي الواسع لما ذكرته من معان تداولها « شعرائي » ؛ وحلمت مراراً بعالم الابتكار الذي سماه المكزون « بيضاء الصين » .

- ٤ -

ولما صدر ، من قبل ، ديوان ماوتسي تونغ في الترجمة العربية ، بعنوان : «شعر من الصين» (٤)، أطلت في قصائده التأمل لعلي أكتشف فيها جديداً من «بيضاء الصين» التي رسمها الشعر العربي في خيالي أو أوحتها الكتب العربية في نفسي ؛ فماذا وجدت في ديوان ماوتسي الشاعر الصيني الزعيم ؟ هل للصين في ديوانه الرمزية العربية ذاتها أم أن « الصين الماوية » صين الحقيقة الصريحة ؟

كانت هذه التأملات لي وحدي في البداية ، يعني من سنة ١٩٦٦ ، ثم أخذت

١ ـ سنة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ . وتقدم ذكر شيء من تلك النصوص ، ونشرت دراستي لنصوص أبي تمام بعنوان : الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام بيروت : دار النعمان ، ط ١ ، ١٩٧ دار الكتاب الثاني ط ٢ ، ١٩٧٢ .

٢ ـ سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢ : وتقدم ذكر الصين في شعر المكزون .

٣ ـ نوقشت الدرسة في طهران ١٩٦٧/١٠/٥ وطبعت في بيروت دار النعمان ، لاحظ المجلد الاول ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ / طريق من الصين .

٤ ـ طبع في دمشق دار اليقظة العربية، ط٣ ،ترجمة الدكتور ممدوح حقي عن الفرنسية ،١٩٦٦م.

بالتفتح منذ تسع سنوات حتى صارت لا ترضى بصدري وفكري منزلا لها ، وأخذت تحاورني لتنتقل الى صدر الورق ؛ **والأفكار مثل الشعوب تتحرر اذا الحّت في طلب الحرية** ؛ وها أن أخضع لتأملاتي فأطلقها بعد عناد تسع سنوات ؛ ذلك العناد الذي من أسبابه عدم معرفة اللغة الصينية التي كنت أمني نفسي بتعلمها عاما بعد عام ؛ لأقرأ هذا الشعر بلغته دون وساطة الترجمة ؛ اذ هناك زعم يقول : « **ان الشعر لا يترجم** ، وروعته في موسيقى لغته ، فاذا ترجم فقد عنصره الجوهري ، الموسيقى ..(١) .

ربما يكون في هذه المقالة بعض الصحة ؛ لكنني مع الأيام ، ومع اختبار النصوص بتجارب نقدية مختلفة ، وصلت الى قناعات منحتها الممارسة ؛ من هذه القناعات : أن **الشعر روح اولا ، وان اللغة تجسد ذلك الروح** ، أو تلبسه من اثواب الصور ما يجعل ظهوره ممكناً ؛ **وكما أن ملكة الجمال لا يخفى جمالها على متذوق الجمال ، كيفما كانت صورة ملابسها** فان روح الشعر لا تخفى على متذوقيه العشاق ، **كيفما كانت صورته اللغوية** (٢) » ..

بهذه **القناعة النقدية الجديدة** ، أقدمت على قراءة شعر ماوتسي تونغ أمام الناس الذين يعرفون تحرجي في الحكم النقدي وزهدي بالكلام ما رأيت الصمت أنفع .

ان التحدث عن « روح الشعر » في ديوان « ماو » من الأحاديث النافعة لبشر عصرنا ، لأن « روح الشعر الذي روح وحيد ووحدته تجديد وتوحيد » . كيف ؟

---

١ ــ لاحظ مقدمة المترجم ص ١٥ .

٢ ــ هذا الرأي مستقى من المطلقات النظرية التي طبقتها في ترجمة الشعر العربي القديم الى وجهة عربية حديثة ، ممثلتها « هندسة القصيدة وفلسفتها » .

الفصل الثاني

مسيرة روح الشعر

بين

الوحدة والحرية

- ١ -

في الترجمة العربية لديوان ماوتسي تونغ ثماني عشرة قصيدة تؤرخ لحيوية « الروح الوحيد » منذ كان ماو طالباً « في مدرسة دار المعلمين رقم ١ ب » هونان » في « تشانغ تشا » ، وذلك مابين (١٩١٣ ـ ١٩١٨)(١) ، وحتى سنة (١٩٥٨) ، السنة التي تخلصت بها مقاطعة « يوكيانغ » نهائياً من مرض البلهارسيا (٢) .

ان قصائد ماو تاريخ لانسان الصين بحوالي نصف قرن من الزمان ، لكنه التأريخ « بروح الشعر » (٣) ؛ وما أدعي انني أتتبع تاريخ الصين بهذه السنين الطويلة ، بل أعترف أنني لن أتتبع الا « روح الشعر » الذي يحرك الانسان ليصنع تاريخه المتجدد الحديث(٤) : فكيف يتحرك هذا الروح الوحيد في قصائد ماو الثماني عشرة ؟

ان قراءة الديوان ، عدة مرات على التوالي ، كأنه قصيدة واحدة ، تحت القارىء بجاذبية الوحدة المتنوعة !

فالوحدة هي سر التنوع في القصائد جميعها ؛ وأعني بهذه الوحدة « روح

---

١ ـ شعر من الصين : دمشق ، دار اليقظة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٦ ؛ ص ٢٥ .
٢ ـ نفسه ، ص ٩١ .
٣ ـ يلاحظ كتاب « هنري بيير » « المؤرخون وروح الشعر » ، ترجمه الى العربية الدكتور توفيق اسكندر .. القاهرة ، ط فرانكلين ، ١٩٦١ م .
٤ ـ يلاحظ كتاب « محمود الدرة » « تجربة الشيوعية في الصين مشاهدة ودراسة » . بيروت دار الكفاح ..

الشعر » الذي حرك ماو ليحرر ملايين الصين من عبودية التمزق والانقسام ؛ لكن « المسيرة طويلة » (١) بين الوحدة والحرية ؛ ويمكن تبين الطريق التي قطعتهاروح الشعر الوحيد » بتتبع مظاهرها في قصائد ماو ، بدءاً من الخريف في القصيدة الأولى « تشانغ تشا » ، وتوصلا الى الربيع في القصيدة الأخيرة « طرد اله الطاعون » .

- ٢ -

يفتتح ماو قصيدته الأولى « تشانغ تشا(٢) » بقوله :

« وقفتُ في بردِ الخريفِ وحيداً
بقلب سيانكيانغ
المصعّدِ نحو الشمالِ
والناهد على راسِ جزيرة أورانج »

ان ماو يقف بزمان ومكان ؛ يحدد زمان وقفته « في برد الخريف » ، ولماذا الخريف وليس غيره من الفصول ؟

لأن الخريف فصل « السجية والهوى » ، في رأي الشاعر ، « فكل مخلوق يساق – في الخريف – على سجيته ، ويعطي نفسه هواها » ؛

ان الخريف ، عادة ، فصل اصفرار أوراق الأشجار وتناثرها ، انه فصل الحزن ، كما كان ينظر اليه قادة الصين وشعراؤها القدامى ؛ وماو الشاعر القائد يذكر ذلك في « بتياي هو » (٣) فيقول :

جاءَ « وي وو » ، منذ اكثر من الفِ عام
يفرقعُ سوطه في يده
وحطَّ على شرقي « كيه شي »
كما ذكر في شعره
انَّ ريح الخريفِ الحزينة
ما زالتْ حتى اليوم

١ – شعر من الصين ، ص ٥٢ .
٢ – شعر من الصين ، ص ٢٣ – ٢٦ .
٣ – نفسه ، ص ٧٤ – ٧٦ .

تقومُ بدورِها كالمعتاد
أمّا الدنيا ؛
فهي التي تغيّرت

فرمان الخريف يجيء كعادته الى « بتياي هو » ، المصيف الساحلي والمسبح المشهور ، غربي « تسين هو تغ تو » في « هوبي » ؛ والى سواه من الأمكنة في بلاد الصين ويذكر الامبراطور « وي وو » (١٥٥ ــ ٢٢٠ ق٠م) ، الذي أسس مملكة « وي » أنه كان يمر بالرأس الصخري الداخل في البحر قرب « بتياي هو » كلما ذهب الى قتال تتر « ووهوان » ، كما يذكر ملاحظته لزمن الخريف في قصيدته « نظرة على البحر اللازوردي » ، فيقول :

في الشرقِ ؛
أحطُّ على « كيه شي » ...
ريحُ الخريفِ الحزينة
تفور بها أمواجٌ عظيمة ..(١)

ويمر الزمان ، ويجيء ماوتسي تونغ ، فيلاحظ الخريف كما وصفه الامبراطور القديم ، ويلاحظ الخريف كما هو في زمنه بعد أكثر من ألف عام ؛ ان الزمن لم يتغير ، ولا تزال « ريح الخريف الحزينة تقوم بدورها كالمعتاد » ، فتنثر أوراق الأشجار الخضر ، وتهاجم الطيوروتهجرها ، و « تفور بها أمواج عظيمة » ؛ لكن الذي تغير من أيام الامبراطور « وي‌وو » الى أيام الرئيس « ماوتسي تونغ » ، هو « الدنيا » ٠ ما هذه الدنيا التي تغيرت رغم ثبات الزمان ، ورغم « ريح الخريف الحزينة » ؟

ماوتسي تونغ « يقف في برد الخريف وحيداً » ؛ ليرينا التغير في الدنيا ؛ ان المكان هو مسرح التغيرات ، فالخريف هو هو ، يجيء في كل زمان بريحه الحزينة ، فتهب على « بتياي هو » ، وتهب على « تشانغ تشا » ، وتهب على جزيرة البرتقال

١ ــ شعر من الصين ، ص ٧٦ ٠

« أورانج » ؛ وجزيرة الأورانج تقع في وسط « سياكيانغ » شرقي «تشانغشا» وتسمى أحياناً « شويلوتشيو » ؛

وهذه الجزيرة هي المكان الذي حدده الشعر لوقفته في زمن الخريف ؛ لأنه كثيراً ما كان يزورها مع أصدقائه الطلاب ، للتمتع بمناظرها الخلابة وكأنها غانية تعرت لتستحم في غدير ؛ كان ذلك في زمن الدراسة عندما كان « رفاقه في دار المعلمين » فما هي صفة ذلك الزمان . وهل تغير المكان من حين الدراسة الى حين نظم القصيدة ؟

ان ماو يذكر أيام الدراسة والتنزه مع رفاقه في ذلك المكان ، وكيف كانوا يحاولون تغيير الدنيا ، فيقول :

هنا أمضيت أياماً لذة
مشتها في سالف الزمن الرّغيد
مع رفاقي الكثر
اذ كنّا طلاب علمٍ في زهرة الصبا الفوّاحة
تتفجّرُ حيويّةً ، بكلّ ما فينا من قوة وتفكير
كنّا طلاّبـاً ؛
نضجُ بالمرح ، ونغلو من الغلواء
ونشير بأصابعنا نحو حقولنا وشطآننا
فتتعالى صرخاتنا : « بالتعييش » .
وتحيّاتنا « بالمرحى »
مرحبةً بالعمل والجهد ..
ثمّ نزدري سادتنا
فلا نقيمُ لهم وزناً ، الا كما يقام للغبار والهباء !!
هل تذكرون ؟!
كيف كنّا نتخبّطُ في قلبِ التيّار
ونكافحُ الأمواجَ
لنستنقذَ المركب
ونقتحمَ اللجة . ؟! (١)

---

١ ـ شعر من الصين ، ص ٢٤ .

ان ماو كان يطلب العلم في ذلك الزمان ما بين (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، في دار المعلمين رقم (١) بهونان في تشانغ تشا • ذلك هو الزمن الرغيد ، زمن طلب العلم ، زمن الصبا المتفتح بالآمال والأعمال ، ففيه « أسس ماوتسي تونغ عام ١٩١٧ جمعية « سين مين » ثم أعلن برنامجها في ١٨ نيسان من العام التالي ؛ وكان معه من أصدقائه « تساي هوشين » ، وهوشو هينغ وتشه تشن سع ، وتشانغ كوين تي ، ولوهسيوتيسان ••• وغيرهم ، وكان من مبادئها التي أعلنها هو نفسه « أن على كل فرد منهم أن يستهلك أمراً عظيماً في حياته ، يقدم به لشعبه أكبر خدمة ممكنة » ؛ وقد أصبح عدد أعضاء هذه الجمعية يوم حركة ٤ مايس ١٩١٩ نحو ثمانين عضواً ••

ان زهرة الصبا التي تفوح بمثل هذه الأهداف تنشر جواً جديداً في المكان ؛ ولم يكن الجو الذي حققه الشباب ، أو سعوا اليه ليوجد الا بكثير من « القوة والتفكير » ؛ قوة المادة وقوة العقل ، وهاتان القوتان تميزان بين الخير والشر فترحبان بالخير الذي « يخدم الشعب أكبر خدمة ممكنة » وتطيحان بالشر الذي يعرقل مسيرة هذا الخير الشعبي •

والشاعر يشير الى موقفه ومواقف رفاقه من أعمال الحكام في ذلك الزمان ؛ فقد كانوا يؤيدون « الأعمال الشريفة ، دائماً ، بكلمة « مرحى » أو بصيحة « يعيش » ؛ كما كانوا يزدرون اساءة أولئك الحكام للشعب •

ويمكن رفع الستار عن جانب من تلك الأعمال التي كان يقوم بها الحكام في الفترة التي تشير اليها القصيدة ؛ فعندما كان « ماو » طالباً في مدرسة المعلمين ، كانت المدرسة بل شعب « هونان » نفسه ، عرضة لمعاملة قاسية يمارسها عسكريو « بيانغ » ؛ ولقد وضعت « هونان تحت النير العسكري ، اذ ذاك ، وتوالى عليها ثلاثة من غلاظهم القساة الأجلاف هم :

١ ـ « تانغ هيسانغ مينغ » أرسله « يوان تشيكي » عام ١٩١٣ •
٢ ـ « فوليانغ تسوو » أرسله « توان كي جوي » عام ١٩١٦ •
٣ ـ تشانغ كينغ ياو » أرسله « توان كي جوي » عام ١٩١٨ •

كان هؤلاء السفاحون ، يذبحون الشعب ويعطلون التعليم ٠٠ فيقابلهم ماوتسي تونغ ورفاقه بالازدراء والمعارضة ؛ ففي (ايلول ١٩١٥) كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق للاحتفال باعتلاء « يوان تشي كاي » العرش ؛ فقام حاكم « هونان » المسمى « تانغ هسيانغ مينغ » بحركة عنيفة بطش بها بالماوئين وأخمد كل مقاومة ضد « يوان » ٠٠

فما كان من « ماوتسي تونغ » الا أن نشر يومذاك « كتيباً » ، حمل فيه على أهداف « يوان » الامبريالية ، فاستقبله الشعب بحماسة عظيمة ٠ وقامت – على أثر ذلك – مظاهرات عنيفة في « هونان » لاسقاط هذا الحاكم العسكري» ٠

– ٤ –

هذا **موقف من مواقف ماو ورفاقه لتغيير الدنيا في « هونان » ؛ انه يذكر** رفاقه بأيام الدراسة ، وكيف كانوا يشيرون بأصابعهم نحو « الحقول والشطآن » ليدفعوا عنها أحزان الزمان التي تحملها « ريح الخريف الحزينة » ما دام الحكام « يذبحون الشعب ويعطلون التعليم » ٠

ان **تغيير الدنيا يبدأ من هنا ، من تغيير علاقة الحاكم بشعبه ؛** فالخريف فصل الأحزان في ذلك الزمان ؛ لذلك ، فيما أرى ، أختاره الشاعر زمناً لوقفته في المكان ، **ليظهر** كيف يكون التغيير ؛ فخريف « هونان » ، وجزيرة البرتقال ، وبتياي هو ، زمن حزين ؛ لأن الحكام العسكريين ينزلون الشر بالشعب ويمنعون عنه الخير ؛ وماوتسي تونغ يقف في قلب « سيانكيانغ » أيام الخريف مؤكداً للامبراطور القديم وللعسكريين المحدثين ان **القيمة تكمن في الانسان الذي يغير الدنيا** لا في الزمان الذي يجيء بفصوله كالمعتاد ؛ ان الانسان هو الذي يقف في الزمان متحدياً وفي قلب المكان مغيراً ٠

– ٥ –

وقف ماو موقفه يواجه « برد الخريف » في مكان معين من قلب سيانكيانغ ؛ ذلك المكان الذي اختاره مكان « طلب العلم » مع « رفاق كثر » كلهم شباب

يتفجرون . « حيوية وقوة وتفكيراً » وتطلعاً الى « العمل والجهد » ليحصبوا « حقول الصين وشطآنهـا » .

ان المفارقة في موقف ماو تظهر السر في قدرة الانسان على التغيير ؛ فالشاعـر اختار زمنين ، الأول من الطبيعة وهو زمن الخريف وبالأخص « البارد » منه ، بكل ما يعنيه من أحزان رياحه وموت الخضرة والأوراق فيه .. والزمن الثاني اختاره من الانسان ؛ انه زمن الصبا ، زمن الحيوية المتفجرة .

ومن الطبيعي أن يتغلب « ربيع الشباب » على « خريف الطبيعة » ؛ لأن الانسان هو الذي يوقد الزمان ويجعل له حياة من التفكير والقوة والعمل ؛ كما يقـول الشاعر العربي ، أبو تمـام ، في وصف « الانسـان المنقـذ » ، الـذي يـرجوه لتغيير الدنيـا :

مُتوقِّدُ منه الزمانُ .. وربمـا
كـانَ الزمـانُ بآخرينَ بليـداً (١)

فالزمان بارد كبرد الخريف ، ولكن الانسان هـو الذي يوهجه بحيويته ، فيمنح رياحه الحزينة معاني جديدة تحولها الى مناخ الفرح .

ان ماوتسي تونغ يواجه « برد الخريف وحيداً » ؛ فهل في كلمة « وحيداً » ما يعني الانفراد . بالنفس الذي يشعر « بالانعزال والوحدة والفراغ » ؟ أم هو « وحيد » بمعنى آخر ؟

- ٦ -

قلت من البداية : « ان روح الشعر الماوي روح وحيد ، ووحدته تجديد وتوحيـد » ..

وهذا القول دعوى تحتـاج مؤيداتها من قصـائد الشاعر في الديـوان ، موضوع الدراسة .

١ ـ ديوان أبي تمام ، شرح الخياط/ص ٦٢ .

ان الذي يواجه « برد الخريف » ، ويعترف أن اريج الحريفية الحزينة لا تزال تقوم بدورها كالمعتاد ويؤكد أن التغيير حصل في الدنيا ، هو نفسه الذي وقف في برد الخريف وحيداً ، وان هذا « الوحيد » يتضمن من المعاني غير ما أحس به « تشانغ ايه » من العزلة ؛ لأن « ماوتسي تونغ » الوحيد يستأنس برفاقه الكثر ، كما يستأنس بانفساح الأرض المبهم في وحدة صامتة .

ان الوحدة في ديوان ماو ذات مستويات ؛ وماو يصف نفسه بالوحيد ، فأي وحيد هو ؟ وأية وحدة هي وحدته ؟ هل من شبه بين وحدته ووحدة « تشانغ ايه » الذي ذكره في قصيدته « الخالدان » ؟

ان قصيدة « الخالدان »(١) ، تتحدث عن حياة الالهة . وقد وصفها ماو نفسه في احدى رسائله بقوله : « نظمتها على بحر « تسي » ؛ لأتحدث فيها عن سياحة تخيلية في السماء .. » . وفي هذه السياحة التخيلية رأى كيف استضاف الخالدون رفيقيه وصديقيه الشهيدين : « السيدة الأريحية لأبية « يانغ » ، والصديق العزيز « ليو » ؛ لقد طار كلاهما نحو السماء رأساً » ..

« فاستضافهما « ووكانغ »
وقدّم لهما خمرَ الخيار ، خيار شنبر
وفرشَ « تشانغ ايه » اكمامه الطويلة
يرقصُ ــ وحيداً ــ في اللا نهاية
ترحيبا بهذه الارواح الوفيّة »

ان « ووكانغ » و « تشانغ إيه » من الخالدين في السماء ؛ ولكل منهما أسطورة؛ فأسطورة الأول ، تقول :

« ارتكب « ووكانغ » بعض الأخطاء وهو يحاول تعلم فن الخلود مع الآلهة، فعاقبته الآلهة بأن هيجت عليه اغصان شجرة الخيار ، (خيار شنبر) ، وكان ارتفاعها مقدار خمسمائة سقف . وعليه أن يصعد الى قمتها حيث الخلود . فأخذ يهوي على

١ ــ شعر من الصين ص ٨٤ ــ ٨٨ .

الفروع ليقطعها ، لكنه ما يكاد يرفع فأسه عن الغصن المقطوع ليهوي به على سواه ؛ حتى يعود الأول فينبت في الحال غصناً شديداً مديداً •• هكذا حكم عليه بالخلود ، ولكنه خلود يقطع فيه الأغصان تقطيعاً الى الأبد » •• ويسقي ضيوفه القادمين من الأرض الى السماء من خمرة (حيار شنبر) التي هي شراب الخالدين ••

اما أسطورة الثاني ، فتقول :

« انه بعد أن احتسى « تشانغ إيه » شراب الخالدين ، وامتطى القصب ليهرب على صهوته ، تبدت له السماء بحراً لازوردياً يحيط به من كل جانب • بأخذ يشعر بالانعزال والوحدة والفراغ » ••

هذان نوعان من وحدة الخالدين في السماء :

وو كانغ وحيد بخلوده يقطع الأغصان الى الأبد •

وتشانغ إيه وحيد منعزل وسط بحر السماء ••

اما ماوتسي تونغ فوحيد « في برد الخريف بقلب سيانكيانغ » ، ووحدته من طراز أرضي ، يصفه في قصيدته الأولى « تشانغ تشا » ، فيقول

في بـرد الخـريفِ
بقلبِ سيانكيانـغ
وقفـتُ وحيـداً ••
وقفتُ أتشوّفُ الى الحرجاتِ المصطبغة بالحمرة ،
طبقـةً وراءَ طبقـة ،
فوق آلاف من الجبال القرمزية ••
وأرى عـلى صفحـاتِ المياه ،
شفيفةِ الخضـرة ،
المنساحةِ نحو اللا نهاية
مائةَ مركبٍ تنزلقُ منسابة سابحة •
والعقُ السّمكَ يتسربُ في أعماقِ اللجّة •••
وافكّرُ بكلِّ مخلوق ؛
كيف ينساقُ ـ في الخريفِ ـ على سجيّتهِ ،

ويُعطي نفسَه هواها ••
لقد اختلبتني هذا الجلالُ
وأسرتْ لبّيَ هذه العظمة
فوقفتُ أسائلُ الأرضَ في انفساحِها المبهم :
أيّ مليكٍ عظيمٍ
هذا الذي يُسيّر أقدار الطبيعة
جميعاً ؟ ! (١)

ان هذا « الوحيد » وقف لغايات عديدة ، منها : التشوف ، والرؤية ، والتفكير ، والتساؤل •

أن وحدة هذا الوحيد توحيد من أجل التجديد ! وهذه الوحدة « الماوتسية » واحدة في الخريف وفي الشتاء وفي الربيع •

١ ـ شعر من الصين ص ٢٣ •

الفصل الثالث

مستويات الوحدة الماوتسية

الوحدة « الماوتسية » تتفتح في التنوع فتصبح اكتشافاً وسؤالا ؛ وهذان رفيقا الشاعر والفيلسوف ، في المستويات الطبيعية الظاهرة والمستترة ؛ وأحاول التعمق قليلا في قراءة نصوصه لأظهر وحدة الوحيد وهي تتنوع في مستويات التعرف ثم ترتد الى وحدة من طراز آخر ، لا بد أن ماوتسي تونغ اكتشفها ، أو يحب اكتشافها ليكون أكثر منها توحداً وتوحيداً :

١ ـ مستوى الوحيد : حيوية الذات

٢ ـ مستوى التوحيد : حيوية الشعب

٣ ـ مستوى التجديد : حيوية الطبيعة

٤ ـ مستوى الموحد : حيوية المبدع

المستوى الأول

مستوى الوحيد في قلبِ المكانِ وفي وجه الزّمان

- أ -

هذا المستوى هو مستوى الانسان الذي يكتشف في ذاته : حيوية تتفجـر قـوة وتفكيراً وارادة عمل وجهد ، ومحنة تعيين لدنيـا وتحديد لمسيرها المكاني والزماني • ان الوحدة هنا ، هي وحدة الامتلاء ؛ فماوتسي تونغ وحيد ؛ لكـن وحدته مثل وحدة الريح ' ومثل وحدة النور ؛ ان الريح وحيدة ، لأنها وحدها الريح التي تشعر بطاقة الحيوية المحركة تملأها فتنتقل في الأبعاد العصابية لتمنح النبات والأطيار مقومات الوجود ' وتتغلغل في صدور النـاس لتمنح النـاس تجدد الحيـاة بحدل الشهيق والزفير •• كذلك الشمس وحيـدة ؛ لكنها الوحيـدة التي تؤنس العالم بشروقها وغروبها فتمد سكان العالم بطاقة الحركة والحياة •

ان ماوتسي تونغ ، يقف وحيداً في برد الخريف ، بقلب سيانكيانغ ؛ لكنـه يقف هذه الوقفة ليغير مجتمعه ويبني عالمـاً جديداً ؛ وهو يكرر هذا التاكيـد بصور كثيرة •

ففي القصـيدة الثـانية « عش الكراكي الأصفر »(١) يؤكـد وقفتـه الوحيدية ؛ وفي القصيدة الثانية عشرة « الثلج » (٢) يلمت الى الرجال العظماء في حاضره ' وفي القصيدة السادسة عشرة « السباحة (٣) » يلفت الى العالم الجديد•

---

١ ـ شعر من الصين ، ص ٢٨ •

٢ ـ نفسه ، ص ٦٠ •

٣ ـ نفسه ، ص ٧٨ •

- ٢ -

في « عش الكراكي الأصفر » يتحدث الرئيس ماو من أنهار في الصين ، ومن جبال فيها ومن خطوط حديدية ؛ ويلفت الى غايتها جميعاً ، فكلها روابط بين أطراف الصين ، أي كلها مظاهر للتوحيد ، كما يحبها ويريدها ·

هذه عناصر القصيدة الطبيعية والعمرانية يأخذها من حاضر الصين ، أما العناصر التي يستمدها لقصيدته من الماضي فهي أسطورة « الكراكي الأصفر » ؛ وخلاصة الأسطورة تقول : « أن قديساً « تاوستياً » يدعى · « تسي » مر فوق مرتفع مشرف على « يانغ تسي » الى الغرب من مدينة « ووتشانغ » في مقاطعة « هوبي » ، وكان ممتطياً جناحي كراكي أصفر ، وأقام كوخه على ذلك المرتفع » ··

وقد ضمن شعراء الصين أشعارهم هذه الأسطورة ، فللشاعر «تسووي هاو» في زمن أسرة « تانغ » قصيدة تحمل العنوان نفسه « عش الكراكي الأصفر » ، ومنها قولـه :

« مَرَّ هنا أحدُ الخالدين في يوم مّا ، مُمتطيا صهوة كراكي أصفر
مرَّ واختفى ، ولم يُخلّف من بعده أثراً سوى كوخ مهجور
لقد هَبَّ الكراكي الأصفر ، طائراً ؛ وتوارى الى الأبد
وخلّف وراءه سحابةً مستقرّةً ،
تخفقُ وحدها في الجواء ، نقية طاهرة
ترفرف فوقَ الأمواج الرقراقة
وذرى أشجار « هانيانغ » الذابلة
وبطاح جزيرة « يونكيتشو » الضنكى
حيث يستريحُ موطني على أعقابِ النّهار
وتدفّقتِ الأنهـارُ ،
تُضاعِفُ موجاتُها الضبابيّةُ · من أحزاني ··· » (١)

١ ـ شعر من الصين ، ص ٣٠ ·

وكذلك للشاعر سوتشي (١٠٣٦ ــ ١١٠١) قصيدة يقول فيها :

أنضحُ بخمري
هذه الموجات المستحمة بضياء القمر (١)

« ويرمز سوتشي بهذا البيت الى الذكريات الحزينة ، ذكريات آلاف الأبطال العابرين » الذين حملتهم موجات الزمن المترادفة الى الأبدية » ·

ان ماوتسي تونغ يقف موقفاً وحيداً وفريداً من الأسطورة والواقع ؛ فيتعالى على أحزان الشاعرين : تسووي هاو ، وسوتشي ، ويقول :

لقد هجرَ الكراكيُ الأصفر مشتهِ الى حيثُ لا يدري أحد
وبقي الكوخُ وحيداً محطة للسفر العابر
ووقفتُ وحدي

أنضحُ ماءَ النهر التدفاقِ بخمري
وفي قلبي موجٌ دافقٌ
لا يقلُّ عن أمواجه الهدارة ،
عراماً وثورة · (٢)

هذا هو مستوى الواقف وحيداً في برد الخريف ، الذي ينضح ماء النهر التدفاق بخمره ويوازن بين قلبه وبين النهر فيتفوق قلبه على النهر بثورته وحيويته · مثل هذا الوحيد يحول برد الخريف دفئاً ؛ ويجعل ريحه الحزينة تفرح ؛ ويجعل محطات السفر العابر في أكواخه الوحيدة المهجورة تمتلىء بالأنس والسكان · على خلاف لما فعل قديس الأسطورة التاوستي ، الذي مرّ واختفى ، ولم يخلف من بعده أثراً سوى كوخ مهجور ، كما يقول « تسووي هاو » ·

---

١ ــ شعر من الصين ص ٣٠ ·

٢ ــ نفسه ، ص ٢٨ ·

– ٣ –

وفي قصيدة « الثلج » يقف ماوتسي تونغ وحيداً في الشتاء ؛ فيتأمل في « فرسان الجليد » وهم يحتلون كل شيء ؛ « السد العظيم » ، والنهر العظيم « هوانغ هو » والجبال التي تعانق السماء أو تسامتها …

لكن ماوتسي تونغ لا يشعر ازاء هذا الاحتلال بالغضب أو الحزن ، بل يرى به « جمالا ساحراً » ويرى في صميم هذا الجمال « طلسما عديم المثال » ؛ فيقول :

لا شيءَ سوى بياضٍ منسابٍ الى أبعادٍ لا حدود لها
يجعلُ من جمالها الساحر طلسما عديم المثال .
أيُّ جمالٍ مفتانٍ في هذه البلاد
وأيّة جاذبيةٍ خلاّبة
انحنى أمامَها أبطالٌ لا حصر لعديدهم
إعجاباً بها .. »(١)

ومن الطبيعة الى الانسان ؛ جمال طبيعة الصين ينحني له الأبطال ، فمن هم هؤلاء الأبطال الذين يعترف لهم الشاعر بالبطولة ؟ وما موقفه منهم ؟

يذكر في المقطع الأخير من القصيدة خمسة من الأبطال ويشير الى ما كان ينقص كلا منهم :

١ ـ تسين تشيهوانغ : أول امبراطور من أسرة « تسين » التي حكمت ما بين ٢٤٦ ـ ٢١٠ ق.م .

٢ ـ هان ووتي : هو الامبراطور « وو » من أسرة « هان » التي حكمت ما بين ١٤٠ ـ ٨٧ ق.م .

٣ ـ تانغ تيتسونغ : هو الامبراطور تيتسونغ من أسرة « تانغ » التي حكمت ما بين ٦٢٧ ـ ٦٤٩ .

---

١ ـ شمس من الصين ، ص ٦١ .

٤ ــ سوانغ تيتسو : هو أول امبراطور من أسرة « سونغ » التي حكمت ما بين ٩٦٠ ــ ٩٧٦ ٠

٥ ــ جنكيز خان : هو الغازي المنغولي المشهور ، وقد حكم ما بين ١٢٠٦ ــ ١٢٧٧ م ٠

يقول ماو في هؤلاء الابطال الخمسة :

وا أسفاه ! !
لقد كان ينقص الامبراطورين : تسين ، وهان ٠٠
بعض الـروح
كما نقص الامبراطورين : تانغ وسونغ
الميلُ الى تذوقِ الأدب
كان ابْنُ السماء الحبيب : جنكيز خان
لا يعرف غير نزع قوسه في وجه النسر العملاق ٠٠ (١)

ان هؤلاء الابطال الذين حكموا البلاد وسيطروا عليها كما يسيطر عليها الشعب اليوم ، ذهبوا بما لهم من مواهب ونواقص ؛ لقد كان ينقصهم ثلاث مزايا هي الروح والأدب والمعرفة الشاملة ، ومن تنقصه هذه المزايا هل يصلح قدوة للحاضر ؟

ان ماوتسي تونغ ، يقف وحيداً في ثلج الشتاء كما وقف وحيداً في برد الخريف ، ويؤكد أن الثلج يمسح الطبيعة جمالا ، لكنه للذوبان ؛ كما يؤكد ان عظماء الماضي ليسوا الكمال المطلق ؛ وعلينا أن نفتش عن العظمة الحقيقية ، في حاضرنا ، حاضر الصين وبني البشر عموماً :

أما الآن ، فقد ذهب كل شيء
واذا كنّا نفتش عن رجال عظماء حقاً
فما أجدرنا ان نرنو الى حاضرنا وننظر حوالينا ٠ (٢)

---

١ ــ القصيدة نفسها ٠
٢ ــ نفسها ٠

ومن تجد حواليها من العظماء حقاً ، اذا فتشنا حاضرنا ؟ الايعني الشاعر هنا ، بالعظماء حقاً ، ذلك الذي وقف في برد الخريف وحيداً ليجعل الريح الحزينة فرحة ؟ ألا يعني ذلك الذي وقف وحده يصبغ ماء النهر الدفاق بخمره ؟

أظنني لم أخطىء الفهم ' لأنني تتبعت « روح الشعر » الوحيد في عمق الخريف وعمق الشتاء ، وأتتبعه في دورة الفصول الى الربيع لأتأكد من تعرفي الى « روح الشعر الوحيد » في الورق الأخضر والزهر ، هذه المرة ، لا في ريح الخريف الحزينة ، ولا في الثلج المسيطر •

- ٤ -

تعرفت الى « روح الشعر » في مستوى الوحيد ، وهو يمر في تحولاته فيحول الطبيعة الى التجديد ويحول الانسان الى التوحيد ، كما سنرى :

تعرفت الى هذا « الروح الوحيد » في القصيدة الأخيرة من ديوان ماو المسماة : « طرد إله الطاعون » (١) •

ان هذه القصيدة مرآة تظهر وجه الوحيد الحقيقي الذي وقف في « برد الخريف وثلج الشتاء » ! لكنه وقف يتفجر حيوية بالقوة والتفكير ليحيي شعبه سعادة الدفء وحماسة التغيير •

يذكر الشاعر الظروف التي أحاطت بولادة القصيدة ' ويصب عاطفته الانسانية في ثلاثة مقاطع ، يصور في الأول ماضي البلاد العاجز أمام مرض البلهارسيا ، ويصور في الثاني حاضر البلاد المكافح ضد المرض وتغلبه عليه ، ويصور في الثالث ربيع المستقبل الذي يخصب طبيعة الصين وانسانها •

أما ظروف القصيدة فتتلخص بأن مرض البلهارسيا ، كان — قبل التحرير — منتشراً انتشاراً مخيفاً في المقاطعات الواقعة الى الجنوب من نهر « يانغ تسي » ،

١ — شعر من الصين ، ص ٩١ — ٩٢ •

كوباء منتشر يصيب السكان بوافد مستمر أليم ؛ فألفت لجنة الحرب المركزية لجاناً خاصة لاتخاذ تدابير فعالة ضد هذا الوباء . وقد عملت المعجزات حتى نجحت ، فأعلنت مقاطعة « يوكيانغ » في حزيران ١٩٥٨ خلوها منه خلواً تاماً ..

يشير الشاعر الى هذا الاعلان تمهيداً للقصيدة ، فيقول .

« قرأت في صحيفة (رين مين ريباو) العدد الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٥٨ ، بأن مقاطعة يوكيانغ ، قد تخلصت ـ نهائياً ـ من مرض البلهارسيا . فازدحمت في نفسي أفكار كثيرة ، واحتركت في قلبي احتراكاً حرمني النوم .

وفي نسيم الصباح الندي ، اذ كانت الشمس تهم بالنهوض ، فتزهر بأشعتها نافذتي ، أطلقت عيني نحو السماء ، سماء الجنوب البعيدة ، وأنشأت ـ في فرحتي ـ هذه الأبيات » ..

ان هذه المقدمة قبل القصيدة ، تحتضن « روح الشعر الوحيد » ؛ لأنها ترفع الستائر عن نفس الشاعر وقلبه كما هما ؛ فنفسه وقلبه هما هما ، اللذان يرقدان في برد الخريف وثلج الشتاء ، يتفجران حيوية بكل ما فيهما من قوة وتفكير ، ويتغلبان على أمواج النهر الهدارة عراماً وثورة ، ويتحولان مواسم عمل وجهد .

ان الشاعر كشف في هذه المقدمة أسرار معركة فكرية في نفسه وقلبه حرمته النوم ، وهو الجبار الذي « يخترق النهر اللانهائي العظيم ، غير مفكر بالريح العاصفة ، وغير مبال بالأمواج المصطخبة » .. كما يقول في قصيدة « السباحة » ؛ فما باله يضعف في معركة الأفكار المحتركة في قلبه ؟ ما باله يأرق حتى الصباح ، ولا يستطيع نوماً ؟

ان ماو لا يتخيل ولا يسمح للخيال أن يسيطر على قرائه ، لان الخيال الاوسع حقيقة واقعية عنده . لذلك يحدد لنا سبب أرقه : انه أرق الوحيد الذي يتراقص في قلبه مستقبل ستمائة مليون انسان ! انه فرح بعيد انتصارهم على « إله الطاعون » . انه الفرح الذي وقف من أجله وحيداً في برد الخريف وفي ثلج الشتاء ؛ أفلا يستحق ربيع الفرح هذا الارق ؟ انه سهر الوحيد للقاء الشمس وهي

تنهض على أرجوحة الصبّاح وتجيء أشعتها مع أنسامه الندية لتقدم زهور النور الى ماو الوحيد عبر نافذته السماوية ..

ان قصيدة ماو صورة في إطار المقدمة ، أو هي دورة الفصول في قلب الشعر الوحيد .

فالمقطع الاول يمثل الخريف الحزين ، الذي تجيء رياحه كعادتها ، ولكنها تطلب من الدنيا أن تتغير ؛ ويتساءل الروح الوحيد بلسانها :

« ماذا استطاعت كل هذه السماوات ، أن تصنع ؟
وأن تفعل كل هذه الامواج ، وكل تلك الجبال ؟
ما دام « هواتوه » .
قد عجز عن فعل أي شيء يكبح به جماح الوحش ؟
في الآف الدساكر والقرى
كان كل امرىء يترامى سطيحا .
وتحت عشرات الاوف من السقوف المفرغة
كانت الشياطين تتراقص مرحة ..

السماوات ، والجبال ، والامواج ، كلها مثل ريح الخريف الحزينة ، تقوم بدورها كالمعتاد .. والذي يغير الدنيا ، أو يستظر منه التغيير هو الانسان ، وما دام « هواتوه » ، وهو من أشهر الاطباء على عهد الممالك الثلاث (٢٢٠ ـ ٢٨٠) ، قد عجز فان المرض قد انتصر ؛ وهواتوه رمز الانسان ، وعجزه يعني أنه لا شيء يعين آلام بني جنسه ؛ ويمكننا أن نفهم صورة المرض المتغلب على الناس من عبارة الشاعر ، أو مما نشرته صحيفة (رين مين رياو) في عددها الصادر ٣٠ حزيران ١٩٥٨ بعنوان « أول علم أحمر » ، قالت :

« في محيط قدره خمسون ليا (نحو ٢٥ ميل) حول (لان تين يان) من مقاطعة « يوكيانغ » مات ثلاثة الاف انسان بدودة البلهارسيا وحدها خلال خمسة الاعوام الاخيرة . وأهملت نحو عشرين قرية هجرها سكانها فصبحت خرابا يبابا . وأكثر من أربعة عشر ألف كوخ هجرها ساكنوها بسبب ذلك .. (١)

١ ـ شعر من الصين ص ٩٧ .

أما المقطع الثاني من القصيدة ، فيمثل الحاضر المناضل للتخلص من « ثلج الشتاء »و تحويله مواد خصب للربيع ، ويعبر « روح الشعر » عن هذا المعنى ، بقول ماو •

تقطع الارض في اليوم ، « ثمانين الف لي »
وتتلفت السماء نحو بقية من ألف نهر
ويقف النجم « سهيل » يتساءل عما فعل آله الطاعون ؟

الا ان فرحة آله الطاعون بآلام الشعب
قد جرفتها الامواه ، فطاحت الى غير رجعة ••

إن روح الشعر الوحيد ، يتغلغل في صميم الارض فيدرك حركتها ، ويطوف في افاق السماء فيعرف رغبتها ، ويعود الى قلب الانسان فيحقق رغبة السماء •

أما تغلغله في صميم الارض فيتفهم من البيت الاول ، فالارض تدور ،وحركتها دائمة وسريعة ، فهي تقطع « ثمانين ألف لي » أي اربعين الف كيلو متر ، وذلك دو محيط الكرة الارضية عند خط الاستواء ' واشارة ماو الى حركة الارض وسرعتها يعني أن على الانسان أن يلاحظ الطبيعة ملاحظة دقيقة ليدرك قوانينها ويمتلكها بالمعرفة ويسخرها لخدمته ، فيتغلب على « برد خريفها » و « ثلج شتائها » ، ويصل الى جني المواسم من ربيعها وصيفها ؛

موتسي تونغ من القصيدة الاولى ،رأيناه واقفا في برد الخريف وحيدا ؛ورأيناه بقلب شياتكيانغ يتأمل مظاهر الطبيعة في الجبال والاشجار ، وفي المياه والمراكب والاسماك ، وفي حركة كل مخلوق ، ورأيناه أمام انفساح الارض المبهم يسألها عن سر الطبيعة وعن المليك العظيم الذي يسير أقدارها ••

هنا في القصيدة الاخيرة يصل الى جواب السؤال الذي طرحه على الارض،فيقرر حركة الارض وسرعتها ، ويومىء بذلك الى واجب أبناء الارض وما يتطلبه الوجود منهم حركة وسرعة ؛ بل يومىء الى رغبة السماء وما تعلقه على ابناء الارض من آمال•

فرغة السماء تفهم من السطرين الثاني والثالث ؛ اذ « تتلفت السماء نحو نقية من ألف نهر ، ويسأل سهيل عما فعل آله الطاعون بأبناء الارض » ؟

« فتلفت السماء » الى الانهر و « سؤل سهيل » عن مصير آله الطاعون ، أمران يتصمنان رغبة السماء بتخلص أبناء الارض من عذابهم ؛ ويتضمنان كذلك، تقريرا مفاده أن مصير أبناء الارض متوقف على عملهم وجهدهم ؛ فماذا فعل أبناء الارض في الصين ؟ وهل عملوا عملا يستطيعون به مواجهة السماء بجباه مشرقة عالية ؟

روح الشعر الوحيد ، يتكلم من قلب الانسان ماو فيحس سهيلا ، النجم الذي يعش على شاطيء النهر السماوي « نهر المجرة » ، ويهتم كثيرا بحياة الشعب على الارض •• يخبره ماو ، عن المعركة بين الانسان وبين آله الطاعون ، ويخبره أن الانسان انتصر اخيرا ، وأن آله الطاعون المتلذذ بآلام الشعب قد دحر الى غير رجعة• أما كيف دحره أبناء الارض في الصين فتلك قصة طويلة ، مثل حكم«الكومينتانغ» دوارها عشرين عاما ، ومثل حكم اليابانيين أدوارها عشرة أعوام ، وفي كلاالحكمين كان آله الطاعون يغلب الانسان • أما في أيام « الوحدة الماوتسية » فقد تعاون الفلاحون على ردم الحفرالتي تعيش فيها القوقعة المقرنة ، حاملة البلهارسيا ؛ وقد استطاع هؤلاء الفلاحون الصينيون أن يردموا جميع الحفر في مدى بضعة شهور ؛ كما استطاعوا أن يُنشِئوا لماء الري ، مكان تلك الحفر ، مسارب جديدة تجري بانتظام ••• وعلى الصعيد الطبي فقد ابتكرت طرق جديدة حازمة ، حطمت الروتين القائم تحطيما ثوريا • فالمعالجة التي كان لا بد أن تستمر ثلاثة أشهر ،انقصت ـ مبدئيا ـ الى شهرين ، ثم اختصرت الى عشرين يوما ، وأخيرا استوجزت بثلاثة أيام وبيومين أحيانا •

أن ماو قارن بين سرعة الارض وهمة الفلاحين والاطباء فوجد مواطنيه أسرع من الارض في العمل لذلك أعلن انتهاء فرحة آله الطاعون لتبدأ فرحة الانسان بعد الاحزان ••

أنشأ ماو القصيدة في فرحته ، كما ذكر في مقدمتها ، والمقطع الثالث يجسد

فرحة ماو بانتصار مواطنيه على المرض واجلاء آله الطاعون ؛ وهــذا المقطــع يمثل ربيع المستقبل المشتق من شتاء الحاضر وجهوده ، يقول « روح الشعر الوحيد » بفرحة ملك التوحيد والتجديد .

وفي نسيمات الربيع الندية ؛
يورق الصفصاف آلافا آلافا
ويصبح معه ست مائة مليون انسان حكماء مثل « يــاو »
و « تشوين » ..
وينقطع المطر الاحمر ، وتتحول ـ في عزلته ـ الى شفار حادة ،
تنحني بها الجبال المخضوضرة ، امام الجسور والدعامات ..
وتتساقط المعاول الفضية من السماء على رؤوس القمم
وتتهاوى الانهار مرتجفة متخاذلة بين أذرعة الحديد ..
فالى أين المفر يا آله الطاعون ؟!
لقد اوقدت الشموع
والتهبَ المركب الورقيُ
وتعالى اللهيب نزاعا نحو السماء .
فالى أين المفر ؟

ان «روح الشعر » في هذا المقطع يقسم أزمنة القصيدة ؛ فيعمر الامل بالمستقبل أساسا ؛ ويبني عليه نشاط الحاضر ؛ ويودع على حدود الجهود النزاعة الى السماء ، آلهة الاحزان ..

فالربيع يبعث نسيماته الندية ؛ أي ربيع هو ؟

انه ربيع « الوحيد » الذي وحد في قلبه بين الانسان والطبيعة ، وبين طبقات الناس ؛ فالطبيعة تعبر عن تجددها بايراق الصفصاف آلافا آلافا ، وما الصفصاف الا نوع واحد من أنواع الاشجار والنبات التي تخضر في الربيع فتورق وتزهر .. والانسان يعبر عن توحده المتجدد بصباح الحكمة في ربيع الحكماء : ان « ياو » و « تشوين » حكيمان مشهوران من أساطرة الصين القديمة ؛ وان « روح الشاعر

لوحيد » يرمز باسميهما الى أن ست مائة مليون صيني سيصبحون في مستوى هاذين الحكيمين بالتعلم والثقافة •

ذلك هو ربيع المستقبل الذي يشغل بال الشاعر الوحيد ، الذي وقف يصارع برد الخريف وثلج الشتاء من أجل هذا الربيع الذي يوحد بين طبقات الناس فيكون الجميع حكماء ، ويوحد بين طبقات الانسان الحكيم وبين طبقات الارض الخصبة ، فتتم الفرحة في الربيع وتعم السعادة الحمراء الارض وأبناء الارض ••

ماو يعرف أن هذا المستقبل الربيعي يحتاج الى اعداد الحاضر وتهيئته على المستويين : الطبيعي والانساني ' فيرسم خطة الاعداد ، ويرمز الى عناصر التطبيق من اليابسة والماء : فالجبال تفتت وتنقل صخورها لردم مجاري الماء وتقوية شطآن البحيرات ، ثم تمد أذرعة الحديد أي مشروعات الري الجديدة . ان « أذرعة الحديد » صورة للتوحد المتعاون بين الانسان والطبيعة ' فالأذرعة عناصر إنسانية • لأن الذراع ليد الانسان ؛ والحديد من عناصر الطبيعة ، ويلاحظ من التركيب الاستعاري أن الطبيعة تستعير من الانسان أذرعة ؛ وهذه فكرة ماو الأساسية ، فريح الخريف الحزينة تقوم بدورها كالمعتاد ، رمزا الى أن الدنيا لا تتغير الا بجهود الانسان ' فاذا جاهد الانسان واجتهد ووحد صفوفه وارتقى الى سوية الحكماء ، بالتعلم والثقافة ، فان المطر الأحمر ينقطع عن التهطال بالأحزان ؛ وقد يكون المطر الأحمر « رمزاً لأزهار الشر ؛ أو رمزاً لما يستدعيه الشر من سفك دماء الناس ، بالمرض أو بالحرب أو بسواهما ••

اذا نفذت هذه الخطة ، على مستوى الانسان وعلى مستوى الطبيعة ، فان ماضي الأحزان والالام ينتهي ؛ لأن إله الآلام والأحزان لم يعد له مكان بعد ابادة التواقع التي كان يعيش فيها على وجه الأرض •

ان إله الطاعون فرح في الماضي بآلام الشعب ؛ وان الشعب بذل جهوداً في الحاضر فتغلب على إله الطاعون وهدم مساكنه ، وطرده بل أحرق نار الأرض التواقة الى علو السماء ليتخلص نهائياً من إله الطاعون وآلهة الآلام والأحزان •• ان الشعب الذي طهر أرضه من القواقع الحاملة للأمراض الجسدية يتوق الى

مستقبل ست مائة مليون حكيم ليحيا صحة الوحدة ، مادية وروحية ، كما تعيش هذه الوحدة في قلب الشاعر « الوحيد » •

هذا مستوى الوحيد في الخريف والشتاء والربيع ؛

ان هذه الوحدة الماوتسية وحدة امتلاء وفرح ؛ لأنها وحدة حيوية وقوة وتفكير وجهد ؛ ولأنها تتضمن مستويات التنوع ، من وحيد ، الى توحيد ، الى تجديد •

قرأنا مستوى الوحيد •

فكيف نقرأ ، بروح الشعر ، مستويي التوحيد والتجديد ؟

المستوى الثاني

مســتوى التوحيـد

- ١ -

هذا المستوى هو مستوى الذي يكتشف في شعبه ، هذه المرة ، حيوية تتدفق قـدرة ووعي • ان هـذا الشعب يريـد ويستطيـع ، ولكن « بـرد الخريف » و « ثلج الشتاء » وما يرمزان اليه من استعباد الماضي الأسطـوري ، والحاضـر الاستبدادي ، يقفان في وجه ارادة الشعب ويدفنانها كما يدفن الثلج شموخ الجبال وخضرتها وانسياب الأنهار وتدفقها ، وكما تمس رياح الخريف الحزينة أوراق الشجر وتهجر الطيور كذلك كان الماضي الأسطوري والحاضر الاستبدادي يحولان بين الشعب وبين استطاعته •

لقد ختمنا مستوى الوحيـد بملاحظـة القلب الرمـي بمعنى أن ماو قلب الأزمة في « طرد إله الطاعون » ، وجعل ربيع المستقبـل هو الأساس الذي يبني عليه توجه الحاضر والنظر في الماضي ؛ لأن ذلك وحده طريق الحرية ؛ فالتحرر من الأسطورية الماضية والاستبداد الحالي لا يتحقق الا بوحدة شعبية صادقة تندفع نحو ربيـع المستقبل •

وكتب ماوتسي تونغ النثرية ، وخطبه ، وقصائده كلها تؤكد هذا الهدف التوحيدي لهـدف تحريري • وهو في جميـع آثاره يذكر بأن المسيرة طويلة بـين الحرية والوحـدة ، لكن الانسان قدرة لا حدود لها اذا كـان انسانا توحيديا ، يشعر فعلا بالتوحد بينه وبين شعبه ، خصوصـا اذا كان شعبه مثل شعب الصـين العظيم ، عدداً واستعداداً •

ويمكن أن نفهم مستوى التوحيد الشمسي بصورة شعرية من خلال قصيدتين كتبهما لصديقه الشاعر « ليو ياتسي » :

الأولى عنوانها : الى ليو ياتسي (١) ؛ كتبها في ٢٩ آذار ١٩٤٩ ·
والثانية عنوانها . جواب الى صديق (٢) ؛ كتبها سنة ١٩٥٠ ·

- ٢ -

ومستوى التوحيد في القصيدة الثانية ؛ لأن ماو كتب لها مقدمة ذكر فيها جو القصيدة ؛ قال في المقدمة :

« في احدى الأمسيات ، اذ كانت تقدم مسرحية تذكارية ، للعيد الوطني عام ١٩٥٠ ، ارتجل « ليوياتسي » قصيدة على وزن « تسي » متأثراً بأسلوب « وان هسي تشا » فاجبته ارتجالا بهذه القصيدة ، عن وزن قصيدته ورويها » ··

وهذه المقدمة النثرية تساعد على فهم المستوى التوحيدي الصميم لثلاثة أسباب :

١ ـ لانها قيلت بمناسبة العيد الوطني ·
٢ ـ لانها قيلت ارتجالا ، وفي الارتجال يذهب الفنان على سجيته فيعبر مباشرة عن عاصفته ·

٣ ـ لانها جواب على قصيدة أخرى ارتجلها شاعر صديق وفي القصائد الجوابية تتعانق أفكار الاثنين فيظهر عناقها الطبقة الاعمق من مستوى التوحيد في المشاعر بين شاعرين ، أحدهما زعيم الوحدة الوطنية ··
والثاني ، أي ليوياتسي ، مؤلف قصائد وطنية مشهورة جدا ؛ ومشارك في الثورة مشاركة ذات قيمة خصوصا في أحريات أيام أسرة « تسينغ » · وله عدة قصائد وجهها الى ماو ، منذ كان مديرا للمعهد الوطني بكانتون ما بين ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ ؛

١ ـ شعر من الصين ، ص ٦٥
٢ ـ شعر من الصين ، ص ٧٠

الى اليوم الذي ذهب فيه لاجراء محادثات من أجل السلم مع « الكومينتانغ » في « تشونكينغ » سنة ١٩٤٥ ؛ الى اليوم الذي كلفه فيه ماو بنظم أبيات تخلد ذكرى العيد السعيد الذي تمت فيه الوحدة الكبرى ·

وكل قصائد « ليوياتسي » تضيء معاني قصيدة « ماو » الجوابية ، وتوضح مسيرة الوحدة الوطنية نحو الحرية ·

ففي كانتون أهدى لماو ولمجموعة من الرفاق قصيدة قال فيها :

« اذا كانت الرغبة في بناء الدولة
قد جمعتنا تحت سماء مربدة
فسنبقى ذاكرين الشاي
الذي حسوناه في كانتون (١) »

وفي قصيدة لماو وجهها الى « ليو » ذكر لما ذكره « ليو » ، اذ يقول ماوتسي في مطلعها :

حملت من كانتون
ذكرى اجتماعنا على حسو الشاي٢ ··

و « حسو الشاي » ، في مستوى التوحيد ، مهم مثل « بناء الدولة » لانه يدل على الوحدة الروحية بين الشاعر والقائد ، هذه الوحدة التي تمكن أصحابها من بناء الدولة فيما بعد ؛ لان بناء الدولة ووحدتها المتينان لا يكونان بغير الصلات الوثيقة بين الرفاق أو الاصدقاء الذين يتعاونون تحت « السماء المربدة » ليقشعوا غيومها ويمنحوا أرض الوطن صحو سماء ·· ولا بأس بحسو الشاي تحت سماء مربدة ··

والشاعر « ليوياتسي » دائم الرصد لهاتين العاطفتين ، عندما يخاطب صديقه « ماوتسي » ؛ أعني العاطفة الذاتية في طريق العاطفة الوطنية ·

---

١ ـ شعر من الصين ، ص ٦٦
٢ ـ نفسه ، ص ٦٥

ففي « تشونكينغ » كتب الى ماوتسي تونغ هذه القصيدة :

« لقد افترقنا في « كانتون »
ومضى علينا تسعة عشر ربيعا
ثم تلاقينا في « تشون كينغ »
فتصافحنا بفرحة عارمة
وكانت قلوبنا ونفوسنا
متأثرة بعظمة الشجاعة
فليحل السلام على الشعب العامل
وليصبح الوطن ، المعاد بناؤه ، مطرا كريما
وليشتد التواصل ما بين البرق والسحاب
وليتمازج الينبوعان « تشونغ سان » و « كارل »
ولتفتر مباسم كبار الحكماء سرورا فوق « كوين لوين »(١) ..

ويشير ماوتسي تونغ بقصيدته السابقة الى قصيدة « ليو » هذه ، فيقول

حملت من كانتون ذكرى اجتماعنا على حسو الشاي
والاستماع الى اشعار « تشونكينغ »
تحت ظلال من ورق الشجر
لقد غبت عن المدينة القديمة .
احدى وثلاثين سنة
وعدت اليها تحت الازهار
لاستمتع بآثارك الجليلة (٢)..

ان التعليقات على أبيات ماوتسي تونغ هذه ، توضح المقصود بأشعار « تشون

١ ـ شمس من الصين ، ص ٦٧
٢ ـ شمس من الصين ، ص ٦٥

كبنغ » التي ذكرها الشاعران ؛ كما توضح المقصود بالمدينة القديمة ، وبالاثار الجليلة ٠

فأشار « تشون كينغ » اشارة الى أن « ليو ياتسي » طلب من « ماوتسي »أن ان يكتب شعرا ؛ ولعل طلبه جاء بسبب القصيدة المؤثرة التي كتبها « لماو » في تشون كينغ ، فكتب اليه ماو ، على الاثر ، قصيدة « الثلج » ٠

والمدينة القديمة ، هي « بكين » ،و قد دخلها الرئيس « ماوتسي تونغ » أول مرة في ايلول ١٩١٨ ، ثم غادرها ولم يعد اليها الا عام ١٩٤٩ ، أي بعد احدى وثلاثين سنة ، ولم تكن « بكان » قد عادت عاصمة كما كانت ، فلذلك أطلق عليها اسم المدينة القديمة ٠

ويشير الرئيس ماو بالآثار الجليلة الى قصيدة الشاعر ليو ، التي أنشأها في ٢٨ آذار ١٩٤٩ ، بعنوان « حالة الروح » ٠

والرئيس عندما يصف آثار ليو « بالجليلة » فانه يعني بذلك كثيرا ؛ لانه ليس رئيسا سياسيا وحسب ، بل هو شاعر وناقد وعظيم ؛ ومعرفته الجليلة أيضا بموهبة صديقه هي التي جعلته يطلب منه تخليد ذكرى العيد الوحدوي سنة ١٩٥٠ والى ذلك يشير صديقه « ليو » بقوله :

« أمضيت يوم ٣ تشرين الاول في « هواي جين تانغ » ، أمسية عبقة بالغناء والرقص قامت بها مجموعات من مواطني الجنوب الغربي من « سيكيانغ وينيين (كيرين) ومنغوليا الداخلية »

وكلفني الرئيس « ماو » بنظم أبيات تخلد ذكرى هذا العيد السعيد الذي تمت فيه **الوحدة الكبرى** ٠

فنظمت قصيدتين اليك احداهما :

« شجر » من لهب ، وزهور من فضة ، وسماء صافية
وهنا اخوة واخوات يتراقصون فرحين
تحت ضوء البدر الباهر المدور

★ الآداب الاجنبية ـ ٤٩

تهدهد تموجات أشعته الاغاني •
لقد نظموا عفوا ، لم يتكلف قيادتهم أحد
وتوحدوا ، وهم مائة شعب •
فيالسعادة العيد ، في هذه الامسية المراحة •• » (١)

ان « ليوياتسي » يمضي لشعوب الارض كلها درسا عمليا في التوحيد : فمائة شعب في الصين يتوحدون في وحدة كبرى وطنية ، وينتظمون بعفوية المحبة بعد معرفة الطريق الى الحرية التي يمارسونها ، اخوة وأخوات ، من كل هذه الشعوب المتعددة فيتراقصون « تحت ضوء البدر المدور » ، كتابة من المجموعة القازاقية ••

ان توحيد مائة شعب في عصرنا لمن الامور الكبرى التي تعتبر في عداد الانجازات الروحية العليا ان لم تكن في مستوى المعجزات الانسانية القصوى ؛ والرئيس ماوتسي‌تونغ يعرف جيدا عمق الدلالة في هذا التوحيد الكبير : لذلك يرتجل جوابا شعريا يصوغ بأطناب من عاطفته نحو شعبه ، فيقول :

طالت الليلة في سمائنا ، وتمطت عتمتها ، فما تبض بضوء
وتراقصت فيها شياطين وثابة خفيفة
على امتداد عصر كامل
وامتنعت الوحدة على خمسمائة مليون نسمة
ثم أضاء الكون كله
مع انبثاق الفجر ، وتغريدة الديك
بموسيقاه العالمية ، كما تغرد خوتان !
كلما تشربها الشاعر
حلقت روحه في الجواء (٢)

تختصر هذه القصيدة مستوى التوحيد ، بدءا ومسيرة وغاية ؛ اذ يحتشد فيها الماضي والحاضر والمستقبل :

---

١ ــ شعر من الصين ، ص ٧٢

٢ ــ شعر من الصين ، ص ٧٠ ــ ٧١ •

فقي الماضي كان الظلام يعم الصين ، وكان هتم لليل الطويل مسرحا لشياطين شب وتتخفى بخفة ، مما حال بين الشعب ووحدته على امتداد عصر كامل ، واذا كانت رياضة الانسان وسياسته في الضياء من الامور الشاقة فان سياسة خمسمائة مليون انسان في وسط الظلام واخراجها منه الى النور لمن الامور المعجزة ؛ لكن الذي « يقف وحيدا في برد الخريف وثلج الشتاء » يملك من الحيوية المتفجـرة بالقوة والتمكين ما يوقظ تلك الملايين البشرية على ذاتها ، ويوقظ فيهـا ارادة العمـل واستطاعة لجهد فتطرد « اله الطاعون » وتشعل مواكب النار النزاعة الى السماء فيكون لنور ويكون الفجر ، فجر الصين في الحاضر ٠

فالصين في الحاضر ، حاضر الرئيس ماو ، يوم كتب القصيدة منذ ربع قرن، صين الكون المضيء ، المنتم ، المحلق :

هو كون مضيء ' لان الوحدة الكبرى أزالت حواجز لظلام من بين الاخوة والاخوات ، من مائة شعب ، كانوا خمسمائة مليون انسان سنة ١٩٥٠ ؛ وصاروا ست مائة مليون انسان سنة ١٩٥٨ ، كما في قصيدة « طرد اله الطاعون » وكم هم ليوم سنة ١٩٧٥ ؟ انهم ، بالقياس على نسبة الزيادة بـــين ١٩٥٠ ـ ١٩٥٨ ، يزيدون على ثمانمائة مليون انسان اليوم وهذا الحجم البشري المتنوّع من مائة شعب يمثل كونا فريدا في هذا العالم ؛ انه كون التوحيد الاكبر في عالم تشهد شعوبه لصغيرة انقسامات تنقسم وتنقسم حتى يكون نصف المليون أو المليون بشري دولة ، وهذه الدولة الصغرى لا تلبث أن تنقسم على نفسهـا ؛ ان الصين كـون مضيء بتوحيده المبين ووحدته الكبرى ٠٠

وروح الشعر الوحيد لا يرضى بأية حدود فيحول صورة النور الكوني في لصين من انبثاقة الفجر الى « تغريدة الديك بموسيقاه العالمية » ٠

ان « الموسيقى العالمية » تركيبة طموح « ماوسي » وحيد : فالعالم يشغل بال الرئيس « ماو » بما فيه من «برد خريف وثلج شتاء » وبما فيه من أسطورية ماض واستغلال حاضر ؛ لذلك ، يبشر بتحول الضياء الكوني الكلي من الصين الى لعالم ، ويحبه تحولا موسيقيا ، والموسيقى هنا، رمز النظام الموحد ، لان جميع

الانغام تتحد لتكون لحنا ، وجميع الالحــان تتحد لتكون نشيدا ؛ وهكــذا تكون « الموسيقى العالمية » بصرية من انشق لعجز ، وسمعيــة مــع تغريدة الديــك ؛ والصورتان السمعية والبصرية معروفتان في طبيعة العالم ، مشارقه ومغاربه ،لكن الصين تقدم نموذج هذا التوحيد بين الضوء والنغم الطبيعيين على مستوى انساني؛ وهذا ما عناه الشاعر لوحيد بصورة التشبيه بين الموسيقى العالمية و « تغريــدة خوتان » •

« خوتان : هي احدى الممالك الغربية ، وكانت عاصمة لاسرة « هن » ،وهي اليوم جزء من المنطقة المستقلة بلغتها القومية في « سكيانغ » ، وتعني هذه الكلمة هنا : المجموعة الفنية القادمة من « سيكيانغ » ' كما يمكن فهم « الموسيقى العالمية وتغريدة « خوتان » رمزا الى المجموعات الفنية مــن مختلف القوميــات ، مــن « سيكيانغ » و « ين بين » ، و « منغوليا الداخلية » ••

فالشاعر ماو يحرك صورة الضياء في الكون لتكون صيغة موسيقى عالمية ثم يردها الى الصياغة لتوحيدية في الصين ••

هكذا تكون صين التوحيد كونا مضيئا ومنغما ، على مستوى الارض ؛ لكن روح الشاعر يعتبر الارض ومنجزاتها مرتكزات يحلق بها ومنها الى لجواء العليا•

وهذه من وثبات «روح الشعر الوحيد » في قلب الرئيس ماو : يوحد بــين الشعوب المحتفة بالنور الكوني والموسيقى العالمية ، وينشيء وحدة كبرى بــين انسان هذا الشعب المتحد وبين قوى الطبيعة المتحدة ، ثم يدفع الانســان ليعتمــد الطبيعة في ارتقائه الى ما فوقها من جواء وسماء : وبذلك يصل بشعبه الى مستوى جديد ، هو مستوى التجديد • فما هي مراحل هذا المستوى ومناظره ؟

المستوى الثالث

مســتوى التجديد

- ١ -

كل قصيــدة من قصائـد الرئيس ماو فصل من فصول الـدورة التجديدية ؛ وما أعني بالتجديد ، هنا ، ما يذهب اليه نقاد الشعر من بحث عن محاسن الصورة ومحاسن المعنى ، ومن احصاء لما قاله القدامى لمعرفة ما في الاثر الذي يدرسونه من جديد ؛ ان منحى دراستي يتجه الى ما قبـل الشعر ، الى **الابــداع الحق يتفتح في الاعمال البشرية الخالدة** ؛ سؤالي · ما العالم الجديد الذي أوجـده الرئيس ماو ثم صوره بروح الشعر الوحيد ؟ هل هنالك « عالم جديد قد خلق » في الصين ،وشعر الرئيس ماو صورة لذلك العالم وموسيقى له ؟

- ٢ -

ان « روح الشعر » يجيب عـلى هذا السؤال في قصيـدة : « السبّاحة » ؛ في القصيدة أربع صور : الاولى شبابية في النهر الثانية تأملية في القصر ؛ الثـالثة عمرانية في الجسر ؛ الرابعة تجددية في العصر ·

هذه الصور ، يستنبطها المتأمل في القصيدة :

- ٣ -

فالصورة الاولى **شبابية في النهر** : يتحدث الشاعر فيها عن طاقة الشباب المتحركـة

١ ـ شعر من الصين ، ص ٧٨ ـ ٨١

في صوره ، التي تعرفنا اليها حيويه وثورة في مستويي الوحيد والتوحيد وحديثه هنا مفعم بروح الوحيد وروح الشعب ؛ يقول .

لم أكد ارتوي من ماء « تشانغ تشا »
وأطعم من سمك « ووتشانغ »
حتى ارتميت سابحا أخترق النهر اللانهائي العظيم ذي الالف ميل
واطلقت عيني في سماء تشو ، تتمتعان بالفضاء
غير مفكر بالرياح العاصفة ، ولا مبال بالامواج المصطخبة[1]

في هذا المقطع الاول من القصيدة يلتقي القديم والحديث ؛ فالقديم يظهر في الاشارة الى سمك « ووتشانغ » ؛ فهناك أغنية شعبية معروفة ، كانت شائعة زمن الممالك الثلاث ، تحت إمرة الملك « و و » ومنها هذان البيتان :

خير لك أن تشرب من كيني
من أن تاكل سمك « ووتشانغ » [2]

لكن الشاعر جرب صدق هذه الاغنية ، ويبدو أنه خالفها فأكل من « سمك ووتشانغ » ووجد الخير في ذلك السمك ؛ لانه أحسّ بعد تناوله شيئا من ذلك السمك مع شيء من ماء « تشانغ تشا » بالقوة الدافعة الى ممارسة رياضة السباحة فاندفع الى ماء النهر اللانهائي العظيم •• واندفاعة الرئيس ماو التجريبية هي الحديث الجديد على ذلك القديم الذي تقرره الاغنية الشعبية القديمة •

ومما يكمل الصورة الحديثة تفاصيل هذه الرياضة التي قام بها الشاعر سابحا في النهر ؛ ففي سنة ١٩٥٦ ، اجتاز نهر « يانغ تسي كيانغ » ثلاث مرات : قطعه في الاولى سباحة من « ووتشانغ » الى « هانكيو » في شهر مايس •• وفي أوائل الشهر التالي ،قطعه مرة ثانية من جهة « هان يانغ » ، ومن تحت قنطرة من الجسر

١ ــ قصيدة السباحة ، ص ٧٨
٢ ــ شعر من الصين ، ص ٨٠

الكبير ثم اندفع الى « ووتشانغ » •• أما في المرة الثالثة ، فقد قطع النهر سابحاً من الطريق نفسها التي اتبعها في المرة الثانية ••

وحديثه هنا عن المرة الاولى ؛ والجديد في هذا الحديث أنه يصور للرئيس ماو صورة شبابية فردية يغالب فيها النهر وحيدا ، كما غالب الشائعات الشعبية المشهورة في الاغنية ، فلم يقبل اختيار القديم الذي أخر سمك « ووتشانغ » عن ماء « كيبي » ، فأكل منه ومارس فعل القوة ؛ وكأنه يقول ان الجديد في تعاليمي هو • « الاختيار العملي القائم على تقدير كل خيرات الطبيعة في الصين ، فأنا لا أرذل خيرا من خيرات بلادي ، كلها طاقة حياة اذا عرف الانسان كيف يستخلصها؛فالاكل من هذا النوع من السمك يحتاج رياضة تنبه ليهضم، فيكون ذافوائد ثلاث : الاولى غذائية؛ والثانية رياضية ؛ والثالثة تفوقية ، فيها تفوق الانسان المغالب ، الذي يتحدى عصف الرياح وصخب الموج ، ويطلق عينيه في السماء ••

تبدو لي هذه الصورة رمزية في لون من الوانها ، مع أنها تصور حادثة«السباحة الواقعية » ؛ وأفهم من رمزيتها . أن النهراللانهائي العظيم هو الحياة ذاتها ،وللحياة عصفها وصخبها ، ولا تخضع الا لمن يتمثل «الخير الشعبي » فيعبر قديمه ويمارسه ممارسة اتحاد كاتحاد « السمك » بالجسد عن طريق التناول السليم ؛ إن تمثل الخير الشعبي تمثلا واقعيا قوة دافعة تمكن من التغلب على « نهر الحياة العظيم » واجتيازه ، بشرط آخر ، أن يكون هذا المندفع بقوة الخير الشعبي ذا نظرة عليا ، « عيناه مطلقتان في السماء » والسماء رمز آخر للمستقبل المتطور المترقي ••

هذا مشهد للصورة الشابية في النهر ، تجمع بين الشعبي القديم ، و لفردي الجديد ؛ كما فهمتها ••

— ٤ —

أما الصورة الثانية ، فالصورة التأملية في القصر ، يقدمها روح الشعر الوحيد يقول ماو :

أما اليوم ، فقد تحررت كمكسال ، يتسكع في أبهاء قصره ،
ووقفت على شاطىء النهر • فقال لي الرب :

« كل ما في الكون ، يجري ويمر ، كما يسيل هذا الماء »
الصواري ؛ تهتز ـ تحت الريح ـ وترقص
أما جبلا السلحفاة والافعى فلا يريمان مكانهما ••

في هذا المقطع أيضا يلتقي الحديث مع القديم بمواقف منها ما هو بين ماو القديم وماو الحديث ، وما هو بين ماو وبين الشاعر « لوين يو » ، وما هو بين « لوين يو » و « كونفوشيوس » ؛ وما هو بين ماو وبين كونفوشيوس والطبيعة •

ففي الموقف الاول نلمح مقارنة روح الشعر بين السباح الذي يخترق النهر اللانهائي العظيم ، وبين المكسال المتسكع في أبهاء قصره ؛ هناك اختراق ولا نهائية وانطلاق عينين في السماء ؛ وهنا تسكع بين جدران ••

ن روح النهر المخترق يهز كتفي روح القصر المتثائب كأنما يرشق على عينيه الماء ليستيقظ ، ويستيقظ مخترق النهر بساكن القصر ، ويتأمل • ما الذي تغير ؟ من يعرف السر ؟ أيعرف السر شعراء الماضي ؟

في الموقف الثاني نلمح ساكن القصر يتأمل في محادثةلوين يو معكونفوشيوس حيث يقول الشاعر لوين :

« وقف الرب على شاطيء النهر وقال :
كل شيء ؛ يمر سائرا كهذا الماء
متدفقا لا يتوقف ليلا ولا نهارا •• »

المقصود بالرب ، هنا ، كونفوشيوس ؛ والشاعر « لوين » ينقل ما قاله الرب عن مرور الاشياء كمرور ماء النهر ؛ فهل يقتنع الرئيس ماو بما قاله « لوين يو » نقلا عن الرب ، الا كما اقتنع بما قالته الاغنية الشعبية من سمك « ووتشانغ » ؟

ان الرئيس ، كعادته ، يختبر كل شيء بنفسه ؛ لذلــك يقف **الموقف الثالث** ويصوره لنا ؛ فقد وقف على شاطيء النهر مع الرب ، وسمعه على الطبيعة ، يقول: « كل ما في الكون ، يجري ويمر ، كما يسيل هذا الماء » ؛ لكن مقالة الرب ،هــل تنتهي عند هذ الحد ؟

ان الطبيعة تقدم للكون غير الماء : فيها الجبال والريح ؛ والريـــح تحرك صواري السفن وتراقصها ، لكنها لا تهز الجبال ° فالجبال مقيمة ثابتة في المكان لا تجري جري الماء ولا تسيل سيلانه ، ومثلها جبلا السلحفـاة والافعى ؛ فهما ثابتان وعليهما يرتكز الجسر العظيم وبه يتواصلان ..

والملاحظة في مواقف هذا المقطع ° هي التأمل الذي يستبطن به شيخ القصر كل شيء ؛ يتأمل التغير في ذاته ، فالجسد الذي يخترق النهر اللانهائي هو الذي تحده جدران قصره ؛ ويتأمل في فهم الشعراء لاقوال الحكماء ؛ ويتأمل في أقوال الحكماء على ضوء الطبيعة ذاتها ؛ فيمدّل بكل شيء ، ويضيف نظرته الجديدة الى تراث نفسه من أيام الشباب الى الشيخوخة ، والى تراث الشعر والحكمة من لوين وكونفوشيوس ، والى تراث الطبيعة فيجمع بين الجبلين المتباعدين بجسر واصـل في كل هذه المواقف نظرات تأملية ، وفي كل تأمل تعميق لقضيةٍ وتجديد لها وتوليد منهـــا .

والصورة الثالثة تجديد للصورة الثانيةوتوليد منها ؛و قد سميتها : **الصورة العمرانية في الجسر** ؛ ويقدمها روح الشعر يقول ماو :

اما جبلا السلحفاة والافعى فلا يريمان مكانهما
وقد عقدت النيات على عزمات كبرى ...
لم يكن التواصل قبلهاممكنا، بين الشمال والجنوب ، لولاالجسر
الذي مهد شق المسيل ليصبح سبيلا مسلوكا .
وكان ممتنعا على المرور .
وانشئت الجدر الصخرية ، على مجرى ووشان ،
لتحتبس الغيوم والامطار في حلقومه
وترامى من خلف نفنفه ؛ بحيرة فسيحة جماعة ...

في هذا المقطع ، أيضا ، يلتقي القديم والحديث :

فالقديم هو : الجبلان ، والنهر ، والشمال والجنوب ، والصخور ، والامطار والغيوم ، والناس السابقون الذين عايشوا تلك الموجودات °

أما الحديث فالعزمات الانسانية الكبرى التي عقدت النيات على اعادة تركيب الطبيعة وبنائها بناء جديدا ؛ فلم تسمح لجبلي الافعى والسلحفاة أن يظلا ثابتين في مكانهما ، بل سيرتهما تسييرا حاسما فمشى كل منهما نحو الاخر عبر الجسد المتكيء على كتفيهما وتحرك الشمال نحو الجنوب وصار المرور ممكنابعد شق مسيل نهر « يانغ تسي » ·· ن حركة العمران غيرت وجه طبيعة الصين فتواصلت أطرافها المتباعدة وأباحت نفسها المسالك المتمانعة · وخلق هذا التوحيد العمراني بين مظاهر الطبيعة القديمة صورة جديدة للطبيعة المتواصلة بعزمات الانسان ··

ان عزمات الانسان الكبرى لم تجدّد في الجبال والأرض فحسب ، بل جدّدت في مظاهر « الغيوم والامطار » ، أيضا ، فقد حبست وراء السدود التي اقيمت في القسم الغربي من « يانغ تسي » ·· اقيمت سدود عظمى وحصر الماء عند أعالي النهر ومنابعه ، حيث ينهد جبلا « ووشان » في ولاية « ووشان » من مقاطعة « ستشوان » ، ويتحرجس نهر « يانغ تسي » في بعض حلاقيمه المشهورة وقد أطلق على احدى ذرى هذا الجبل الاشم اسم « ساعد الآلهة » ··

التجديد في المظاهر القديمة · ان حركة العمران التي خلقتها عزمات الانسان ، سيرت الجبال لتواصل الشمال والجنوب ؛ وأقامت الجدر الصخرية فاحتبست الغيوم والامطار في حلقوم الجبل بصورة بحيرة فسيحة جمامة ··· لم تعد الغيوم تائهة ، ولم تعد الامطار ضائعة ؛ ان الغيوم المبددة والامطار الموزعة دخلت في وحدة البحيرة فصارت تجديدا في الطبيعة ·

وتبقى ملاحظة الصورة الشعرية البديعة في قول الشاعر : « لتحتبس الغيوم والأمطار في حلقومه » ان « البحيرة في حلقوم الجبل » تعني معاني عميقة وبعيدة ؛ فكأن الجبل انسان له حلقوم ؛ وكأن الجبل كان ظامئا من عصور بعيدة ؛ بل كان جبلا جامدا لا أكثر ، في عصر « النيت المعقودة على العزمات الكبرى » تحققت الوحدة بين الطبيعة و الانسان فصار الجبل « انسانيا » ذا حلقوم ؛ وصار الانسان « طبيعيا » ذا ادراك لحاجة الجبل ، فحبس له الماء في حلقومه ليرتوي ويمنح الري ·· البحيرة « في حلقوم الجبل » مستوى جديد من الحياة ومن التعبير عن الحياة ··

أما الصورة الرابعة والاخيرة في قصيدة السباحة ، فهي صورة التجدد في العصر ، ويلونها روح الشعر بقول ماو :

لو كانت إلهة الجبل ما زالت في الوجود
لدهشت استغرابا
ورات ان عالما جديدا عجيبا قد خلق •

لقد مشى روح الشعر في القصيدة مشية تطورية تصاعدية ؛ توازن بين أطوار عمر الانسان ذاته ؛ وبين الثقافة الموروثة من الشعب والشعر والحكمة وبين الثقافة التي يهمها الاختبار الذاتي ؛ وبين الطبيعة الطبيعية قبل تغيير الانسان لها و بين الطبيعة الانسانية ، أي التي عمرها الانسان تعميرا جديداً ••

لاحظنا هذه الموازنات في الصور : الشابية ، والتأملية ، والعمرانية ؛ وكانت تلك الموازنات بين عناصر انسانية وطبيعية •

أما في الصورة الرابعة فان روح الشعر يصعد الموازنة فتصبح بين الآلهة والبشر ؛ ان عصر الآلهة هو العصر القديم ؛ وان عصر الانسان هو العصر الجديد؛ فقد سبق القول ، في الصورة العمرانية ، ان احدى ذرى جبل « ووشان » يطلق عليها اسم « سعد الآلهة » في أغنية مشهورة لـ « سونغ يو » (٢٩٠ ــ ٢٢٢ق•م) وتلك الاغنية ما زالت محفوظة في نخب الاطاريف المتدارسة • وخلاصتها :

« إن احدى الالاهات حتفت للملك « سيانغ » ، ملك « تشو » ، في منامه قائلة . انها حين تخرج من مكمنها ؛ فستصحي في الصباح سحابة ؛ وفي المساء ، مطرا » •

ان تلك الالهة المدلة على الملك في منامه ، المتفضلة على مملكته بالسحاب والمطر في الحلم ، لو وجدت في هذ العصر الانساني المتيقظ ورأت « البحيرة في حلقوم الجبل » بصورة مستمرة ، لدهشت ورأت في يقظتها « ان عالما جديدا عجيبا قد خلق » •

هذا «العالم لجديد العجيب» هو عالم التجدد المصري ، عالـم الرئيس « ماوتسي تونغ » لا عالم الملك « سيانغ » .

فعالم الملك « سيانغ » عالم الاحلام ، يأخذ فيه الملك من الآلهة أحلاما ، ويروي أرض بلاده ، ويسقي شعبه من ماء الاحلام الآلهية ..

أما عالم الرئيس « ماوتسي تونغ » فعالم « العزمات الكبرى » التي توحد بين الجبال المتباعدة بالجسور ، وتحتبس الغيوم و لامطار بالسدود والبحيرات ؛ ان هذا العالم هو عالم اليقظة ؛ لذلك هو « عالـم جديد عجيب » خلق بغيـاب الالهة الاسطورية التي كان يستمد منها الملوك أحلامهم وعمرانهم ..

- ٧ -

ان قصيدة « السباحة » مستوى تجددي من الابداع الموجد ، على صعيـد الحياة ، ومن الابداع المجسد ، على صعيد التعبير .. وصورها الاربع :الشبابية، التأملية ، العمرانية والتجددية ، تشكل مـادة طيبة لاكتشاف مستوى رابع مـن مستويات « روح الشعر الوحيد » ؛ أعني : **مستوى الباحث الموحد ، او مستوى الايمان الموحد .. فما هي صور ذلك المستوى ؟**

المستوى الرابع

مستوى الباحث الموحد

- ١ -

ليس عنوان هذا المستوى دقيقا بالنسبة لما يدور في فكري عن مادته المستمدة من قصائد الرئيس ماو جملة واحدة ؛ فقد يصح أن يسمى : مستوى الايمان الموحد ؛ وقد يصح أن يسمى مستوى الواحد ·· أو غير ذلك من أسماء ··

سادع أمر العنوان ، لان ، لعل عرض المادة يساعدني في تفصيل اسم لائق بها ودقيق الدلالة عليها ؛ فمادة هذا المستوى واجهتني من القصيدة الاولى خصوصا ، وحتى القصيدة الاخيرة ؛ لكن التمثيل لها ببعض من هذه القصائد يجعلها واضحة في سواها (١) ·

- ٢ -

لاحظنا في مستويات « الوحدة الماوتسية » أن الرئيس ماو جعل الطبيعة مرتكزا له في التجربة الانسانية التي تتممها في المستويات الثلاثة : مستوى الوحيد ، ومستوى التوحيد ، ومستوى التجديد ·· ويستطيع القارىء البصير ان يتعمق أكثر في قراءة شعر الرئيس ماو ليكتشف أن مستويات الوحدة الماوتسية ليست الا أساليب **باحث يجرب على نفسه وعلى بني جنسه تجارب متنوعة تتحد في الغاية وهي معرفة السر الاكبر الذي يسير أقدار الطبيعة جميعا** · لقد وجه الواقف وحيدا في برد الخريف « اهتمامه الى ذلك السر » ولم يخف ذلك عنا ، بل صارحنا به من القصيدة الاولى ، كما مر بنا ، فقال :

---

١ ـ تأمل الفصل السادس من هذه الدراسة

لقد اختلبني هذا الجلال
واسرت لبي هذه العظمة
فوقفت أسائل الأرض في انفساحها المبهم :
اي مليك عظيم •
هذا الذي يسير أقدار الطبيعة جميعا ؟!

ان الرئيس ماو ، يلقي هذا لسؤال على الارض بعد تأملات طويلة في الخريف ؛ تشوف بها الجبال وما بث بها من احراج ؛ ورأى فيها المياه وانسياحها نحو اللانهاية وما ينزلق فوقها من مراكب وما يتسرب في أعماقها من أسماك ؛ وفكر خلالها بحركة كل مخلوق وما تحتها من دوافع وميول وطباع وسجايا ••

بعد كل هذه التأملات اكتشف الجلال والعظمة ، واعترف بتأثره الشديد بهما ؛ فالجلال اختلبه بما له من روعة وفتون والعظمة أسرت صميمه بما لها من جاذبية •

لكن الرئيس ماو ليس شاعرا فحسب ؛ انه لا يقف عند حدود التأثر والتعبير ، بل يخطو دائما نحو التغيير ، والتغيير له قواعد وأصول ؛ فما هي قواعد الجلال الذي اختلبه ؟ و ما هي أصول العظمة التي أسرته ؟ أتعرف الارض في انفساحها المبهم هذه القواعد والاصول ؟ وكيف تعرف ، وهي ذات « انفساح مبهم » ؟ أيعلم « المبهم » وضوحا ومعرفة ؟

ان الحكيم ماوتسي تونغ ، يدرك أنّ السر فيما وراء الارض ، فيمن « يسير اقدار الطبيعة جميعا » ؛ ويدرك أن هذا المسير « مليك عظيم » ؛ لكن السؤال الماوتسي الاكبر : من هو ذلك المليك العظيم الذي يسير أقدار الطبيعة جميعا ؟

- ٣ -

ان الطبيعة موجودة ، وهي مسرح تجارب ماو الفسيح ؛ وان لهذه الطبيعة أقداراً تسيرها ، وقد ماشينا مستويات التعرف الى أقدار الطبيعة ، ورأينا الرئيس

١ ـ شعر من الصين ، ص ٢٣ ـ ٢٤

ماو في مستوى التجديد كيف يوازن بين تسيير الآلهة الاسطورية للمطر والسحاب وبين تسيير البشر لهما وتجسيمهما في « بحيرة فسيحة جماعة » ؟ وتلك الموازنـــة في قصيدة « السباحة » تقع في صميم المسألة الكبـرى التي طرحها روح الشعـر الوحيد ، بـدءا من القصيدة « مشانغ تشا » ؛ ولمـاذا كل هذا الاهتمام بسر تسيير أقدار الطبيعة ؟

في قصيدة « طرد اله الطاعون » ، وهي القصيدة الاخيرة ، نوع من الموازنة بين سرعة الطبيعة في حركة الارض وسرعة الشعب الصيني في العمل ؛ وتلـك الموازنة تذكر بحكماء الزمن الماضي ، الذين كانوا يستوحون حركات الطبيعة ويتحدونها قدوة ليصبحوا أكثر قوة وقدرة • والى ذلك يشير الشاعر « يي كتغ » بقولـــه :

عندما يلاحظ الحكيم سرعة العالم الهائلة
فما عليه الا أن يحاول التغلب عليها •
بقدرة أكبر منها •• (١)

ترى ، ألذلك يبحث الرئيس ماو عن سر تسيير أقدار الطبيعـة ، ويسأل الارض عن ذلك المليك العظيم الذي يسيرها ؟ وهل أجابته الارض وأخبرته من هو ذلك المليك العظيم الذي قاده التأمل الى وجوده ؟

– ٤ –

يبدو أن ماو دار في الارض دورة الخريف والشتاء والربيع ، فظل وحيدا يوحد مائة شعب ؛ وظل وحيدا يجدد العالم ويعبر الدنيا ؛ وظل وحيدا يبحث عن المليك العظيم ، فلم تجبه الارض في ثلاثـة فصولها ، ولم يبـق للارض الا فصل الصيف ، فان أخبرته عن المليك العظيم كف عن البحث ووصل الى الغـاية ، والا فانه سيتخذ « مرتكزا » له في غير الارض،ويقرر من هناك قرارا نهائيا بشأن الارض فأين نجد هذه المحاولة الخطيرة في شعر الرئيس ؟

---

١ ــ شعر من الصين ، ص ٩٦

(أ)

ان قصيدته الحادية عشرة « كوين لوين » هي مكان هذه المحاولة الحاسمة في أفكار الحكيم الشاعر •

يختصر الرئيس ماو الارض في جبـل « كوين لوين » ويلاحظ تكون الثلـج وذوبانه ، ويراقب مصير الناس في الفيضان ، فيقول :

امتد كوين لوين العملاق عبر الفضاء
فاشرف على الكون
وتمتع بجمال الارض كله

وانتفض ثلاثة ملايين تنين من اليشب
تخفق باجنحتها خفقا
فاستولى البرد القارص على السماء جميعها

وحان الصيف
فذابت الثلوج
وفاضت انهارنا وطمت
واصبح الناس ـ في الفيضان ـ أسماكا أو سلاحف
كفاء حسناتهم ، أو وزن السيئات •••
من كان يستطيع آنذاك
أن ينبس بكلمة أو يدلي برأي ؟ !!

هذا قسم القصيدة الاول ، وفيه ثلاثة مشاهد :

(ب)

المشهد الاول لامتداد الجبل العملاق عبر الفضاء - واشرافه على الكـون ، وتمتعه بجمال الارض كله ••

ان جبل كرين لوين ، جغرافيا ، جبل متوضع في « سيكيانغ » ، عند أعالي نهر « خوتان » . وقد يطلق هذا الاسم كذلك ، على سلسلة الجبال الممتدة من هضبة « البامير » ، حتى الجنوب الغربي من الصين ، مارة بتخوم « سيكيانغ » و «التيبت» وهي تضم كثيرا من هضاب « تشينغهاي » و « كانصو » و « ستشوان » ولذلك اتخذت أهمية خاصة ، تلاحظ في « ميشان » ، لانها واقعة على حدود « تشينغهاي »و«كانصو» و « سيتشوان » .

الرئيس ماو يعملق الجبل حتى يطل به على الكون ، وحتى يعطيه كل ما تتمتع به الارض من جمال ؛ « وتمتع بجمال الارض كله » ؛ هذه العبارة تؤلف روح الشعر في قلب ماو وعقله ؛ فجوهري الارض الجمال ، وجوهري التعامل مع الارض هو التمتع بجمالها وتذوقه وتقديره ، وما سوى ذلك وهم وزوال . لذلك يختصر « ماو » الارض بجبل « كوين لوين » من هذه الناحية الجوهرية .

والمشهد الثاني ، في هذا القسم من القصيدة يصور تكون الثلج ، واقعيا واسطوريا .

فصورة الثلج الواقعية أنه يتوضع على الجبل فيمس كل شيء فيه بشراشفه البيض وينشر البرد في الجو ، كما نلاحظ في قصيدة « الثلج » .

أما صورة الثلج الاسطورية فتلونها عبرة الشاعر التي استعار بها من أقوال القدماء صورة « ثلاثة ملايين تنين من اليشب » ؛ فالقدماء يقولون :

« عندما يقع ثلاثة ملايين التنين من اليشب في الاسر ؛ تتطاير حراشفها المنتزعة وتتناثر في الجواء والسماوات .. وهم يرمزون بذلك الى العواصف الثلجية » ويقول الشاعر :

« لقد استعرت هذه الصورة لأصف بها الجبال المغشاة بالثلج » .

« وفي الواقع ، انه حينما يلقي المرء بنظره من أعالي جبال « مينشان »زمن الصيف ، يشاهد مجموعة من الجبال كأنها تتراقص في عاصفة بيضاء (١) » .

١ ـ شعر من الصين ، ص ٥٨

وتقول الاسطورة الشعبية : ان هذه الجبال لتتوهج اذ يمر بها ملك القرود « سوين ووكونغ » فيخمد شواظها بمروحته العملاقة المنسوجة من مزق الاعلام التي استولى عليها • ولذلك فهذه الجبال ناصعة البياض يققة » (١) ••

ولماذا يهتم الشاعر بصورة الثلج ؟ أليس ليقول لنا أن البرد يستولي « على كل شيء » ويمتد استيلاؤه من الارض الى السماء فيستولي « البرد القارص على السماء جميعها » ؛ والمقصود ، هنا ، بالسماء : الجو المحيط بالجبل ؛ لان الجبل يمتد عبر الفضاء فيكون انتشار البرد القارص على مسافات عالية فوق الارض ••

لكن صورة « البرد القارص المستولي على السماء جميعها » تذكرنا بالوحيد الذي وقف في برد الخريف ، وثلج الشتاء ، وماء النهر اللانهائي : وتدعونا الى التساؤل كيف استطاع أن يقف ؟ ونعرف الجواب : فقـــد وقف وحيدا في البرد ليكتشف السر الطبيعي ويغير الدنيا ويصنع عالما جديدا •• فهل يصور الثلج هنا ، بصورتيه الواقعية والاسطورية ، ليخيفنا من البرد ، أم ليأخذ بيدنا الى عالم جديد من الدفء والصحو ؟

في المشهد الثالث نوع من التحول الى عالم جديد ؛ اذ يحين الصيف وتذوب الثلوج ؛ لكن ذوبان الثلوج تحد طبيعي آخر للناس ؛ لان ذوبان الثلوج المتراكمة عـــلى ذرى « كوين لويـــن » ، في الصيف ، تمد منابـــع نهري « يانسغ تسي » و « هوانغ هو » فتفيض الانهر وتعلو بما يحمله الفيضان أحيانا من جذوع الاشجار الضخمة •••

لكن الشاعر الحكيم يعمق ادراك الفيضان فيجعله صورة من القيامة التي يحاسب فيها الناس على أعمالهم فيكونون أصنافاً ؛ فمنهم المحسنون الذين يصبحون أسماكا كماء حسناتهم ؛ ومنهم المسيئون الذين يصبحون سلاحف وزن سيئاتهم •

ويلاحظ دكتاتورية الفيضان الطبيعي ، في أزمـة الفيضانات ، فمن كان من الناس « يستطيع أن ينبس بكلمة او يدلي برأي » ؟

---

١ ــ نفسه ، ص ٥٨ ــ ٥٩

لعل الرئيس ماو يريد أن يجسد صورة استسلام الناس في الماضي لاستبداد الطبيعة ولاستبداد الحكام ؛ لان الحكام كانوا يسقون من « ماء الاحلام » الذي تجود به الآلهة الاسطورية ، كما لاحظنا في قصيدة « السباحة » .

لكن هل بقي الامر على حاله في زمان ماو ؟ هل لا يزال كوين لوين يتعاظم بنفسه على الناس ؟ هل لا يزال البرد يستولي على سماء الناس ؟ هل لا يزال دوب الثلج يستبد بالناس فيستففهم كما يشاء ؟ وما هو السر في كل ذلك ؟

- ٥ -

ان « روح الشعر الوحيد » يجيب على هذه الاسئلة في القسم الثاني من قصيدة كوين لوين ، فيقول بلسان الرئيس ماو :

أما الان :
فانا الذي يحدثك يا كوين لوين
لا تتعاظم بنفسك
وتشمخ في عنان الجو ، حتى تتعمم بالثلج
افلا استطيع أن اجعل السماء مرتكزي ،
واستل حسامي
فاقدك ثلاث قطع ؟!
اهب قطعة لاوروبا
واخرى لامريكا
واستبقي الثالثة للصين ؟ !

أيها الكون المسالم ! !
ستبقى الارض كما هي ،
وسيبقى على ظهرها النقيضان :
السخونة
والبرودة ! !

(أ)

نتذكر القصيدة الاولى ، كيف سأل الارض عن المليك العظيم الذي يسير أقدار الطبيعة جميعا ؛ ونتذكر مباريات الانسان للطبيعة في القصيدة الاخيرة ، وفي قصيدة السباحة ؛ وهنا، نضع في الاعتبار كيف جمع الارض في « كوين لوين » في القسم الاول من هذه القصيدة ، لندرك من حديثه لهذا الجبل توجها إلى الارض كلها ، بكل ما يمثله هذا الجبل من المعلقة والامتداد أرضا وجوا ..

هذا التحدث الى الارض يعني أن الارض التي هي رمز الطبيعة ، لا تملك جوابا واضحا عن « المليك العظيم الذي يسير أقدارها جميعا » ؛ وبما أنها لا تملك الجواب ، بعد أن خبرها الرئيس ماو في فصولها الاربعة ، فان عليه هو أن يحدثها بالخبر اليقين وأن حديثه ، هنا ، قرار انساني أخير ؛ لكن الرئيس ماو وضعه بصيغة سؤال : « أفلا استطيع أن اجعل السماء مرتكزي » ؟

(ب)

ان هذا الانتقال من الارتكاز على الارض الى الارتكاز على السماء ، يعني كثيرا ، ويقرأ قراءات مختلفة ومتنوعة ؛

من أقرب هذه القراءات وأعمها أن يكون الرئيس الحكيم قد اكتشف أن المليك العظيم » الذي سأل الارض عنه موجود في السماء أيضا ، ومن أجل الارض ؛ لذلك يقترب منه الروح الوحيد ويستمد منه استطاعة تسيير الارض وتوزيعها توزيعا ثلاثيا جديدا : « قطعة لاوروبا ، وأخرى لامريكا ، والثالثة للصين » .

يبدو أن هذا القرار « الماوتسي » مستقبلي ، يتفتح في الحاضر ؛ وذلك من شأن « من يسير أقدار الطبيعة جميعاً » ، وذلك « المليك العظيم المسير » كشف « للروح الوحيد » المتعالي الى مرتكز السماء من المصير الذي يفرض على الطبيعة حركتها ، توحيدا وتجديدا ؛ والذي يمنح الانسان استطاعة التوحيد والتجديد لأن الارض والسماء وما بينهما مسخرات له بتسيير « المليك العظيم » .

ان هذا الاكتشاف يتبلور في المشهد الاخير من القصيدة ، اذ يخاطب الروح الوحيدة العالم بالسلام : « أيهاالكون المسالم » ·· لكن : هل تنطبق هذه الصفة على عالمنا الحاضر ؟ هل الكون مسالم والحروب تتفجر في كل مكان من شرقه وغربه وشماله وجنوبه ؟

(جـ)

ربما تفهم العبارة باتجاهين : الاول زمني ؛ والثاني ايماني ؛

أما الاتجاه الزمني في فهم العبارة ، فقد يكون مقصد الرئيس « ماو » أن الكون سيكون مسالما في المستقبل ، ولعله يعني مستقبل التوزيع الجديد الذي استل سيفه ، وهو مرتكز السّماء ، وأحدثه ؛ فأعطى أوروبا ثلث العالم ، وأعطى أمريكا ثلثا ثانيا ، وترك للصين الثلث الثالث ؛ ولم يحدد مناطق نفوذ كل من اوروبا وأمريكا والصين ؛ ولعله رمز بكل منها الى جهات عديدة تمثلها ، كأن يكون رمز بحصة الصين الى الشرق كله ؛ لان « الشرق أحمر » كما يقول (١) ·

واذا قبلنا ،مبدئيا ، هذا التقسيم ؛ هل يكون الكون مسالما ؟

ربما يكون ، وذلك رجاء الانسانية ، وان كان « الحسام » هو الذي قسم العالم هذه القسمة ··

أما الاتجاه الايماني في فهم العبارة ، فقد يكون المقصود فيها أن « المليك العظيم » الذي « يسير أقدار الطبيعة جميعا » ، هو الذي يقرر مصير العالم ويجبره عليه ؛ والعالم مسالم ، أي هو حيادي لا يستطيع دفع الموت كما لا يستطيع رد الولادة · ان العالم مهما « تعاظم بنفسه » ومهما « شمخ في عنان الجو » ، فانه مسير الى أقداره التي يسيره اليها «المليك العظيم » ·

قد يقبل الاتجاه الاول فريق من الناس ، وقد يقبل الاتجاه الثاني فريق

١ ـ المصطلح يرمز الى الطبيعة ، فحمرة الشرق عند الشروق معنى قريب ومعروف ·· وحمرة الشرق الانساني بمعنى التفرد الشيوعي قد يكون هو المقصود ··

اخر . وذلك من طبيعة الوجود : لان « الارض ستبقى كما هي ، وسيبقى على ظهرها النقيضان : السخونة والبرودة . » . كما يقول ماو في ختام قصيدته ..

(د)

ألا تبدو خاتمة القصيدة قرارا لبدء جديد ؟

لقد جرب الروح الوحيد فصول الزمن الاربعة بعناصر الارض ، فوصل الى قرار حاسم هو التناقض : فالارض باقية كما هي ، الآن وفي المستقبل ؛ وهذا يعني ضرورة تعايش المتضادات على سطحها : لان السخونة والبرودة ستبقيان على ظهر الارض .

وقد يخطر على البال سؤال : وما قيمة ما بذلناه من الجهد لاكتشاف المستويات السابقة ، توحيدا وتجديدا ؟ ما دامت الارض ستبقى كما هي ، فأين التجديد ؟ وما دام النقيضان سيبقيان على ظهرها فأين التوحيد ؟

ان التأمل العميق في قصائد الرئيس ماو ، وفي دراسة « الوحدة الماوتسية ومستوياتها » ، يقود المتأمل الى مستوى الموحد بين النقيضين ، المؤمن بالكون المسالم المدرك لهذا التوحيد ؛ والرئيس ماو نفسه يقول في التناقض : « ان قانون التناقض في الاشياء ، يعني قانون وحدة المتضادات ، هو القانون الاساسي في الطبيعة والمجتمع ، وبالتالي هو قانون الفكر الاساسي (١) » ..

(هـ)

ليس هذا القانون غريباً على جوهر الايمان . فروح الايمان يفتح الحياة من جدل النقائض ؛ فالنهار ينبثق من الليل والليل يفيض من النهار ؛ والحي يخرج من الميت ، والميت يخرج من الحي ؛ كما في مئات الآيات من القرآن الكريم ؛وكما

١ ـ أربع مقالات فلسفية : بكين . دار النشر باللغات الاجنبية ، ١٩٦٨ ، ص ٧٤

ي مواقع كثيرة من الكتاب المقدس بعهديه ؛ وحتى في آثار المتصوفين تمضي الى طائفة في المستوى المؤمن بالتناقض ووحدته •

ودعوتي جامعـــة للـورى يدعو بها المؤمن والكافر (١) ••

لكن الفرق بين المكزون السنجاري الذي قال هذا البيت الجامع أو الموحد بين النقيضين وأمثاله من المؤمنين الايمان الديني اليوم ، وبين الرئيس ماوتسي تونغ الموحد بين النقيضين ،هو أن الرئيس ماو بحث بحثا ماديا أوصله الى الوحدة•• بحث عن « المليك العظيم الذي يسير أقدار الطبيعة جميعا » بحثا جادا ، ليكتسب منه سر تسيير الطبيعة العملي ، ووعى جيدا أن الطبيعة مسخرة للانسان وان لها قانونا ، على الانسان أن يكتشفه بالعمل والجهد ليتمكن من خيراتها ، فيواصل بين الجبال المتباعدة بالجسور الممتدة ، كما في قصيدته : عش الكراكي الاصفر ، وطرد اله الطاعون ؛فالسماوات لا تردم الشواطىء التي تعيش بها القواقع المقرنة حاملة الوباء ، لكنها تطلب من الانسان أن يعمل ذلك ؛ وهكذا وجه الرئيس ماو نفسه وشعبه ؛ فكان الوحيـد الذي وحد مائة شعب في الصـين ؛ وكان الوحيد ، الذي جدد طبيعة بلاده فوحد بين جبالها ومياهها بالعمر ن ، كما أوضحت ذلـك في المستوى الثالث ، مستوى التجديد ؛ وكان الوحيد ، الذي آمن « بالمليك العظيم ، مسير اقدار الطبيعة » ، فوحد جهوده وجهود مائة شعب في بلاده ليحققوا لذلك « المليك العظيم » ما يريده من « الكون المسالم » •

– ٦ –

ان اعادة النظر في «الوحدة الماوتسية » كما بدت لي من خلال شعره ،وكما بسطتها في هذه الدراسة ، تكشف مبررات المقدمة التي انطلقت منها ؛ وهي : « ان التحدث عن روح الشعر ، في ديـوان الرئيس ماو من الاحاديث ، بل مـن الامور النافعة لبشر عصرنا ، عربيا وصينيا وكونيا ؛ لان روح الشعر «الماوتسي» روح وحيد ؛ ووحدته تجديد وتوحيد »

---

١ ــ معرفة الله والمكزون السنجاري : المجلد الثاني ، ص : ١٠٤

كما أن اعادة النظر في القصائد ذاتها على ضوء هذه الدراسة تمكن من تناولها فنيا ؛ اذ يستطيع الناقد أن يكتشف من قصائد الرئيس ماو **أهم الموضوعات النقدية المطروحة ، مثل :** الموروث والموهبة الفردية ·· القدرة على التطور في عالم مختلف ·· المشكلة أمام الفنان المعاصر ·· احساس الشاعر بعصره ·· الانسان والتاريخ في الشعر ·· المعادل الموضوعي ·· كيف ينقل الشاعر المعنى (١) ·· الخ

هذه الموضوعات النقدية تدخل في « باب الشعر » ، ويصلح كل منها لتشييد بحث عليه ، وقد لا تقل دراسة هذا الباب نفعا عن دراسة الباب الذي قدمته ، أعني « باب روح الشعر » ؛ وقد قدمت الروح لأسباب أشرت اليها في المقدمة ، ومنها السبب اللغوي ، فدراسة الخيال السمعي مثلا تعتمد على معرفة اللفظ اللغوي في لغة الشاعر ، وذلك ما لا أعرفه الآن ، وآمل أن أعرفه يوما فلا يحال بيني وبين دراسة شعر الرئيس ماو دراسة متكاملة ، أضيف اليها صورة الفيلسوف والقائد كما ترسمها مؤلفاته النثرية الكاملة ·

لكنني قبل أن أودعكم على أمل اللقاء ، أمثل لكم ، بصورة موجزة ، كيفية **دراسة القضايا النقدية التي يهتم بها نقاد عصرنا على ضوء دراستي لروح الشعر الماوتسي ؛** فأنا أظن الشعر يفهم بروح الشعر ، كما أن الشعر يوصل الى روح الشعر ، اذا كان الناقد شديد التمرس بتحليل الصورة الشعرية ، واذا كان صبورا جدا على قراءة الشعر واستدراج كل ما في الكلمة من معان وايحاءات ·

وأختار قصيدتين لم أذكرهما فيما سبق ، وهما : **تابوتي ؛ وهو يتشانغ ؛ وأعتبر ذلك من باب الشعر وأفق الفن · فماذا هناك ؟**

القسم الثاني من هذه الدراسة في العدد القادم

١ ـ لاحظ مثلا : موضوعات كتاب « ف · أ · ماثيسن » بعنوان ، ت·س· اليوت الشاعر الناقد

توماس هود
ومختارات من شعره

بقلم : يعقوب أفرام منصور

لقد اعتمدت في تقديم هذا البحث على مقدمة الديوان (١) بقلم السير فرانسس كاولي برنارد (*) ، واكتفيت بذلك ، اذ ألفيته ملماً بجوانب شخصية الشاعر وبخصائص نتاجه •

ولد توماس هود في الثالث والعشرين من أيار ١٧٩٩ ، وتوفي يوم السبت الموافق ٣ أيار من عام ١٨٤٥ • وهذا يعني أنه أبصر النور عشرة أعوام قبل مولد اللورد بايرون الذي قضى نحبه عام ١٨٢٤ ، وعشرة أعوام قبل ولادة تنيسون الذي ولد عام ١٨٠٩ ، وثلاثة عشر عاما بعد مولد الشاعر براونتنج • وثيودور هوك الذي عند موته عام ١٨٤١ خلفه هود في تحرير مجلة (كولبرن) الشهرية الجديدة ، كان سابقه بأحد عشر عاما ، اذ كان مولده سنة ١٧٨٨ •

تعرف توماس هود على شارلس لامب ، عندما كانت سنه زهاء أربعين عاما ، ويصفه لامب لكولرج بأنه « شاب صامت ، عليل ، التقيته أنت في اسلنجتون(٢) يوما ما » ، ويضيف لامب في ختام رسالته قائلا : لقد وفد هود حديثا ، ولمعت عيناه المريضتان بالعافية عندما طالع استحسانك » • وكما يقول كانن اينجر(٣)

(١) من طبع The Gresham Publishing Co., London - من غير تاريخ للطبع أو للمقدمة •

(*) Sir Francis Cowley Burnard .

« لقد سرح هود في نهر مع رجال مختلفين ومعمين نظير لامب ، وكلار وآلن كننجهام، وكاري ، وجون هاملتون رينولدز ودكوينسي • كما اغتبط كثيرا بملاقاة وردزورث وكولرج •

وفي أواخر سني حياته ، توثقت عرى الصداقة بينه وبين الروائي شارلس ديكنز ، وفي مذكرات نجل وابنة هود ، ورد ذكر ديكنز وعائلته ضمن الذين أدخلوا البهجة كثيرا الى قلبه في أعوامه الاخيرة • واذ أنه لم يكن قوي المنية مما اقترانه، وقاسى باستمرار من اعتلال صحته ، والضائقة المالية التي أحاقت به ، فقد كان مضطرا الى الانتاج الادبي في أوانه وفي غير أوانه ــ مجراة لمشربه وضده •

كان هود من المساهمين في النشر على صفحات مجلة (بنش)[٤] حتى مجلدها لعام ١٨٤٣ ، حيث قصيدته المشهورة (أغنية القميص) التي تشغل وسط الصفحة المخططة حواشيها على غير نسق معين من قبل متفنن برز سريعا ، يدعى ريتشارد، أو بالاحرى ، ديكي دويل (٥) • تشير هذه الرسوم الى مواضيع ذلك العهد ، ولا تحمل أي ضرب من الاشارة الى القصيدة العصماء • وقد حذف مارك ليمون (٦)، بصفته محرر المجلة ، مقطعا من القصيدة كي يستوعب الفراغ المتوفر لديه مقاطع القصيدة •

يرى القسيس توماس بارهام (٧)في تلاعب هود بالالفاظ أنه مهما كانت حسنات هود وسيئاته ، فقد كن لثيودور هوك منافسون قلائل ، وشخص واحد أفضل منه منزلة ، ان لم يكن غيره ، ويعني به توماس هود • ولو أريد الحكم على توماس هود من خلال توررياته فحسب ، لفاز ثيودور هوك ، الذي ــ بقدر علم السير برنارد ــ لم يكتب مطلقا بشكل جاد ، ولا من حنو أو عاطفة • ان مذكرة برهام قد سطرت قبل أن يقدم هود الى العالم قصيدته الشهيرة (أغنية القميص)

أما ثاكراي ، فيكتب عن هود كما لو أنه قد أسهم في تكوينه ، ويمتن فيملا

(٢) Islington (٣) Canon Ainger (٤) Punch (٥) Dicky Doyle

(٦) Mark Lemon (٧) Rev. Thomas Barham

بشأن مصيره • ويبدو أنه قد شط عن سواء السبيل ليظهر نفسه ممتعضا من هود لرفضه النهج الادبي الذي كان سيختاره له • ويلوح غريبا أن ينسى الناقدالرقيق القلب الالتزامات التي كانت ملقاة على عاتق هود في الابقاء على جسمه وروحه سوية من أجل ذريته وأولاده الذين كانوا معتمدين على عمله كليا • ان ضرورة تهيئة الخبز اليومي لهم ، كانت لديه أم الاختراع ، وقد أوضح حاله ، بذات المزاح الذي كان من صميم جوهر طبيعته ، قائلا : « لاجل رزقه فقط ، كان هود دائما حيويا (٨) • هكذا كان المزاح الهازل الذي به شاء أن ينتقد عمله • لقد ثمن أحسن ما أودع فيه على أنه هبة علوية •

عاطفته النادرة كانت في الحقيقة نادرة • كان حصان هود (المجنح ٩) ، الشديد الحمية ، سيموت جوعا لو أنه كان مطيته الوحيدة • تطير هذا الحيوان الترف ، عجز هود عن الحفاظ عليه ، من دون استخدام مهره الذي كان في نشاط دائم ، ومستعدا ليحمل سيده ويعود يوميا من السوق موسوما بالطعام للعائلة ، وبالعليق لاطعام الحصان المجنح الذي كان يحتجز لمجري القليل •

وجدير بالذكر هنا أن توماس هود لم يكن من يعرف عادة بشخص هزلي ، اذ كان يمتلك قليلا من المزاح الحقيقي ، وباختصار لقد كان أردأ مثال ممكن لثقيل الظل • لقد كان ثاكراي ناقما عليه بسبب هزلياته ، لكن لم يكن حبيثا به أن ينقم • لقد نعت كانت اينجر هود بأنه شاعر غنائي صميم ، وذو أغراض غير هازلة ، وهذا الوصف يناقض تماما نعته بشخص هازل •

أعتقد ثاكراي (١٠) أن هود لم يقدر ، كما ينبغي ، طاقته الذاتية الجادة ، بل حسب أن قوته الرئيسية تكمن في التنكيت والمزاح • كان ثاكراي مخطئاً ، اذ لم يكن التنكيت والطاقة على الاضحاك مفتعلين في الرجل ، وهو قد كسب الرزق

(٨) ليدرك القارىء التورية والجناس في كلام الشاعر عن نفسه ، الرت نقل النص الانكليزي بحذافيره : «It was only for his Livelihood that he was ever a Lively Hood»

(٩) Pegasus (١٠) Thackeray

من خلالهما • يبدو أن ثاكراي قد تجاهل الخسارة المالية التي تعرض لها هود ، ووجود قرينته وأولاده المعتمدين في رادهم على نكتته وفكاهته الجاهزين أبدا • انه ككاتب شعر سلس وتلقائي العبارة ، تزينه النكتة وتجلجله القوافي ، كان هود شاعرا لا يضارع في أصالته وسليقة التنكيت التي لا تقهر • أما كروائي أوصحفي فلا يمكن وضعه فوق مستوى الجمهور • لكن الشعر كيانه ، فقد كان شاعرا متعدد الافاق ، أبان عنها بأشكال متباينة ، بعضها أقل شأنا من عداها ، بيد أنها جميعاً جيدة ، وغير قليل منها أكثر من ممتازة •

لقد أعرب السير فرانسس كاولي برنارد ، بعد قراءة (أغنية القميص) والعودة اليها مرارا وتكرارا ، انه لا يعتقد بوجود قصيدة أخرى جادة للشاعر هود ، يتمسك بها ، حتى قصيدته « جسر التنهدات » ، ويضيف أنه قد يستطيع انتقاء بعض الاشعار هنا وهناك ، على سبيل المثال ، قصيدة (الانسة كيلمانسج) على أنها البديل ، لكن تلك (الفريدة) ـ أغنية القميص المسطرة بلغة المحبة التي تجعل العالم بأسره أنسباء ، قد غزت أفئدتنا جميعا بشكل مباشر • لم يكن الظفر من نصيب كاتبها ، بل من نصيبها ، اذ كانت القصيدة غفلا من اسمه •وقمين بالذكر ان أدنى شك لم يتطرق الى أي فرد من قراء ذلك العدد من (بنش) ، الذي اشتمل على القصيدة ، بصدد مؤلفها • كان المحرر عالما بمؤلفها ، وكذلك كانت هيئة تحرير المجلة • كانت الهيئة سترفضها باعتبارها غير ملائمة ـ كما فعل محررو ثلاث جرائد أخرى قبل ارسالها الى (بنش) ـ لكن بفضل ماركليمون ذي السليقة الثاقبة اذ أبدى تساؤله أن :ماذا سيرضي الجمهور ؟! فقد تجوهل اعتراض هيئة تحرير بنش • وكان مارك ليمون مصيبا • لقد حزر ديكنز سر مؤلفهـا في ذلك الحين ، كان اغفال الاسم ذهبيا ، فقد كانت الحقيقة تعلن جهارا فقط عندما كانت ترد بوقاحة ادعاءات كاذبة بانتحال تأليف الاغنية • فهـل أدرك الجمهور آنئذ أن هذه النغمات الثمينة لم تصدر سوى عن الشاعر الذي كان وشيكا موته ؟ استنادا الى كانون أينجر ، ان الزمن أثبت الحكم الذي صدر حينذاك على أن القصيدة بروعها هي « أفضل عمل » من أعمال الشاعر ، وذلك بالدرجة الاولى لكونها ذات انعطاف وجداني عميق ، وهذا لا يرقى اليه شك • لقد كان في عهد هود مئة من

الشعراء الصغار الذين كان في مقدورهم أن يؤلفوا أشعارا معتبرة وشجية في ذات الموضوع ، بيد أنهم لم يفعلوا ذلك ، ولا حاولوه • « لقد هبط الوحي المقدس على واحد ، واحد فقط ، ومن بين كل الاخرين ، ان كان آخرون ، لم يكن أحـد ليستطيع أن يأتي بالتأثير الذي أوجده هود » على حد تعبير كانن آينجر •

من الصعوبة ، نوعا ما ، وضع هود في مكانته الادبية المناسبة ، فهو ككاتب أشعار خفيفة تفيض بالقوافي والاخيلة الظريفة ، لم يكن له ند • أما من قصائده الجادة ، فسيأتي الكلام لاحقا • وككاتب نثري وروائي ، لا يستوجب عمله الملاحظة فان (ضد مجرى الرايين) يغلب عليها الهزال ، كما يعتقد شارلس ديكنز ،ويتفق معه السير برنارد ، لكن ديكنز قد امتدح (قاعة تيلني) • فهو كروائي ضعيف أو مؤلف مسلسلات هزلية لا يمكن مقارنته مع تيودور هوك ، لكنه كقصصي في أشعاره ، فقد عده السير برنارد أفضل من جورج كولمان الصغير الذي كان يكبره بثلاثين عاما ، كما أن توماس بارهام ، بالرغم من بعض مقطوعاته الشعريـــة النفيسة ، لا يستطيع بلوغ مصاف هود في الشعر •

كشاعر خاضع لحدود امكانياته الذاتية ، لقد ندر من بزه ، وأندر من ذلك من يضاهيه • مع ذلك ، ليس من اليسير احلاله في مرتبته الحقيقية ضمن الشعراء لقد كان عبقريا ، ولم يكن في مقدور أحد أن يعادله سواه بالذات • اذ من العسير تسمية من هو قمين بمضاهاته في موهبة عاطفته الطبيعية غير المصطنعة اطلاقا ، ورصيد لا ينضب من الفكاهة الاصيلة ، ومزاح لا يقاوم منقطع النظير • ومع كونه ذا طاقة درامية قوية ، وجدت سبيلها الى شعره ، وجذبت الانتباه ، الا أنه لم يكن دراميا • لقد كان روائيا من المرتبة الثالثة ، ولم يكن قادرا أن يدعي له مكانة في الرعيل الثاني من الصحفيين العاديين أو المسلين• ويعتقد السير برنارد أن أفضل مثال نثري على كتابته الانتقادية هو وصفه (الليلة التخيليـة الاولى لمسرحية جديدة) • لقد عده باري كورنول شاعرا شفيقا ، فكتب اليه قائـلا : سأجرأ على القول أنه في حالة ادراج اسمك في عداد لشعراء الاحيـــاء ، أن تنظر نحو الامام بثقة الى نجاحك التام » •

ان ثاكراي ، الذي قيم هود منصفا بكونه رجلا ذا طاقة على أن يمس شغاف القلب ، يكاد ألا يضارع ، كان ممتعضا منه لانه – على حد تعبير ثاكراي – ينفق الايام والسنين في كتابة (بن الصغير كان شابا لطيفا ، وما شابه ذلك) • ربما قد ساء الناقد الكبير أن هود لم يختر السبيل الامثل ، لكن لم يكن في مقدور أحد أن يفهم تماما ، أكثر من ثاكراي ، الحاجة القاسية التي أرغمت هود على كتابة أشياء مجلجلة وعلى صياغة التوريات •

تتبوأ قصيدة هود (جسر التنهدات) منزلة الصدارة ضمن روائع هـــذا الشاعر ، ونظرا لما تركت في نفسي من وقع عميق بفضل معانيها ومشاهدهـــا وعواطفها ، واعتبارها من قبل مقدم ديوان هود ، السير برتارده جديرة بمفردها أن تحرز له مكانة لائقة ضمن شعراء العالم الذائعي الصيت ، فقد آثرت نقلها الى العربية كاملة كما مثبتة هنا :

منكودة أخرى
العيش أضناها
طيش أهوج أودى بها

بلطف خذوها
برفق ارفعوها
ما أرشق قوامها
غضة ما أحيلاها !
انظروا ثيابها
لاصقة كاكفان
والموج لا يزال
ينز من ردائها
فانشلوها طوعا
دونما اكراه

لا تلمسوها مزدرين
تأملوها نادبين
بلطف واشفاق
بمنأى عن شائباتها
اذ كل ما بقي منها
نسائي طاهر

لا توغلوا في استقصاء تمردها
الارعن الحرون
وكل ماضيها المشين
فالموت اسدل عليها الجميل فقط

مع ذلك ، جففوا شفتيها الذابلتين
الناضحتين باللزوجة

فهي بكل عثراتها
واحدة من أسرة حواء

انشطوا ضفائرها
التي أفلتت من المشط
ضفائرها اللطيفة الصفراء
بينما التساؤل يتحلس
أين كان مسكنها ؟
من كان والدها ؟
من كانت أمها ؟
أكان لها أخت ؟
أكان لها شقيق ؟
أم كان لها شخص أعز ؟
أم أدنى من كل الاخرين ؟

واحسرتاه على ندرة البر المسيحي
تحت الشمس
آه ! انه لمؤسف
الا يكون لها بيت
بجوار مدينة برمتها
قد تغيرت مشاعر الاخوة
والابوة والامومة :
فالدليل صارخ أن الحب
قد طرح من عليائه
حتى العناية
تبدو قد نأت

حيث المصابيح ترتعش
قصية فوق صفحة النهر
وعدة أضواء من نوافذ وأفاريز
من عالي الطبقات الى دنياها
وقفت في الدجى
حائرة بلا مأوى

ريح آذار الزمهرير
جعلتها ترتجف وترتعد —
لا القنطرة الظلماء
ولا النهر الداكن الجاري
هيجتها أحداث الحياة
وسرت بلغز الممات
تنشد الارتماء سريعا
حيثما كان ، أينما كان
خارج العالم

غطست مقدامة
هازئة بتيار النهر البارد المربد
على حافته ، قف تصوره
تأمله أيها المنغمس في الملاذ

ثم اغتسل فيه ، ثم ارتو منه
ان تستطع

خذوها برفق

ارفعوها بلطف
ما ارشق قوامها
غضة ما أحيلاها !

قبلما تتجمد أطرافها
فتصلب ولا تنثني
مسدوها واطبقوها
واغلقوا عينيها
تحملقان بمنتهى العمى
تحملقان برهبة
خلال الدنس العكر
عندما نظرت الى المستقبل
نظرتها القانطة الاخيرة الجريئة

قضت كئيبة
همزت بازدراء
وقسوة بلا اكتراث
وجنون مسعور
ايان ضجعتها
ضموا يديها على صدرها
بخشوع متقاطعتين
كأنها بذهول تصلي

أقرت بضعفها
واثم سلوكها
تاركة بوداعة
ذنوبها لفاديها

لقد ورد تثمين السير برثارد لهذه القصيدة في معرض كلامه عن الفكاهة الصقيلة المهذبة عند هود ، وعن الجد الذي اتسمت به أفضل قصائده التي اليها يؤول خلوده وبروزه ، اذ قال : —

لم تكن فكاهة هود غير صقيلة أو قليلة الوقار • عندما كان يهتف بـه الداعي الخاص ، كما جرى له بين فينة وأخرى ، فكان يجيبه بسيل من الشعر المهم • مثال ذلك : المقطع بخصوص الصليب في قصيدته (أغنية الى راي ولسن) وموشحات عيد ميلاد ابنته الصغرى ، وقصيدته « وداعا أيتها الحياة » وقصيدته الدرامية المأساوية (يوجين ارام) ، والكثير عدا ذلك و « جسر التنهدات » التي ليس لها مثيل ، وكانت وحدها كفيلة بأن تحرز له مكانة لائقة ضمن شعراء العالم المشهورين ، لو لم تفضلها قصيدته (أغنية القميص) التي أودعت اسمه وشهرته لدى الاحقاب •

ان العبارة ذات الكلمات البسيطة المحفورة على ضريحه : « لقد غنى أغنية القميص » قد نقشت نزولا عند رغبته ، وهذه ترجمتي لبعض أبيات هذه الفريدة :

بأنامل منهكة كليلة
بأجفان قانية مثقلة
جلست امرأة بأسمال
غير خليقة بالنساء
تكد ابرتها وخيطها ـ
شك ، شك ، شك (١١)
مع الفاقة والجوع والوسخ
غنت « أغنية القميص »
بصوت كئيب النبرات

« اشتغلي ، اشتغلي ، اشتغلي
بينما الديك يصيح من بعيد
واشتغلي ، اشتغلي ، اشتغلي
حتى تشع النجوم خلال السقف (١٢)

« اعملي ، اعملي ، اعملي
حتى يشرع الذهن في الدوار
العمل ، العمل ، العمل
حتى تغدو المقل ثقيلة وسنى
« درز ، وبنيقة ورباط
رباط ، وبنيقة ودرز
حتى أغفو على الأزرار
وتتراءى لي في الحلم

أيها الرجال، يامن لكم شقيقات عزيزات
أيها الرجال ، يامن لكم أزواج وأمهات
ليس الكتان ما تبلون
بل حياة مخلوقات بشرية
شك ، شك ، شك
بالفاقة والجوع والوسخ
أخيط في آن معا بخيطين
قميصا وكفنا أيضا »

(١١) استعمل الشاعر كلمة (Stitch) التي تعني طعنة الابرة وتوحي بصوتها وقد آثرت ترجمتها الى « شك » العربية

(١٢) يستدل من ذلك أن في السقف خروقا وهذا تصوير للبؤس والعوز

م ـ ٦

مختارات من شعر توماس هود

إلى صديق زائف

قد تصافحت يدانا ، وليس قلبانا ،
ولن تتصافح بعدُ مطلقاً يدانا ·
إن كنا فيما مضى رفيقين
فلا يسعنا الآن أن نبقى صديقين :
كل ما أعلم ، أحببتك مرة ،
كل ما أدري ، أحببت عبثاً ،
يدانا قد تصافحتا ، وليس قلبانا ،
ولن تتصافح أبداً بعد يدانا !

فوداعاً ، إذاً ، للقلب واليد !
ليت يدينا قط لم تلتقيا
حتى شكل الحب الظاهري
ينبغي التخلي عنه ببعض الأسف
يلوح ميسوراً أن نكون صديقين
إن تمكنت يوماً أن أسلو ضلالتي
قد اقترنت يدانا ، لكن ليس قلبانا :
وددت ما التقت قط يدانا !

المنسيّون

الموتى في قبورهم الصامتة ثاوون ،
والطل البارد فوقها منشور
والأحياء تبكي وتتحسر
على تراب كان من قبل حباً

مرة فقط بكيت الموتى
أما الآن ، فالأحياء تسبب عذابي :
كيف ، يا صاح ، تنشلني من نحيبي
لتتركني لعبراتي ثانياً ؟

ترقد أمي فيما وراء المرج ،
وسكونها هادىء ، جد عميق :
تمنيت لو أنها شهدت غرامنا ،
أما الآن ، فأبتهج برقادها •
الليلة المنصرمة ، فككت خصل شعري الفاحمة ،
وفي الصباح ، ألفيتها قد استحالت رمادية ،
كانت سابقاً سوداء ومحببة ،
أما وقد تغيرتِ — فكذلك هي !

الخصلة التي وهبتك قبلاً دون جدوى ،

لتنظري إليها وتذكرك بي ،
قد أخذت مشفوعة بالبسمات ،
أما هذه ، المرسلة إليك ، فجزَّت في غمرة الأسى •

الشعراء المزيّفون والحقيقيون

ـ مهداة الى وردزورث ـ

تصلع إلى القبرة ، كيف نسمو نحو الأعالي وتغيب
وتغدو روحاً كلما دانت السماء !
فنسمع نشيدها ، لكن جسمها قد توارى
فما عادت العين تحد من شرودها
كذاك هو شأن أغاني الشعراء معنا ،
وإن قضوا مُبهمين
مُدرَجين في كفن الموت المنسي
فترثُ الأرض النغمَ الثر
كالموسيقى المتدفقة من غيوم الصباح
لكن ثمة نفر ضئيل يرتنون في غاية العذوبة والصوت الجهير
تصلنا أصواتهم متسربة خلال الفضاء :
فالنهار الصاخب بات في صمم
من حشد طيورٍ لا تُميِّز ، جيل مُزَقْزِق :
لكن القبرة والعندليب المخذولين وحدهما
يترعان سكون المساء وهدوء الصباح

إلى الأمـــل

تناول قيثارك ، يا ملاك السيرافيم الصغير ،
واعزف لي أبهج الأنغام :
فالحزن قاتم والسهم صارم ،
والحياة تفني بغية السأمه •
إيه ! تناول قيثارك !

نحن كعادتك إذ كان الشباب كله فصلاً مشرقاً مديداً
وقد جلست أسمع إنشادك المبتكر أبداً
ونعيم المستقبل عنوانك الدائم
حينئذٍ يولي بعيداً كل هم طفيف كأشباح الرؤيا
كأن كل صوت رفرف هناك قد حام فوق جدول السلوان !

بجميع تلك الساعات السعيدة الرائقة
أنفقنا الحياة في خمائلها الخلابة المشرقة ،
حيثما كنت تجلس وتبتسم ،
وتظهر منابت الزهور قبل انبثاق البراعم ،
وطالما توقعنا شروق شمس الحياة الدافئة السابحة في الأجواء ،
بكثير من أقاصيص المجد والغرام ،
والصداقات التي غالباً ما منّتني بالوعود ،
والثقة التي منحتك كاملة ،

تناول قيثارك ، يا ملاك السيرافيم الصغير ،
واعزف لي أبهج الأنغام ؛
فالحزن قاتم والهم صارم ،
والحياة تفنى بغاية السأمة .
إيــه ! تناول قيثارك !

ربما ستبعث الأوتار رنيناً أقل صفاءً
لطول اضطجاعها مهملة
في جو من الكآبة ، مفعم بالضباب ،
وقد لا تنطق مطلقاً كما نطقت
بأنغام مبهجة كتلك ، باللغة الأرتفاع والرشاقة ،
ولكن ... هل كل أوتارها الذهبية مقطعة ؟
ألم يبق بعضها ، ولو واهنة خافتة
لعزف ترنيمة للمصائب ؟
لكنك ما عدت قادراً على التغني بالحب بعد الآن ،
إذ أظهرت « سيليا(٣) » أن الأحلام كانت عبثاً ،
وأن الهناء المزخرف الجم قد دال
ولن يعود ثانية حتى في الأحلام
وا أسفاه ! وا حسرتاه !
كيف تنصرم المباهج

(١٣) اسم انثوي لم أعثر له على معنى

وأنت لم تبق لنا
سوى السلام والنعيم وراء اللحد !

عندئذٍ يغدو طيرانك تحليقاً بين الأجواء
واتخذ عند ذاك جناح القبّرة
واهجر الأرض الكئيبة وحلق نحو العلاء
فوق كل غيومه الدامعة ،
وغن على جناح القبرة !
هناك مصدر آخر للحياة ، يزين شبابا آخر ،
خالياً من خشية الهم المنيف
الذي تاج أشواكه مهنا لأكليل هامة الرجولة الموجعة ·
إيه ··· ثمة ممالك ذات يوم بهيج ،
في عالم زالت منه العبرات !
عندئذٍ فليكن تحليقك بين السماوات ،
واتّخذ إذ ذاك آه ···! إتّخذ جناح القبرة
وغادر الأرض الكامدة ، وارتقِ شطر الجَلَد
فوق كل غيومه الدامعة
ورتّل على جناح القبرة !

فراش المـوت

راقبنا تنفسها آناء الليل
وتنفسها ناعم بطيء
اذ موجة الحياة في صدرها
ما عتمت جائشة ، مقبلة مدبرة

بصوت بالغ الخفوت تكلمنا
بمنتهى الهدوء تحركنا
كأننا وهبناها نصف قوانا
لتمد من أجلها

بددت آمالنا مخاوفنا
ومخاوفنا خيبت آمالنا
حسبناها مائتة عندما نامت
ونائمة عندما ماتت

اذ عندما أقبل الصباح كئيبا ثقيلا
وباردا مصحوبا ببواكير المطر
اغمضت جفونها المطمئنة
وأضحت في صباح غير صباحنا

□■□

النار في التحليل النفسي (٤)

المؤلف : غاستون بشلار
ترجمة : نهاد خياطة

الفصل الرابع

النار ... مستجنسة

لئن كان غزو النار قد تم بدائيا على أساس جنسي ، فلا عجب ان تظل النار مستجنسة طيلة هذه المدة وعلى هذا النحو من الشدة . وان هذا البحث التقويمي ليهز الابحاث الموضوعية هزا عميقا من الاساس . وفي هذا الفصل سوف نتـولى تبيان ضرورة التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية ، قبل أن نتطرق في الفصل التالي الى البحث في كيمياء النار ، قد يكون التقويم الجنسي ، الذي نريد الكشف عنه . ضمنيا أو صريحا . والقيم الصماء الغامضة هي ، بطبيعة الحال ، أشدها استعصاء على التحليل النفسي ، زيادة على فاعليتها الشديدة . أما القيم الواضحة او المعلنة فسرعان ما تفقد السحرية من شأنها . ولكي نبين مقاومة أخفى الخافية ، نورد أمثلة تكون فيها هذه المقاومة صميمة جدا حتى أن القارىء من تلقاء نفسه

(٤) نشرت الفصول السابقة من هذه الدراسة في الاعداد الماضية من الآداب الاجنبية .

يقلل من شأنها ضاحكا ، دون أن يضطرنا ذلك الى التنويه بمزيد من الاخطـام الفادحة •

في رأي روبينيه (١) ان النار البدائية قادرة على انتاج مثيلتها • هذا لتعبير مستهلك ، لا قيمة له ، واننا لنمر به بحكم العادة دون أن نعيره انتباها • غير أن روبينيه يكسبه قوة معناه الاولى • فهو يعتقد أن عنصر النار وليد جرثومة معينة ، وقد تصاب بالعقم ما أن تبلغ سنا بعينها ، مثلها في هذا كمثل كل قوة منجبة • ثم يجد أن للنار ضرورة وراثية ، دون أن تكون له معرفة بما يروى عن النار الجديدة أو المتجددة ، واذا تركت النار تعيش حياتها الطبيعية ، هرمت وماتت كما يهرم ويموت الحيوان والنبات ، حتى ولو قمنا بتغذيتها •

بطبيعة الحال ، ان النيران المختلفة يجب أن تحمل العلامة الثابتة الدالةعلى فرديتها (٢) : « فالنار العادية ، والنار الكهربائية ، ونار الفوسفور ، ونار البراكين ،ونارالصاعقة،يختلف بعضها عنبعضهاالآخر اختلافاجوهريا ،صميميا،حتى أنه لمن الطبيعي أن نرد ذلك الى مبدأ داخلي أكثر من أن نرده الى مصادفات تعدل من طبيعة المادة المشتعلة نفسها » • هاهنا حدس يتناول الجوهر في صميميته ، في حياته – وبالتالي في قدرته على التوليد • ثم يمضي روبينيه فيقول : « كل صاعقة يمكن أن تكون أثرا أحدثه انتاج جديد لكائنات مشتعلة جمعتها الرياح ، فيما هي تتكاثر بسرعة بواسطة وفرة الابخرة التي تتولى تغذيتها ، ثم حملتها الى هنا وهناك في المنطقة الوسطى من الهواء• ولعل الفوهات لجديدة للبراكين المتعددة في أميركا، والتفجرات الجديدة للفوهات القديمة تعلن أيضا ما تنطوي عليه النيرانالكامنة في باطن الارض من اثمار وخصوبة • لا شك أن هذه الخصوبة ما هي بالخصوبة المجازية ، وانما يجب أن نفهمها بمعناها الجنسي لدقيق •

هذه الكائنات المشتعلة ، المولودة من الصاعقة ، وبقربة منها ، لا تدركها الملاحظة المجردة • لكن روبينيه يزعم أن في عهدته ملاحظات بالغة

(1) J.-B. ROBINET, DE LA NATURE, 3ᵉ éd., 4 VOL., AMESTERDAM, 1766, T. I., 217.
(2) ROBINET, LOC. CIT., T. I., P. 219.

الدقة ١ . « بعد أن قدح هوك صوان البندقية ، وتفحص بالمجهر المكبر أماكن سقوط الشرر ، وكانت معلمة ببقع صغيرة سوداء ، لاحظ أن فيها ذرات مستديرة براقة ، رغم أن النظرة العادية لا ترى فيها شيئا • لقد كانت ديدانا صغيرة مضيئة » •

الا تذكرنا حياة النار ، بما فيها من شرر واضطراب ، بحياة بيت النمل ؟ (ص ٢٣٥) • « عند أقل حادثة ، تجد النمل يتجمهر ويخرج صاخبا من مسكنه في باطن الارض : كذلك عند أقل هزة من الفوسفور ، تجد هذه الدويبات المشتعلة تتجمع وتتكاثر في الخارج تحت ستار من الضياء » •

واخيرا، ان الحياة وحدها هي القادرة على منحنا سبب عميقا وداخليا للفردية المتجلية في الالوان • فروبينيه لا يتردد ، في سبيل تعليل الوان الطيف السبعة ،من افتراض « سبعة أعمار وفترات في حياة الدويبات المشتعلة ••• هذه الحيوانات ، اذ تمر بالموشور ، تتكسر كل منها بحسب قوته ، وعمره • وهكذا يحمل كل منها لونه الخاص به » • اليس صحيحا أن النار التي تموت يحمر لونها ؟ والذي ينفخ في نار خامدة يميز تمييزا واضحا بين النار العتيدة التي تسقط في الاحمر والنار الصفراء التي تجنح « الى أعلى درجات الاحمرار الذي يكون عليه الخشخاش البري » ، كما أحسن التعبير عن ذلك أحد السيميويين • تجاه النار المحتضرة يقنط النافخ ، ولا يحس في نفسه ما يكفي من الحماسة لايصال قوته اليها • فان كان واقعيا ، كما هو شأن روبينيه ، تحقق من قنوطه وعجزه وطفق يصنع شبحا من الاعياء الذي أصابه • وهكذا توضع علامة الانسان المتحرك على الاشياء • فالذي يهوى أو يصعد فينا يصبح علامة على حياة مخنوقة أو على يقظة في الواقعي • يهيء لنا مثل هذا التواصل الشعري أشد الاخطاء تعنتا من أجل المعرفة الموضوعية •

ولعله ، من ناحية أخرى ، يكفي أن نرجع الحدس المضحك ، الذي طلع علينا به روبينيه ، الى عدم الدقة و الى الغموض ، حتى نستطيع ان نقبله ما أن يستحيل شعرا ويرد الى وجهته الذاتية • وهكذا ، اذا ظلت الاشكال المستحياة من

---

(1) ROBINET, LOC. CIT., T. IV. P. 234.

اللون قوى محيية وهاجة أو شاحبة ، وخلقت لا على المحور الذي يذهب من الاشياء الى بؤبؤ العين بل على محور النظرة المشبوبة العاطفة التي تضفي رهبــة وحبا ، أصبحت عندئذ درجات متباينة من الحنان . ولذلك استطاع نوفاليس أن يكتب(١): « ان شعاع الضوء يتكسر شيئا مغايرا تماما كما يتكسر ألوانا . على الاقل ، أن شعاع الضوء قابل للحياة حتى ان النفس تتكسر فيه ألوانا محيية . من ذا الذي لا يحلم هذه اللحظة برؤية المحبوبة ؟ » . ولكيما نفكر في الامر مليا يجدر بنا التنويه بأن روبينيه ما فعل شيئا سوى أنه أعطى ثقلا وبروزا لصورة سوف يعمد نوفاليس الى تمويهها وارجاعها الى شكلها الاثيري . لكــن ، في الخافيـة تبـدو الصورتان متجانستين ، وما القلب الموضوعي الذي أحدثه روبينيه سوى تضخيم لملامح الهاجس الداخلي الذي هجس به نوفاليس . وان هذه المقابلة ، التي قـد تكون متنافرة مع الروح الشعري ، تعيننا مع ذلك على القيم بتحليل نفسي متمائل لاثنين من أصحاب الهواجس يقف كل منهما في موقع الضد من الواقع ، وتعطينا مثالا على هذه الضروب المختلطة من الرغبات التي تنتج القصائد والفلسفات - قد تشوه الفلسفة في نفس اللحظة التي يحلو الشعر فيها .

« ٢ »

أما وقد بسطنا بين يدي القارىء تفسيرا يقوم عـلى افراط الحدس الـذي يضفي على النار حياة وجنسا ، فمما لا شك فيه أن فهمنا لما في بعض التوكيدات من عبث سوف يكون فهما أفضـل ، وهي توكيدات ما انفكت تتكرر وكأنها حقائق أزلية ، من مثل : النار هي الحياة ، والحياة نار . أو بعبارة أخرى ، اننا نريد أن نبين ما في هذه البداهة التي تقرن الحياة والنار من خطأ .

ان في أساس هذه البداهة انطباعا بأن الشرر ، بالرغم من أنه سبب صغير ، يؤدي الى نتيجة كبيرة ، مثله في ذلك كمثل الجرثوم . ومن هنا كان الغلو في تقويم أسطورة النار المشتعلة .

لنبدأ أولا بتبيان معادلة الجرثوم والشرر ، ولنفهم مستعينين بمجموعة من

(1) NOVALIS, JOURNAL INTIME, SUIVI . DE MAXIMES INEDITES, PARIS, P. 106.

المتقابلات المتلازمة أن الجرثوم شرر والشرر جرثوم ، وان أحدهما لاغنى له عن الاخر • ان تلازم مثل هذين الحدسين ليعمل على الظن أن الفكر لا عمل له الا الانتقال من مجاز الى اخر • والتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية انما يقوم على الكشف عن مثل هذه الانتقالات التي لا تنهض على أساس • اذ يكفي أن نضعها جنبا الى جنب حتى تتبين انها لا تعتمد على شيء ، وانما يعتمد بعضها على بعضها الآخر • فيما يلي مثال على الفهم الهين الذي ندينه (١) . « لنشعل كومة كبيرة من الفحم بواسطة اضعف النار ، ولتكن شرارة محتضرة ••• ، وبعد ساعتين الا تتشكل جمرة كبيرة جدا كما لو كنا أضرمناها دفعة واحدة بواسطة شعلة كبيرة؟ تلكم هي قصة التوالد . فالانسان الانحف يعطي من النار لاجل التوالد ويجعله مضمونا بالتزاوج مثلما يعطيه الرجل الاقوى » • مثل هذه المقارنات خليقة بأن ترضي من لا بصيرة عنده • والحق انها تشكل عقبات حقيقية في طريق الثقافة العلمية دون أن تساعدنا على فهم الظاهرات •

في حوالي نفس الفترة ، عام ١٧٧١ ، ينهض أحد الاطباء فيصوغ نظرية مطولة عن التكاثر البشري مستندة الى النار ، والشرار الاكبر ، والقدرة المولدة (١): « يعلمنا الخور الذي يعقب قذف السائل المنوي على الاقل أن قد حصل في هذه اللحظة فقدان سائل شديد الحرارة ، كثير الفعالية • ترى ، هل يفاجأ الجسم بفقدان كمية صغيرة من هذا النسغ اللدن ، الملموس ، الذي تحتويه الاوعية المنوية ؟ أو هل تدرك لبنية الحيواتية ، التي وجد هذا السائل من أجلها وكأنه لا وجود له ، هل تدرك من فورها اطراح مثل هذا المزاج ؟ كلا ، بلاريب • لكن الامر ليس كذلك بالنسبة الى النار التي لا نملك منها الا كمية معينة ، والتي تتصل بها جميع المواقد اتصالا مباشرا ••• » • وهكذا فلا أهمية كبيرة أن فقدنا

(1) DE MALON, LE CONSERVATEUR DU SANG HUMAIN, OU LA SAIGNEE DEMONTREE TOUJOURS PERNICIEUSE ET SOUVENT MORTELLE, 1767, P. 146.

(1) JEAN — PIERRE DAVID, TRAITE DE LA NUTRITION ET DE L'ACCROISSEMENT PRECEDE D'UNE DISSERTATION SUR L'USAGE DES EAUX DE L'AMNIOS

الجسد أو اللباب أو النسغ أو السائل • أما أن تعقد النار ، النار المولدة ،فتلك هي التضحية الكبيرة • يبقى علينا أن نرى السهولة التي يقوم عليها تقويم النار الذي لا يستند الى دراسة أو بحث •

ان بعض مؤلفي الدرجة الثانية ينقل الينا بصورة أكثر سذاجة احدس الجنس التي قومتها الخاصية ، ويصوغ أحيانا نظرية جنسية تستند الى موضوعات مولدة للنار عن وجه الخصوص ، مدللا بذلك على خلط أساسي بين حدسي النطفة والنار • وهكذا يعرض علينا الدكتور بييجان فابر ، عام ١٦٣٦ ، أسباب نشوء الاناث والذكور « الذين لهم في الاصل نطفة واحدة ومتماثلة في كل أجزائها وذات جبلة واحدة ، لكنها مع ذلك تنقسم في الرحم الى قسمين يتجه أحدهما الى الشمال والآخر الى اليمين • ان هذا الانقسام في النطفة وحده يحدث هذا الفرق •••• لا من حيث الشكل والهيئة وحسب ، وانما من حيث الجنس أيضا ، فيصير أحدهما ذكرا ، والاخر انثى : وانه لهو هذا الجزء من النطفة الذي ينكفىء الى الجانب الايمن ، باعتباره الجزء من الجسم الاشد حرارة وقوة ، ويتولى رعاية القوة والشدة وحرارة النطفة ، ومن هنا كانت صيرورته ذكرا • أما الجزء الاخر الذي ينكفىء الى الجانب الايسر ، وهو الجانب الاكثر برودة من الجسم البشري، فيتلقى الصفات الباردة التي تنتقص وتخفف من شدة النطفة ، ومن هنا كانت صيرورته انثى ، بعد أن كان في مصدره الاول ذكرا كله (١) » •

قبل أن نمضي الى أبعد مما نحن فيه ، ينبغي لنا أن ننوه بالمجانية التي تنهض عليها مثل هذه التوكيدات التي لا تمت الى الخبرة الموضوعية بأدنى سبب ، حتى اننا لا نجد فيها تلك الدريعة التي نجدها في الملاحظة الخارجية • هل يمكن ان يكون لهذا العته من مصدر آخر سوى تقويم ظاهرات شخصية منسوبة الى النار تقويما غير سليم ؟ ان فابر ، الى هذا ، ينبئ بواسطة النار من طبيعة كل صفات القوة والشجاعة والحمية والرجولة (ص ٣٧٥) • « ان النساء بسبب من هذا الطبع البارد أقل من الرجال قوة ، وأكثر خوفا وأقل شجاعة ، باعتبار ان القوة

(1) JEAN - PIERRE FABRE, L'ABREGE DES SECRETS CHIMIQUES., PARIS, 1696; P 374.

والشجاعة والعمل انما تأتي من النار والهواء ، اللذين هما العنصران الفاعلان ، ومن هنا كان تذكيرهما ، على حين أن العنصريين الاخرين ، وهما الماء والتراب ، عنصران منفعلان ومؤنثان *

ان ما نبغيه من وراء هذا الحشد الكبير من السخافات هو اعطاء مثال على حالة ذهنية قائمة في أكثر المجازات تفاهة · أما في الوقت الحاضر وبعد أن غيرت الروح العلمية من بنيتها مرارا ، فقد اعتادت أن تنتقل من معنى الى اخر دون أن تقع ضحية اصطلاحاتها · لقد أعيد تحديد جميع المفهومات العلمية · اننا اليوم في حياتنا الواعية قطعنا الصلة المباشرة بالجذور الاولى للكلمات · لكن الروح ما قبل ـ التاريخية أو بالاحرى الخافية (اللاشعور) ، لا تفصل الكلمة عن الشيء فان قالت أن انسانا ما امتلأ نارا ، كانت تعني أن شيئا ما يشتعل في داخله · ثم أن هذه النار يصار الى تقويتها بواسطة الشراب عند الحاجة · ان كل انطباع لتجدد القوى انما يأتي من الحار · وكل ما هو حار منبه للخافية (اللاشعور) · ان قابي لا يعتقد باستحالة « أن تشتد حرارة الاناث الضعيفة حتى درجة معينة ، اذا ما قدم طعام جيد الى ذات مزاج حار وجاف بحيث يمكنها أن تدفع الى الخارج تلك الاجزاء التي احتفظ بها ضعفها في الداخل » · لان « النساء ما هن الا رجال في الخفاء ، بما يملكن من عناصر الذكورة الخبيئة في الداخل » (ص ٢٧٦) · هل هناك ما يفضل القول بأن مبدأ النار هو الفاعلية المذكرة ، وان هذه الفاعلية الفيزيائية الصرف ، التي تشبه انتمدد ، هي مبدأ الحياة ؟ ان هذه الصورة المبنية على أساس أن الرجال ما هم الا نسوة مددتهم الحرارة هي صورة يسيرة على التحليل النفسي · ولنلاحظ أيضا ضعف الترابط فيما بين الافكار المختلطة من الحرارة والغذاء والولادة : والذين يرغبون في « أولاد ذكور يعملون على تناول أطيب الاطعمة الحارة والمشتعلة » ·

والنار تحكم الصفات الاخلاقية كما تحكم الصفات الفيزيائية · فحدةذهن

★ في الفرنسية ، النار والهواء كلاهما مذكر ، والماء والتراب كلاهما مؤنث · اما في العربية ، كما لا يخفى ، فكلها مذكرة الا النار ·

انسانما انما تنتج عن صبغه الحار (ص ٣٨٦) • « هناتتجلى روعة علماءالفراسة، لانهم عندما يرون رجلا نحيلا ، جاف الطبــع متوسط الرأس ، براق العينيــن ، كستنائي الشعر أو أسوده ، ربع القامة ، يحكمون عليه بالحذر والحكمة والامتلاء الفكري وحدة الذهن » • ونقيض ذلك « الرجــال الطوال الضخام فهم رطبــون زنقيون ، وحدة الذكاء ليست أبدا على أعلى درجاتها عندهم ، لان النار ، وهي مصدر الحكمة والحذر ، ليست أبدا نارا شديدة في الاجسام البالغة الطول والعرض، ولانها شرود وممتدة • وليس في الطبيعة الواسعة لممتدة شيء قوي وقديس أبدا • ان القوة تتطلب أن يكون الشيء متراصا ومضغوطا : والنار أكثر ما تكون شدة عندما تكون مكبوسة ومرصوصة • والمدافع تثبت لنا ذلك » ••• ان النـــار ، شأنها في هذا كشأن كل ثراء ، انما ينهجس بها في تركزها • ويجب أن يغلقعليها في حيز ضيق لكي يحافظ عليها جيد • وكل ضرب من الهاجس انما يفضي بنا الى تأمل المركز • انه ثأر الصغير من الكبير ، والباطن من الظاهر • ولكي يغذي هاجسا من هذا النوع ، يقوم انسان ما قبل العهد العلمي بتطبيــق أكثر الصور تنافرا . الرجل الاسمر والمدفع ، كما رأينا • وكقاعدة شبه مطردة ، ان الانسان عن طريق الهجس بالصغير والمركز ، لا عن طريق الهجس بالكبير ، يصل في نهاية المطاف ، وهو يجتر هاجسة زمنا طويلا ، الى العثور على منفذ يفضي به الى التفكير العلمي • على أية حال ، ان التفكير بالنار يتبع جنوح هذا الهاجس الى القــدرة المركزة أكثر من التفكير باي مبدأ اخر • انه في عالم الاشياء بمثابة هاجس الحب في قلب انسان صموت •

بالنسبة الى انسان ما قبل العهد العلمي ، ان مبدأ « كل بذار نار » هومبدأ صحيح يكفي أقل مظهر خارجي للبرهنة عليه • وهكذا يرى الكونت دي لاسيبيد Lacepede (١) : « أن غبــار الطلع في النبات هــــو مــــادة شديدة الاشتعال ••• والغبار الذي يغذي النبات المسمى بنقع الذئب Lycoperdon هو نوع

(1) COMTE DE LACEPEDE ESSAI SUR L'ELECTRICITE NATURELLE ET ARTIFICIELLE 2. VOL., PARIS, 1871, T. 11, P. 169.

من الكبريت » . توكيد مبعثه كيمياء السطح واللون يتنافى مع أقل جهد من الكيمياء الموضوعية الباحثة في جوهر المدة .

والنار أحياناً هي المبدأ الحاسم في التفرد . لقد كتب أحد السيمياويين رسالة فلسفية نشرها حاشية على الكوزموبوليت Cosmopolite في عام ١٧٢٣ يعرض فيها أن النار ليست جسماً بالمعنى الدقيق ، انما هي المبدأ المذكر الذي يكسب المادة المؤنثة شكلها . وهذه المادة المؤنثة هي الماء . كانت الماء البدائية* « باردة ، رطبة ، وسخة ، دنسة ، معتمة . وكان مكانها في الحليقة مكان الانثى . وكذلك النار ، التي كالذكور المختلفة لاحصر لشرها ، كانت تحتوي على كثير من الصمات الماسة لولادة مخلوقات بعينها .. يمكن تسمية هذه النار بالصورة كما يمكن تسمية الماء بالمادة ، ممتزجتين معاً في العماء (٢) » . ان المؤلف يعود بنا الى قصة الخلق . ويمكننا أن نتعرف في كلامه ، لكن في صيغة غامضة ، ذلك الحدس المستضحك Ridiculisee الذي صاغته صور روبينيه « لدقيقة » . وهكذا ، يمكننا أن نرى أن لخطأ كلما كان مغلفاً بالغائية (اللاشعور) وفاقداً لملامحه الدقيقة ، كن تحمله كبيراً . حسبنا أن نخطو خطوة أخرى حتى نعثر في هذا الطريق على الامان المذب الذي تبعثه فينا المجازات الفلسفية - والقول أن النار عنصر هو ، في نظرنا ، ايقاظ للطنين الجنسي ، وللتفكير في المادة وهي تنتج وتلد ، وللاهتداء الى وحي السيمياء الذي يتحدث عن الماء والتراب الذين « عصرتهما » النار ، وعن المادة التي اجنها الكبريت . لكن بمقدار ما يمتنع علينا اعطاء رسم دقيق لهذا العنصر ، ويفوتنا الوصف المفصل للمراحل المختلفة التي مرت بها هذه « العنصرة » ، بمقدار ذلك كله نعمد الى الاباده في الوقت نفسه من سر الصورة البدائية وقوتها . ثم اننا اذ ضممنا النار التي تحيي قلوبنا الى النار التي تحيي العالم ، بدا لنا اننا نتحد بالاشياء في عاطفة

* اضطررنا لتأنيث الماء ، وهو مذكر ، تمشيا مع المعنى المراد في النص .

ـ المعرب ـ

(2) COSMOPOLITE OU NOUVELLE LUMIERE CLYMIQUE, PARIS. 1723. P 7

جد قوية وجد بدائية حتى لتجرد النقد الدقيق من سلاحه . ولكن ، ما شأنك بفلسفة في العصر تزعم أن النقد الدقيق لا يطالها وتكتفي بمبدأ عام يتكشف ، في كل حالة خاصة ، مثقلا بالعيوب البدائية ، وسادجا مثل حلم عاشق ؟

(٣)

في كتاب سابق (١) حاولنا أن نبين أن السيمياء قد تحللها هاجس كبير من الجنس ، وهاجس من الثراء واعادة الشباب ، وهاجس من القدرة . وفي هذا الكتاب نريد أن نقيم الدليل على أن **هاجس الجنس** انما هو **هاجس الموقد** . كذلك يمكن القول أن السيمياء تتولى تحقيق **ما لهاجس الموقد** من خصائص جنسية في صفاء ويسر . وما هاجس الموقد الا محاولة لنقش الحب البشري في قلب الاشياء ، دون أن يكون **وصفا** للظاهرات الموضوعية .

في المقام الاول ، ان ما يتيح احمام هذه الخاصة من التحليل النفسي هو مسارعة السيمياء الى اتخاذ صيغة مجردة . والحق أن السيمياء تعمل **بالنار المغلقة** ، بالنار المغلق عليها في فرن . فالصور التي يمنحها اللهيب الذي يدفعنا نحو هاجس أكثر تعليقا ، وأكثر حرية ، تصبح عندئذ مبتورة ، فاقدة اللون ، لمعة حلم أدق وأوجز - لنشاهد اذن السيمياوي في ورشته تحت الارض، قريبا من فرنه .

لقد طالما لوحظ على ما لكثير من الافر ن والحواجل من أشكال جنسية لاسبيل الى نكرانها ، وقد لفت النظر اليها بعض المؤلفين بصورة صريحة . فقد كتب نيقولا دي لوك ، « الطبيب الكيمياوي لصاحب الجلالة » ، في عام ١٦٥٥ (١) : « يعمد السيمياويون ، لكي يقوموا بعمليات التبييض والتثخين بغية تحضير **البلسم**

(1) LA FORMATION DE L'ESPRIT SCIENTIFIQUE. CONTRIBUTION A UNE PSYCHANALYSE DE LA CONNAISSANCE OBJECTIVE PARIS, VRIN 1938.

(1) NICOLAS DE LECOQUES, LES RUDIMENTS DE LA PHYLOSOPHIE NATURELE TOUCHANT LE SYSTEME DU CORPS MIXTE. 2 VOL, PARIS, 1665.

وصنعه ، الى اصطناع آنية لها شكل الثديين أو الخصيتين من أجل تكوّن النطفة المذكرة والمؤنثة في الحيوان ، يطلقون عليها اسم البجمة » • وفي مكان آخرتوليما الكشف عن عمومية هذا التماثل الرمزي القائم بين مختلف الاوعية التي يصطنعها أهل السيمياء وبين مختلف أعضاء الجسم البشري • ولعل هذا التماثل هو منجانبه الجسي أكثر جلاء وأدعى الى الاقناع • فالنار التي تحتويها الحوجلة الجنسية مأخوذة في حالتها الاصلية ، ولذلك كن لها كل فاعليتها •

ان تقانة * النار في السيمياء ، أو ان شئت فلسفتها ، واقعة ، علاوة على ذلك ، تحت سيطرة اعتبارات جنسية صرفة • فقد كتب مؤلف مجهول في نهاية القرن السابع عشر (٢) انه يوجد « ثلاثة أنواع من النار ، طبيعية ، ولا طبيعية، ومضادة لطبيعة • فالطبيعية هي النار المذكرة ، أو العامل الرئيسي • وللحصول عليها ينبغي على الصانع أن يبذل كل ما لديه من عناية ومعرفة ، لانها بالغةالوهن في المعادن وشديدة لتركز فيها حتى لا يمكن اضرامها الا بالعمل الدائب • أما النار اللاطبيعية فهي النار المؤنثة ، أو المحلل العالمي ، التي تقدمللاجسام غذاءها وتغطي عوام الطبيعة بأجنحتها ، والحصول عليها لا يقل صعوبة عن الحصول على سابقتها ، لانها تأخذ شكل الدخان الابيض ، وهي غالبا ما تتلاشى ، وهي على هذا الشكل ، اذا ما أهمل الصانع شأنها • هذه النار تكاد لا تدرك برغم ما يبدو من جسمانيتها وشعاعيتها حين تتعرض للتكرير الفيزيائي • وأما النار المضادة لطبيعة فهي تفسد المركب ، وهي أول شيء كان بمقدوره حل ما أوثقته الطبيعة بأشد الوثاق » •• الا يجدر بنا أن ننوه بالعلامة المؤنثة لمرتبطة بالدخان ، المرأة اللعوب والريح ، على حد عبارة جول رونار ؟ اليس كل ظهور مقنع مؤنثا بفضل هذا المبدأ الاساسي من الاستجناس اللاشعوري : كل ما هو خبيء مؤنث ؟ فاسيدة البيضاء ، التي تطوف في الوادي ، تزور السيمياوي ليلا ، جميلة كالمبهم ، رشيقة

---

* نوهنا في حاشية سابقة بايثارنا استعمال « تقانة » على « تقنية » — المعرب —

(2) LA LUMIERE SORTANT DE SOI — MEME DES TENEBRES, ECRITE EN VERS ITALIENS, TRAD. PAR B.O.L. 2e éd. PARIS 1693.

كالحلم ، شرودا كالحب ، وفي لحظة تملك الرجل النائم بدمائها : وما هي الا نفخة مباغتة حتى تتبخر ... وهكذا يفوت على رجل الكيمياء واحد من التفاعلات ٠

التمييز الجنسي ، من ناحية توليد الحراره ، أمر تكميلي صرف ٠ فالمبدأ المؤنث للاشياء هو مبدأ السطح والغلاف ، حضن وملجأ ودفء ٠ أما المبدأ المذكر فهو مبدأ المركز ، مركز القدرة ، هو مبدأ فعال ، مباغت ، كالشرر والارادة ٠ الحرارة المؤنثة تهجم على الاشياء من الخارج ٠ أما الحرارة المذكرة فتهجم عليها من الداخل ، الى قلب الجوهر ٠ هذا هو المعنى العميق للهاجس لسيمياوي ٠ يضاف الى ذلك اننا ، لكي نفهم هذا الاستجناس لنيران السيمياوية ، والتقويم الرجحاني المعرف للنار المذكرة من حيث عملها في النطفة ، لا يجب أن ننسى أن السيمياء هي بصورة فريدة علم الرجال ، العزاب ، الذين لا أزواج لهم ، المريدين الذين انفصلوا عن الجماعة البشرية في سبيل انشاء مجتمع مذكر ، لا يتلقى تأثيرات الهاجس المؤنث بصورة مباشرة ، ولذلك كانت عقيدته عن النار قد استقطبتها رغاب ما وجدت لها ارتواء ٠

هذه النار الداخلية المذكرة ، التي هي موضوع تأمل الانسان في عزلته ، هي النار الاكثر شدة بطبيعة الحال ، لا سيما وانها القادرة على « فتح الاجسام »٠ كتب أحد المؤلفين المجهولين في مطلع القرن الثامن عشر عارضا بجلاء هذا التقويم للنار الكامنة في المادة . « الفن الذي يحكي الطبيعة يفتح أجساما بواسطة النار ، انما بنار أشد هي نار النيران المطلقة ، النار العليا تحلم بالانسان الاعلى ٠ وفي المقابل ، ان الانسان الاعلى ، في شكله اللاعقلاني ٠ الذي نحلم به كما لو كان مطالبة بقدرة ذاتية فذة ، ما هو الا نار عليا ٠

هذا « الفتح » للاجسام ، وهذا الاستحواذ للاجسام من الداخل ، هذا الامتلاك الكلي هو في بعض الاحيان فعل جنسي بين ٠ فهو يحدث، كما يقول بعض أهل السيمياء بواسطة « قضيب » النار ٠ ان مثل هذه التعبيرات وما تحفل به كتب السيمياء من صور لا تدع مجالا للشك في معنى هذا الامتلاك ٠

عندما تقوم النار بوظائف غامضة ، يجب أن تعترينا الدهشة من بقاء الصور لجسية على غاية من الوضوح • والحق ان الالحاح على هذه الصور في المجالات التي تظل فيها الرمزية المباشرة مضطربة ، انما يدل على الاصل الجسمي للافكار المتكونة عن النار • ويكفي لكي نتبين ذلك أن نقرأ في كتب السيمياء تلك الحكاية الطويلة عن زواج النار والتراب * • هذا « الزواج » يمكن تفسيره من خلال وجهات نظر ثلاث : بالمعنى المادي كما يفعل ذلك دائما مؤرخو الكيمياء ، أو بالمعنى الشعري كما يفعل نقاد الادب ، أو بالمعنى الاصلي اللاشعوري الذي نعرضه هاهنا • نتقارب بين هذه المعاني عند نقطة محددة : ولنأخذ الابيات السيمياوية التالية التي كثيرا ما رويت :

اذا عرفت أن تحل الثابت
وأن تطير المحلول
ثم ان تثبت الطيار ذرورا
فان لديك ما يكفل السلوى

لن نجد مشقة في العثور على أمثلة كيمياوية توضح ظاهرة التراب المحلول الذي يصار من بعد الى تكريره بالتقطير • فاذا « قصصنا عندئذ أجنحة الروح» وكررناها ، حصلنا على ملح نقي ، أو سماء من الارضي المزيج ، وعقدنا زواجا ماديا بين الارض والسماء •

أما نوفاليس فلسوف ينقل هذاالمبحث الى عالم من أحلام الغرام • « مأيدريها لعل حبنا يصير يوما أجنحة من اللهب ، ويحملنا الى وطننا السماوي قبل أن نطعن في السن ونقضي » • لكن هذا التوق الغامض له ما يضاده في نوفاليس ، ذلك أن فابل تراه جيداً « وهي تحدق فيه من خلال شق صخرة ••• هوف برسيه بدرعه الحديدية الكبيرة ••• المقص يطير نحو الدرع من تلقاء نفسه ، وقد رجته فابل أن يقص أجنحة الروح ، ثم أن يتكرم بواسطة ترسه ، بتخليد الشقيقات ويتم

★ تعود فشي الى أن النار مذكر والتراب مؤنث في الفرنسية • — المعرب —

عمله الكبير ... وعندئذ لن يوجد كتان النزل . ما هوذا الجماد بدون روح من جديد . والسؤدد للحي من الان فصاعدا ، وانه لهو الذي سوف يشكل الجماد ويسحره . الداخلي يتكشف ، والخارجي يتخبأ » .

ان هذا الشعر ، زيدة على كونه غريبا ، لا يسوغه الذوق التقليدي (الكلاسي) استساغة مباشرة ، الا أن فيه أثرا عميقا لتأمل جنسي للنار . بعد الرغبة ، يجب أن ينتهي اللهب الى غايته ، وان تحترق النار ، وأن تتم المصاير . من أجل هذا يقتص السيمياوي والشاعر ويهدئان المجموعة المشتعلة من النور . انهما يفصلان السماء عن الارض ، والرماد عن الروح ، والخارجي عن الداخلي . وعندما تنقضي ساعة السعادة فان تورمالين « يستقبل الرماد المتراكم باعتناء » .

وهكذا النار المتجنسة هي بامتياز صلة الوصل بين جميع الرموز . فهي توحد المادة والروح ، وتوحد الرذيلة والفضيلة . تحيل المعارف المادية مثالية ، والمعارف المثالية مادية . انها المبدأ الذي يقوم عليه غموض أساسي لا يفتقر الى السحر ، بل هو ما ينفك يظهر ، وما ينفك يحلل نفسيا في اتجاهين متضادين : ضد الماديين ، وضد المثاليين : « اركّب ، يقول رجل السيمياء . ـ كلا ، أنت تحلم . ـ أحلم ، يقول نوفاليس . ـ كلا ، انت تركّب » . وما سبب هذه الثنائية العميقة الا أن النار كامنة فينا وخرجة عنا ، غير مرئية ومتفجرة ، وانها روح ودخان .

(٤)

لئن كانت النار بالغة التضليل وبالغة الغموض معا ، فان ذلك يقتضينا أن نبدأ كل تحليل نفسي للمعرفة الموضوعية بتحليل نفسي لحدس النار . ونحن لن نذهب بعيدا اذا قلنا بأن النار هي بالضبط الموضوع الاول ، أو الظاهرة الاولى التي انعكست عليها الروح البشرية . والنار ، من بين جميع الظاهرات ، هي الظاهرة الوحيدة في نظر انسان ما قبل التاريخ التي تستحق الرغبة في المعرفة من

حيث أنها مرافقة لرغبة الحب • ولا شك أنه قد طالما تكرر على مسامعنا أن غزو النار قد فصل الانسان عن الحيوان فصلا نهائيا ، ولعله لم يكن بالامكان رؤية ما سوى «الروح» وهي في مصيرها البدائي ، بما فيها من شعر وعلم، وقد تمت صياغتها من خلال تأمل النار • ان الانسان الصانع Homo Faber هو انسان السطوح ، الذي تجمدت روحه عند بضعة موضوعات مألوفة ، وعند بعض الصيغ الهندسية العريضة • والدائرة عنده لا مركز لها ، فهي تحقيق للحركة الدائرة المستمدة من راحة اليد • وعلى النقيض منه الانسان الحالم أمام موقده ، فهو انسان الاعماق وانسان الصيرورة • أو بعبارة أخرى ، ان النار تعطي الانسان الحالم درس العمق ذي الصيرورة . اللهب ينبعث من قلب الانسان • من هنا كان حدس رودان ، الذي تحدث عنه ماكس شيلر دون أن يعلق عليه ، ودون أن يرى فيه الخاصة البدائية الصرف (١) : « ما من شيء الا وهو حد اللهيب الذي يدين له بوجوده • من دون أن يكون لنا مفهوم عن النار المشكلة من الداخل ، النار من حيث أنها صانع لافكارنا وأحلامنا النار المعتبرة جرثوما ولهيبا موضوعيا كلي التخريب ـ من دون ذلك لا يمكننا أن نفسر حدس رودان العميق • ونحن لو تأملنا في هذا الحدس لادركنا أن رودان الذي هو نحات العمق من وجه ، ومقاوم ضرورة حرفته التي لا تقوم من وجه آخر ، قد دفع بالملامح من الداخل الى الخارج ، كالحياة واللهب •

في هذه الاحوال لا ينبغي لنا أن نعجب اذا كانت أعمال النار قد استجنست الى هذا الحد من اليسر • يظهرنا دانتزيو على ستليو الذي يتأمل في معمل الزجاج ، في اتون الطهي « استطالة لاتون الانصهار ، الاواني البراقة ، التي لم تزل خاضعة للنار ، ولم تزل في دائرة سلطانها ••• ثم تتخلى المخلوقات الجميلة الهشة عن أبيها ، وتنفصل عنه الى الابد ، ثم تبرد ، وتغدو أحجارا كريمة باردة ،وتعيش حياتها الجديدة في العالم ، وتدخل في خدمة الناس المترفين ، وتتعرض للاخطار ، وتتبع تغيرات النور ، وتتلقى لزهرة المقطوفة أو المشروب المسكر (٢) » • من هنا كان

(1) MAX SCHELIER, NATURE ET FORME DE LA SYMPATHIE, TRAD., P. 120.
(2) D'ANNUNZIO, LE FEU, TRAD., P. 325.

« المركز البارز الذي يحتله صناعات النار ، وهو مركز نشأ من كونها تحمل أعمق العلامات الانسانية ، الا وهي علامة الحب البدائي • انها أعمال الاب • وان الاشكال المبتدعة بالنار قد صيغت أكثر من غيرها « بقصد الدعاب » ، كما أحسن التعبير عن ذلك بول فاليري (٣) •

لكن على التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية أن يذهب الى أبعد من ذلك • اذ عليه أن يقر بأن **النار هي العامل الاول في الظاهرة** • والحق أنه لا يمكننا الكلام على عالم المرئيات الا اذا كنا في عالم يغير مرئياته • وعند البدائي ، ان المتغيرات بالنار هي وحدها لمتغيرات العميقة والظاهرة ، السريعة والرائعة ، النهائية والقاطعة • وما اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الضياء والظلال الا مظاهر سطحية عابرة ليس من شأنها أن تحدث اضطرابا في المعرفة الرتيبة للاشياء - ان وقعة تناوبها تسلب منها الخاصة السببية ، كما أشار الفلاسفة الى ذلك • فان كان النهار أبا لليل وسببا له ، كان الليل أما للنهار وسبباً له • ان الحركة نفسها لا تثير تأملا أبدا • والروح الانسانية لا تبدأ مثل درس في الفيزياء والثمرة الساقطة من الشجرة والجدول الجاري لا يشكلان لغزا للعقل الساذج - والانسان البدائي يتأمل السانية دون أن يفكر :

مثل راع ينظر الى جريان الماء

لكن المتغيرات الجوهرية هي هذه : ما تلذعه النار له في أفواه الناس مذاق آخر ، وما أضاءته النار يكتسب لونا لا يمحي ، وما داعبته النار وأحنته وعبدته يكتسب ذكريات ويفقد سذاجته • في اللغة الدارجة تستعمل كلمة « ملتهب « Flambe » مرادفة لكلمة « ضائع Perdu » » ، وانما تستعمل كذلك تحببا لاستعمال كلمة غير مهذبة متضمنة لمعنى جنسي • بالنار يتغير كل شيء • وعندما يكون المقصود أن يتغير كل شيء يقال له نار • ليست الظاهرة الاولى هي ظاهرة النار المتأملة ، في ساعة فراغ ، في حياتها وتوهجها وحسب ، وانما هي

(3) PAUL VALERY, PIECES SUR L'ART, P. 13.

لظاهرة بالنار • فالظاهرة بالنار أكثر الظاهرات حسية ، وانها لهي التي تجب مراقبتها بصورة أفضل ، يجب اضرامها أو اخمادها ، ويجب ادراك نقطة النار التي تمس الجوهر كما تسم لحظة الحب الوجود • وكما قال بول فاليري في فنون النار (١) : « لا تخاذل ، ولا هوادة ، ولا تقلب في المكر ولا في الشجاعة ولا الطبع• انها تفرض ، تحت أكثر المظاهر دراماتية، الصراع الحي للانسان والشكل• والعامل الاساسي ، النار ، هو العدو الاكبر أيضا • انها وسيط للضبط لرهيب ، وأثرها في المادة التي تعرض عليهـا أثر محدود جدا ، تهـــدده وتحدده بضع متكررات فيزيائية أو كيمياوية صعبة الملاحظة • ان كـــل فرق مميت : القطعـة مدمرة • واذا خمدت النار أو اضطرمت ، كانت نزوتها كارثة » •••

يجب أن نعطي هذه الظاهرة بالنار ، الظاهرة التي يحسها الجميع ،المميزة مع ذلك في أعماق الجوهر ، يجب أن نعطيها اسم : الظاهرة الاولى التي كانـــت جديرة بانتباه الانسان ، وأعني البيرومين Pyromène سوف نرى بعد قليل كيف أن هذا البيرومين ، الذي يفهمه انسان ما قبل التاريخ بهما صميميا ،قد ضلل جهود العلماء عبر القرون •

□ ● □

(1) PAUL VALERY, LOC., CT. P 9.

أنا، أنت، هو، والهاتف

قصة : أنار رسول أوغلى رزاييف
ترجمة : د وهيب طنوس

- **تعريف بالكاتب :** ولد عام ١٩٢٨ في باكو للشاعر الأذربيجاني رسول رزا ، وللشاعرة نيغار والفيبيلي • وبدأ بنشر قصصه ومقالاته منذ عام ١٩٦٠ • وعمل باحثا علميا في متحف نظامي للأدب « المتحف الأدبي المسمى باسم الشاعر نظامي » ومحررا في الإذاعة والتلفزيون • وهو رئيس تحرير المجلة الفنية الأذربيجانية « غوبوستان » •

أرقام الهواتف
لا يشبه أحدها الآخر
لكن عبرها جميعاً ـ صوت بشري ••
الأيام سيئة
لا يشبه أحدها الآخر
أحياناً أنت نفسك لا تجيب
وأحياناً أخرى يصمت الهاتف ••

فاغين فيكيلوف

بالامس مات هاتفك ولا عجب في هذا لا يموت النـاس فقط بل تموت أرقام الهواتف أيضا ستنسى الكثير من الارقام في حياتك : رقـم جواز السفر ، وراتبك في آخر عمل قمت به ، ورقم سيارة صديقك ، وعدد سـكان مدينتك ، والمسافة الى القمر ، لكنك لن تنسى تلك الأرقام بتتابعها وانتظامها الخاص التي كانت بالنسبة لك أغلى هدية بصوتها ورائحتها البنفسجية عبر الهاتف ·

أحياناً كنت أرفع سماعة الهاتف الأسود وكأنني أفتح غطاء البيانو وأحياناً ، وأحياناً كنت أضعها كما يغلقون وجه التابوت ·

وها لا وجود له ، لا وجود للرقم · أعني أنه موجود لكن أصبح بالنسبة لي أرضا محرمة · فالمسافة التي تفصلني عن أرقام القرص ، الذي يقع تحت يدي لا تقاس بالاميال والكيلو مترات بل بالستة الصوتية أستطيع أن أدير أربعة أخماس المسافة ولكنني لا أستطيع بأي شكل من الاشكال أن أدير الرقم الخامس لان رقمك باب أسود مغلق ، مفتاحه مفقود · كان يجب ألا أراك · كنت أحايرك ، أسمع صوتك واقول :

« لماذا أيتها الحبيبة !؟ » وكنت تجيبينني وتشرحين السبب ·

كـان باستطاعتي الا أراك ، لكننـي كنت أحس بك عن بعـد ، كسـكان الشواطىء يشعرون بالبحر · حتى ولو لم يشاهدوه ·

وفجأة لم يعد للبحر من وجود ·

قصة مبتذلة جدا · أنا أنت و ··· طبعا « هو » لكن أيضا « والهاتف » بدأ كل شيء يوم عرس رسيم ·

□ ● □

كنـــا خمسة ، حيث تابـع فـيروز قـول النخب ، تمـاما كما في الفلم أتذكـرون « كانـوا خمســة » (١) ؟ · أنا وكمال ومـراد وسيمـور ورسيم ·

(١) اسم فيلم سوفيتي ·

استسلمنا كالقلاع الواحدة تلو الأخرى • متعوا طرفكم ، ما هي زوجاتنا ، وضحك الجميع ، طبعا والأولاد في البيت • وهكذا نعقد رسيم في هذا اليوم بعد أن تزوج ، طبعا أمزح • لكما أيهما العزيزان ، رسيم وفريدة ، أسمى تمنياتي ؛ أرجو لكما السعادة والحبور والبنين والبنات • لقد شربنا نخبكما ، وسنشرب المزيد • والآن أريد رفع الكأس ، نخب آخر شخص من « موهيكان » (٢) ، نخب عزيزنا (سيمور) فهو صديقنا الشاب العازب ، شمسنا ، وعزاؤنا الاخير ، ورمز المحبة الصائمة •

التفت الجميع نحوي • ونظرت عبر الضحك ورنين الأقداح الى الوجوه وقد غمرها تعبير واحد ــ تعبير الدهشة والفرح ــ • بعد أن تفرق المدعوون مشينا معا : فيروز ، كمال ، مراد ، وزوجاتهم ، وأنا وحدي في شوارع المدينة الليلية• فجأة وفجأة شعرت بزوجة فيروز تتأبط ذراعي :

ــ حسناً سيمور متى ستتنزه في عرسك ؟

ــ ليس قريبا !

ــ لم ؟ أم أنك تأخذ كلام هذا الثرثار على محمل الجد ــ والتصقت بزوجها بحنان ــ أتظن لأسرة جميعاً ؟

ــ لا يستطيع أن يجد فتاة تليق به • قال فيروز •

ــ فعلا • يا جماعة فلندبر له عروساً • اذا وجدنا لك أجمل فتاة في باكو هل تتزوج ؟

ــ قلت : بكل تأكيد ، بشرط أن تجدوها حالا طالما ان مزاجي رائق ، فغداً سأغير رأيي •

ــ قال كمال : أين ستجدها في مثل هذه الساعة ؟ أفي الشارع ؟ لا أعتقد أنك تتزوج فتاة تسير وحيدة في الشارع في ساعة كهذه •

ــ هكذا • هكذا ــ قلت ــ يعني أن الموضوع منته !

---

(٢) احدى قبائل الهنود الحمر ــ المترجم •

ـ لدي اقتراح : تعالوا نجد له عروساً بالهتف ! ولحسن الحظ هاك هو الهاتف !
قلت :
ـ فكرة رائعة ، لكن ليس لدي قطعة نقود « كوبيكين » •
وفي الحال قدموا لي دريبة من ذوات « الكوبيكين » • ذهبت الى « كشك » الهاتف•
ـ اعطوني رقماً •
قال فيروز :
ـ ادر أي رقم ، مثلا ••• وتلعثم فيروز فجأة ، آي ، لا ، يا أخ ، هذه مسؤولية كما تعلم • لن تتفق مع حماتك وستلعنني طيلة حياتك !
قلت :
ـ يا لك من جبان ، هذا كل ما في الأمر ، المسؤولية !! قل أنت ياكمال !
فقالت زوجة فيروز :
ـ لدي اقتراح ـ وغالبا ما تمتلك اقتراحات ـ كي لا تكون هناك مسؤولية فردية فليسم كل منا رقماً •
قال فيروز :
ـ رائع ـ وهو يثني دائماً على اقتراحات زوجته ـ اثنان •
ادرت الرقم •
ـ تسعة ـ قالت زوجة فيروز •
ـ صفر ـ قال كمال ، والتفت نحو زوجته ، دورك الآن •
ـ لا أعرف • وتثنت ••• حسناً : أربعة •
ـ خمسة ـ قال مراد •
ولم تستطع زوجة مراد الكلام فقد بدأ الهاتف يدق دقاته الطويلة •
قدم لي فيروز منديلا :
ـ خذ وغط فتحة السماعة كي لا تعرف صوتك ، فان حدث شيء ما تستطيع الهروب فوراً •
ضحك الجميع وقفلت الهاتف •
ـ عروستي نائمة !
وتابعنا مسيرنا •••

ذهب كل الى بيته ، ولسبب ما ، شعرت بوحدة مريرة . سرت طويلاً في الجادة الموحشة أتطلع الى البحر المظلم ، والعوامات المختلفة الألوان . وتذكرت فجأة الرقم الذي طلبته ساعة خلت . كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . دخلت أقرب « كشك » للهاتف . وحين أخرجت « الكوبيكين » لاحظت منديل « فيروز » فغطيت به سماعة الهاتف متبسماً ثم طلبت الرقم ٢٩٠٤٥ لم أنتظر طويلاً .

رد صوت نسائي لا يمكن تسميته ناعساً بل كان متعباً مندهشاً بعض الشيء.

اسمعكم .

ــ مرحباً .

ــ مرحباً من يتكلم ؟

ــ هذا أنا فلنتعارف !

وبصورة آلية اتخذت وضعية الصمود والدفاع عن النفس ، كما لو انني اتحاشى صفعة أو شتيمة ، أو كانني اردت الا أهتز للصدمة ، كالتي يحدثها غلق باب في وجهك .

وذهلت حين لم يحدث شيء من هذا أو ذاك . فقد رد الصوت كالسابق بهدوء :

ــ ألا تعتقدون أن الوقت متأخر لمثل هذا ؟

ــ أبداً ، فلقد خرجت لتوي من عرس أقرب الأصدقاء الي . لقد كان آخر صديق عازب لي ، وأنا أشعر وكأنني جئت من حفلة تأبينه ...

ــ لا ، لماذا تفكرون بمثل هذا ؟ أولست متزوجاً ؟

ــ لا ، وأنت متزوجة ؟

وضحكت .

ــ أليس كثيراً ما تريد أن تعرفه في الدقائق الأولى لتعرفنا ؟!

ــ اعذريني من فضلك . فأنا لست من زمرة الطائشين الذين يتسلون بأرقام الهواتف ، مجرد أنني شعرت بالوحدة واردت أن اتحدث الى انسان ما .

ــ وكيف عرفتم رقمي ؟

ــ محض صدفة . لقد ... أدرت أول رقم خطر بذهني .

ـ رائـــع ·
ـ أتدرين لقد شربت قليلا وشعرت بالوحدة الشديدة ·
ـ يحـدث هـذا ·
ـ ألا نستطيع أن نلتقي ؟
ـ هذا ما لا يمكن · تعال نتفق بالشكل التالي · لوقت متأخر الآن · اذهب ونم وغداً ستكون أفضل بكثير ستتأكد من ذلك حتماً ·
ـ لكني أريد رؤيتك أو على الاقل التحدث اليك ·
ـ أنت تعرف رقم هاتفي ، أم أنك نسيته ؟! حسناً ! ان راودتك تلك الرغبة بعد صحوك من السكر ، تستطيع أن تتصل بي هاتفياً ·
ـ أحقـــاً ؟
ـ حقاً ، ليلة سعيدة ·
ـ سأتصل بك غداً ·

ومع ان هذا أبعد درجات الحمق الا أنني حين سرت في الجادة الخالية شعرت كأن لدي أحداً ما وفعلا لم أتصل به في اليوم التالي · جريت الى هنا وهناك ونسيت كل شيء · وبعد بضعة أيام حدثت مشادة كلامية بيني وبين رئيس مخبرنا ـ مشرفي العلمي · وبعد انتهاء المناقشة دعاني فيروز الى بيته · لقد كنا نعمل معاً في نفس المعهد ، وأخذ يلقنني ، طوال الطريق ، أصول التصرف السليم ويؤكد لي : أن علي الا أقف في الطريق المضاد حتى ولو كنت محقاً · هناك صيغ كثيرة للتعبير عن الحقائق ، أما وضع النفس في كفة ضد الجميع ـ فلعل هذا ليس بأفضل تلك الصيغ ·

ـ قـال فـيروز :
هناك مفهوم الكياسة · تستطيع أن تقول مثلا لشخص ما « هنـــاك مغالطة ، ونفس الفكرة تستطيع التعبير عنها بالشكل التالي · » أنت أبله ، ما الذي تفهمه بهذا الخصوص ؟! وهكذا ···
ـ وهكذا ملك هذرك ·
ـ حسناً يبدو أن الكلام معك الآن غير مجد ، تعال نشرب الشاي في منزلي ·

قالت لي زوجة فيروز ، في الوقت الذي دخل فيه الغرفة الثانية ب « بيجامته » الزرقاء وخفه الناعم :

أتدري ؟ انه يلفظ كلمتي « با ـ با » « ما ـ ما » بشكل مدهش دون أن يعلمه أحد ـ قالت ذلك عن طفلها الذي له من العمر سنة واحدة •

ـ أجل شيء مدهش ـ قال فيروز من الهو ـ أصبحت لدي قناعة بأن اللغة تكونت على يدي الاطفال ـ وليس الكبار ـ في عصر الانسانية الاول • انهم وحدهم الذين اخترعوا الكلمات التي نستعملها نحن الكبار • انظر ما أروعه • هل رأيت طفلا كهذا عند أحد أيها العم سيمور ؟ !

حاولت جاهدا أن أتذكر الرقم • أذكر الرقمين الاخيرين و الرقم الاول (٢) والثالث (صفر) أما الثاني فلم أستطع تذكره على الاطلاق •

ـ اسمعي يا « سيمايا » أتذكرين أي رقم قلته في ذلك المساء ؟

ـ في أي مساء ؟

كان علي أن أشرح طويلا وأتحمل قيضا من النكات والتلميحات والتخمينات والهمزات وحين وقفت بالباب مودعا سمعت صوت « سيمايا » :

ـ لقد تذكرت •• تسعة ، انه رقم « الترولي باص » الذي أسفر به •

□ ● □

ـ ألو ، مرحبا ، هذا أنا •

ـ مرحبا ، من ؟

ـ أنسيت ؟ أتذكرين حين اتصلت بك ؟ منذ ثلاثة أيام مضت ، وفي مثل هـــذا الوقت تقريبا ؟

قالت بصوت هازيء :

كان صوتك مغايرا ، أم أن هناك جماعة كبيرة من أصدقاء أحد المتزوجين ؟ تخفون من وحدتكم بالاحاديث الهاتفية •

كانت تتحدث بحدة ووضوح ، ولحسن الحظ فهمت القضية على الفور فغطيت بسرعة السماعة بالمنديل •

ـ أقسم لك بأنني أنا هو ذلك الشخص نفسه ، لكـن ربمـا كان صوتي ، في المرة الماضية ، متأثرا بالخمرة •
ـ لا ، كان تماما كصوتك الان • لقد خيل لي في البداية أنه صوت آخر ، وضحكت بارتياح ، حسنا واليوم أنت صاح ؟
ـ صاف كالبلورة • وكنت أرغب بالاتصال بك هاتفيا حتى أنني سجلت رقمك خوفا من أن أنساه •
ـ حسب فعلت إذ تلفنت ، فمزاجي اليوم حزين لان مذياعي اليوم معطل •
ـ وهل تتأخرين هكذا دائما في النوم ؟
ـ أجل فأنا أسمع الموسيقى حتى ساعة متأخرة من الليل • احترقت القاصمة هذه الليلة فأصبحت ، قلقة ، لا أجد مكانا يحملني •
كنت أسمع عبر الهاتف احدا ما ، وكأنه من مكان قصي ، يعزف على البيانو •
ـ أنت لا تحبين طرح الاسئلة لكن أستميحك عذرا لبعض وقاحتي ، من يعزف في مثل هذا الوقت ؟
ـ أ • • آ ـ وضحكت ـ هذا ليس عندي ، لكنه عند الجيران • انها فتاة صغيرة مبيدة تتمرن حتى ساعة متأخرة من الليل - الحائط رقيق ، وتكاد ألحانهـا تخرجني عن طوري • عندما استعمل المذياع على الاقل لا أعير ألحانها اهتماما •
ـ والى أي شيء تستمعين في المذياع ؟
ـ أو • • • و • • • ، أنا أعرف المذياع كما أعرف غرفتي ، هنا أمسية غنائية • • •
ـ وكأنني أراها تجلس قرب المذياع وأصابعها ترتفع مع مسيرة النغم ـ وهنا مقطوعات غنائية متقطعة تأتي من وراء المحيط ، وهنا زمجرة العواصف ، وهنا حديث بلغة مجهولة ، وهنا أمسية صاخبة: عريف الحفل يتكت ، لا أفهم الكلمات لكن الجميع يضحك ، ويصفر ويصفق ، فينتقل الى المرح • وهنا دائما احدى التمثيليات الغرامية : رجل وامرأة يتحدثان بخفوت ، بلهجة أقرب للهمس ، واشعر بأنفاسهما عبر الميكروفون • المذياع ـ شيء مدهش وكان معي في غرفتي عالم الليل سماء ليلية ترخر باللحن والدراما والطائرات • سألتها :
ـ الطائرات ؟

قالت ـ أتسمع ؟ ـ وفهمت أنها صمتت لتستمع • وبعد قليل سمعت أنـا أيضا دوي طائرة بعيد • وفكرت :

« عجبا ، هل ستمس هذه الطائرة فوق بيتي أيضا ؟ وأين يقع بيتها ؟ في أي جهة من المدينة ؟

قالت : ـ الطائرة والمذياع متشابهان بعض الشيء ، أليس كذلك ؟

ـ لعل السبب في ذلك يعود الى أن لهما سماء واحدة •

ـ ربما ـ قالت ذلك وصمتت •

لم يعد يسمع دوي الطائرة من خلال السماعة بل كانت تتردد بعض الانغـام الثابتة والمتشابهة -

ـ انا أتحدث باستمرار بينما أنت تبقى صامتا ، حدثني عن شيء ما •

بشعور من موقفي الحرج وعدم امكانية التملص من الاستجابة لرغبتها في الحديث رأيتني أسكب كل ما لدي من مشاكل العمل لانسان لا أعرفه • حدثتها : كيف أنني يوما بعد يوم أجد صعوبة في التعامل مع أقرب أصدقائي « فيروز » ثم عن الاسباب التي تمنعني من حب مشرقي العلمي ،وسردت كل ما قلته له اليوم أثناء المناقشة ، وأشياء كثيرة أخرى •

ثم عدت لنفسي وبسرعة ـ وربما بسرعة فائقة ـ ودعتها •

رجعت أدراجي لى البيت وأنا أفكر أن أحدا ما لن يصدق ما حدث • فعلا من السحف أن تقاسم همومك وأفكارك الخاصة جدا انسانا لا تعرفه بالمعنى الكامل للكلمة وهل هي أكثر من انسان يحب الاستماع الى الموسيقى ليلا ، وحارته تتمرن على الالحان ؟

أحد أشخاص هذه القصة هو « لهاتف » وأود أن أرسم بعض الخطوط في شكله • في الآونة الاخيرة غدوت أفكر بالهواتف كثيرا وأصبحت أعرف كلا منها بوجهه •

في مكتب مدير مخبرنا يقبع هاتف أسود ، وفي كل مرة أنظر اليه (الى الهاتف وليس الى مدير المخبر) أرى عيني مديرت المذعورتين الخائفتين دوما ، وأرى جلسته في أريكته وكأنه فوق ابر ، وهو يهتز لكل رنة هاتف • كنت أحس وكأن هذا الجهاز الاسود بالنسبة اليه لغما وضع على المنضدة الصغيرة ، يمكن أن ينفجر في أية دقيقة بخبر مفجع • قد يخبرونه هاتفيا بأنه مسرح من عمله أو أن امرأته هجرته • ويوجد في «ديواننا» هاتف بلا قرص ، كالسيارة بلا عجلات ، كرسالة بلا عنوان ؛ كان عاجزا وبدا لي رمزا لمعبودية والضعف • يتصلون بك لكنك لا تستطيع الاتصال بأحد • وكنت أقرن هذا النوع من الهواتف بالهاتف الالي (١) الذي يجسد بنظري فكرة التسيب واللامسؤولية • تستطيع أن تتلفن وتقول ما تشاء دون ان يستطيع الاخرون الاتصال بك أو جوابك •

واصبحت أشعر بالمرارة أكثر من أي وقت مضى لعدم توفر الهاتف لدي في البيت • كنت اجمع قطعات النقود ـ كفرس بخيل ـ من ذوات الكوبيكين واضعها في جيب سترتي الايسر ، آخذها من أصدقائي وأستبدلها من المحلات التجاريـة و « أكشاك » الباعة •

أصبحت أتلفن لها كل ليلة تقريبا ، وبحكم عادة استحكمت فينا ، في ساعة متأخرة من الليل •

دخلت هذه الاحاديث ، بصوتها المتعب الساحر بعض الشيء ، وبما يرافقها من أنغام تدريبية مملة ، ومن توقفات قصيرة يتخللها دوي الطائرات وتنفس مذياع خافت ، دخلت حياتي كعادة وضرورة ملحة •

وعرفت عنها أكثر من السابق ، ولو أن ما عرفته كان يسيرا للغاية • عرفت أن اسمها « مديما (تعيش لوحدها ، وأن عينيها بندقيتا اللون ، وقياس حذائها (٣٥) • هذا كل ما عرفته عنها • وسألتها مرة :

ـ ما عمرك ؟

فأجابتني :

---

(١) الهاتف مثل « الكشك » وهو متوفر بكثرة في شوارع الاتحاد السوفيتي ـ المترجم •

ـ أوه ، أنا عجوز شمطاء ، لدي أحفاد وحفيدات !

من خلال صوتها الفتي أحسست بوضوح أنها تضللني ، وفهمت شيئا آخر : أنها لا تريد أن تقول شيئا عن عمرها وعملها ووضعها العائلي ، وهي أيضا لم تسألني عن ذلك مع أنها أصبحت تعرف أن عمري تسع وعشرين سنة ، وما زلت عازبا ، أعيش مع أمي ، وأعمل في مؤسسة علمية ، لم تعرف فقط اسمي الحقيقي، فبعد أن اكتشفت لعبتها قلت لها اسما مغايرا « روستام » وربما كان « مدينا » ليس اسمها الحقيقي !

ـ متى سنلتقي ؟

قالت : ـ ولم ؟ نحن ، على هذه الحالة ، سعيدان ، لا أدري فيما يخصك ، أما بالنسبة لي فهذه المخابرات أدخلت الى حياتي شيئا ما في غاية الاهمية ، أفرح كثير لانني في ساعة ما أنتظر مخابرة من انسان أستطيع أن أقاسمه انطباعاتي لانني لا أعرفه ، ولم أره ، ولو لمرة واحدة ، حتى ولا أستطيع أن اتخيله ، وهو أيضا يقاسمني همومه لانه أيضا لا يملك أي تصور عني ، اذا تقابلنا زهد كل منا بالاخر وانتهى كل شيء ، واذا لم يزهد أحدنا بالاخر يصبح الامر شيئا عاديا مبتذلا ، علىق على علاقاتنا بهذا الشكل ، أؤكد لك أن هذا أمتع بكثير ، من الافضل أن تحدثني كيف يسير عملك ، فهل اصطلحت الاحوال ؟

ـ لقد قمت كتابا بالانفكاك ،

ـ والى أين ستذهب ؟

ـ لا أدري ، ربما تستطيعين نصحي ،

لم تجب ، وسمعت دوي طائرة ،



احتفلنا بعيد رأس السنة في بيت « فيروز » وجاء العروسان الجديدان « رسيم » و « فريدا » أيضا ، وفي الثانية عشرة الا عشر دقائق جلسنا حول المائدة التي حضرتها زوجة « فيروز » وبقية الزوجات الاخريات ، وكنت آخر من وصل

كان الطقس قارسا ، وكم هو جميل أن تشعر بنور ودفء البيت بعد الخلاص من الشارع الثلجي العاصف ٠

ما أن دقت الساعة الثانية عشرة حتى بدأنا في العناق والتقبيل وكل منا يرجو للآخر الافراح المستمرة ، وقال فيروز أن هذا العام سيكون عاما تاريخيا ،عام زواج سيمور ٠ ثم شربنا المزيد ٠ وانتحى فيروز بي جانبا فجلسنا ، والكوبان في يدينا ، ثم قال لي نخبا بعد أن غالبه السكر ٠

أشرب نخبك ولتبق هكذا الى الابد مستقيما مثاليا لكن بشيء من الواقعية ، أنا أعرف أنك ، ربما بدأت تحتقرني في قرارة نفسك ، تظنني بعت نفسي من أجل هذه « الخشبات » وأشار الى أثاث بيته اللامع ، لا لن أؤنب ضميري ولو بكلمة واحدة فبامكانك أن تكون واثقا من ذلك ٠ لكن يجب أحياناأن نرضخ بشكل ما ، أن نقف عند حد معين ٠ كي تحافظ على موقعك لا بد من أن تتجه نحو الاعتدال ٠

ـ ربما كنت محقا لكن هذه الحسابات معقدة جدا بالنسبة لي ٠

ـ ايه ! ـ نفض يده متأففا ـ هيا فلنشرب نهدا أفضل ٠ أين ستعمل اعتبارا من بداية العام ؟

ـ في الجريدة ، أما بالنسبة للعلم فسأمارسه بمبادرتي الخاصة ٠ لقد أضيف اسمي الى الملاك ٠

ـ حسنا أنت أدرى بنفسك مع أنني لا أستحسن هذا ٠

جلس وراء البيانو وغنت زوجته آخر أغنية بثها المذياع ٠ وفجأة تذكرت الالحان التدريبية ثم المذياع ٠

ـ أريد أن أقول نخبا ٠

التفت الجميع نحوي باستغراب فكلهم يعرف أنني لا أقول الانخاب ٠

ـ نحن الان مجتمعون جميعا فرحون بلقائنا ، لكن تعالوا نفكر بأن هناك بعضا من الناس وحيدون ـ العمال الذين يحولون الحطب أمام القصار مثلا ٠

ـ من ، من ؟ تساءل الجميع بصوت واحد ٠

قلت بتحد :

ـ عمال السكك الحديدية ، أجل عمال السكك الحديدية الذين يعرفون مواعيد القطر ويخرجون من بيوتهم الخشبية لاستقبالها .

قال رسيم ـ « هذا تعلق بالسفاسف من جانبك .. لقد فكرت بانسان لايهمنا»

ـ لا ، لا أحق على عامل السكك الحديدية ـ قال فيروز ذلك فضحكت زوجته بصخب ثم شاركها الجميع ضحكها . نظر فيروز الي ونهض على الفور :

ـ صمتا ، صمتا ، يبدو انه فكر بالغضب أرجو أن تقسموا عن الضحك ، وهكذا نحب عمال السكك الحديدية !

رفع الجميع أكوابهم .

ـ لا ، لم أرد أن أشرب نخب عمال السكك الحديدية . لقد قاطعتموني . كنت أريد أن أشرب نخب انسان آخر . وأحذركم ، اذا شاء أحدكم أن يمزح بهذا الخصوص فلا يزعل مني !

ـ أخ ، هكذا ؟ تابع ، تابع ..!

ـ أريد أن أشرب نخب أحد الناس ، نخب انسان وحيد يجلس بجانب مذياعه . وهو يعرف وقائع كافة البرامج في كل اذاعات العالم ويخرج للحفلات الغنائية كعامل السكك الحديدية الذي يخرج للقاء القطارات . في غرفته يتركز العالم ويا له من وحيد في هذا العالم » ـ أفرغت كأسي بجرعة واحدة وشرب الجميع بصمت وحيرة مسترسلين في التخمينات ، ثم أخذوا يلغون بأشياء أخرى .

خرجت الى النهر ، أدرت الرقم وانتظرت طويلا . بقيت اسماعة على صمتها . وفكرت . « خذ ، هذا هو عامل السكك الحديدية ! فهي لم تضع وقتها ، انها تحتفل بعيد رأس السنة في مكان ما ، وما وجه الغرابة في ذلك ؟ » .

تلفنت وتلفنت ، تلفنت لها في الواحدة بعد منتصف الليل لاهنئها بالعام الجديد حسب توقيت موسكو ثم تلفنت لهابعدساعة لاهنئها بالعام الجديد حسب توقيت باريس ثم بعد ساعة ، لا أدري حسب أي توقيت ، ربما حسب توقيتغرينتش . ولم أسمع صوتها الا في الخامسة والنصف صباحا بعد أن خرجت الى الشارع وتلفنت من غرفة الهاتف العمومية .

ـ أهنئك بالعيد الاطلاتطيكي الجديد ـ ربما لم تفهم لكنني لم أشرح لها ٠
ـ آ ، أهذا أنت ؟ لقد جئت لتوي ٠
ـ أعرف ، ما فتئت اتلفن لك طيلة الليلة ٠
ـ لقد كنت عند صديقتي ٠
ـ هذا لا يهم ! أريد أن أقدم لك في العام الجديد اعترافا هاما ٠ أنا أحبك بوله !
ـ هكذا ! ـ وضحكت ـ مفاجأة سارة في الساعات الاولى من العام الجديد ٠
ـ انت كنزي ، شمسي ، ذهبي ولا أدري الكلمات التي تقال في مثل هذا الحال لكنني أحبك كأكثر من وما أحسست سابقا ٠ أنا أعلم أن هذا حمق وعباء فأنا لم أرك بعد ، وبالرغم من ذلك فهذا هو الواقع ٠ لا أدري معنى الحياةبدونك ٠ قالت ، ـ بدون هاتفي ! ، أتعرف مع ان هذا لا يتعدى النزوة الا أنني سعيدة بسماعه !

لاول مرة لم ترافق الانغام حديثنا فقد حل الصباح ، ولانني درست فيمامضى الموسيقى خطرت ببالي المقارنة التالية :

أنغام الحياة المتعددة ، مفاتيح الاركورديون تتتابع كالايام والليالي ـ أيام نيرة وأيام مظلمة تعيسة ٠

ـ متى سأراك ؟ فعلا ، أنت على حق ، فهذا أفضل شكل للحب ٠ ملامسات هاتفية اتصال رائع !
ـ من طرف واحد ، أعني أنك تستطيع الاتصال بي أما أنا فلا ٠
ـ أجل ، لهذا السبب يجب أن أراك ٠ قولي أين تعيشين ؟ كي أجري اليك حالا !
ـ أرجوك ـ وشعرت الما في صوتها ـ لا تحرمني من هذه الفرحـــة ٠ واذا كنت ستقترح مثل هذه لاقتراحات التي ـ وثق بذلك ـ سمعتها من الكثيرين، ستنقطع عن اتصالنا ـ وتابعت بعد توقف قصير ـ لقد اعتدت عليك وأنتأول انسانأقول له مثل هذه الكلمات بعد موت زوجي ٠



في الثالث من كانون الثاني بدات عملي الجديد ٠ كتبت موضوعا كبيرا وفينهاية

ايوم قال لي سكرتير التحرير بأن أقدم ما كتبته لضاربة الالة الكاتبة وعليها أن تنجزه ليكون جاهزاً في صباح اليوم التالي •في مدخل المكتب علقت لائحة بهواتف المحررين والموظفين • نظرت بصورة آلية الى تلك الارقام • ارتجفت فجأة بعد أن رأيت الرقم وكأنني أرى وجها مألوفا بين جماهير غريبة ، محتشدة •

ـ من هي « فيليرادي » ؟
ـ انها ضاربة الالة الكاتبة ، تلك التي أعطيتها المواد ، وماذا ؟

نظرت من النافذة وشاهدت ضاربة الآلة الكـاتبة ذات العينين البندقيتين وهي تهبط الدرج • تدق أكعابها ـ توك ، توك ، توك • كنت أعلـــم أن قيـاس حذائها (٣٥)

★ ★ ★

كان هذا أشبه بالقصة ، فقد قادتنا المصادفة معا الى مؤسسة واحدة ، الا أنها لم تكن تدري بذلك • والآن وهي « تدق » الموضوع الطويل على آلتهـا لا تدري أن « أنا » هو « أنا » !

لم أعد أستطيع تمالك نفسي : أسرعت أنقل لها الخبر • خابرتها من الهاتف العمومي ولأول مرة في ساعة مبكرة من الليل • لكن الهاتف بقي صامتا • وفكرت : « بسيطة ، سأخابرها في الوقت المعتاد ، وهذا أيضا سيكون مفاجأة » •

خابرتهـا ليـلا :

ـ مرحباً ، لقد خابرتك منذ ساعتين •
ـ ولماذا في وقت مبكـر كهـذا ؟ كنت عند صديقتي • عندي الكثـير من العمل فاشتغلت عندها •
ـ وأي عمل هذا ؟ سألتها بأكثر ما أستطيع من مكر •
ـ هكذا ، أخذت عملي الى البيت كما أمر رئيسنا الجديد •
ـ رئيس جديـد ؟
ـ أجل لقد جاءنا اليوم رئيس جديد للقسم •

ـ وأي انسان هو ؟ سألتها وأنا أكتم ضحكي بصعوبة ٠
ـ آه ، انه لم يعجبني ـ متعجرف ـ في الحقيقة من الصعب أن تحكم للوهلة الأولى ـ صَمَقت ـ فهذا لم يخطر ببالي ٠
ـ وما الذي لم يعجبك فيه ؟
ـ شيء تافه ، الانطباع الأول مضلل دائماً ٠ ربما كان جيداً ٠ لكن على كل حال يبدو عليه الاعتداد بالنفس ، طويل ، ممشوق ، مليح الوجه لكنه متعجرف جداً ٠ ويا لها من عجرفة ! يتحدث بلهجة آمرة « جهّزيها للغد » ٠

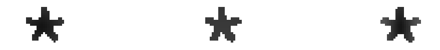
للمرة الأولى تتحدث عن مهنتها ـ ولم أسألها شيئاً فقد كنت أعرف أكثر مما تستطيع أن تحدثني به ٠
ـ وأنت ، كيف حالك ؟ هل وجدت عملا في مكان ما ؟
لم يخطر لي ببال أن ألعب معها أية لعبة ، لكن في تلك اللحظة تحرك الكابح الداخلي وقلت :
ـ لا ، أتدرين ؟ لقد غيرت رأيي ، قررت أن أبقى في مكاني السابق ٠

★ ★ ★

رأيت صاحبتي « مدينا » ، وللأول مرة ٠ لقد رأيتها بالأمس أيضاً لكن كان وجهها واحداً من وجوه كثيرة ٠ وجه جذاب ، محبب لا يتميز بشيء ، وجه عادي وربما كان جميلا لكن جماله باهت كالح ٠

ورحت أسترق النظر الى « مدينا » ، وأنا أقلب الصفحات المطبوعة ، محاولا أن أجد توافقاً بين حقيقتها المرئية وبين أقرب لناس اليها وحبيبها الهاتفي « أنا »٠

كنت لبقاً دمثاً معها ، حذراً ولطيفاً الى أبعد الحدود ـ وتملكني فضول شديد ٠ « هل ستحس بهذا التغيير ؟ » وكي أعرف ذلك كان علي أن أنتظر ساعة لقائنا الثاني الهاتفي ٠



ـ ها ، لقد قلت لك أنه لا يجوز الحكم من النظرة الأولى • انه انسان لطيف ، ظـريف •
ـ لا تتسرعي وتحكمي فالنظرة الثانية قد تخطيء أيضا •
ـ لا ، لا ، بالأمس لم أستطع أن أنظر في عينيه أما اليوم فقد حدّقت فيهما •

وفكرت « متى استطاعت ذلك ؟ فهي لم تنظر الي مطلقاً ! » وتابعت :
ـ ••• صافيتان ، عميقتان ، ذكيتان •

قلت : ـ لقد أصبحت أغار عليك •

هكذا بدأت اللعبة • قوانينها أصبحت واضحة بالنسبة لي مع أنها لم تكن تعرف شيئاً منهـا •
ولم أعد بمقدوري أن أعمل شيئاً • لقد أفلت كل شيء من يدي ، كالرسالة حين تقذفها في صندوق البريد •

★ ★ ★

وكانت لهذه اللعبة بعض مصاعبها • فالموضوع لا ينحصر في عدم معرفتها لي ـ فأنا في كل مرة أستعمل المنديل لتغطية السماعة ـ لكن كان علي أن أغـير من كافة مفرداتي وتعابيري ولهجتي • عليّ أن أغيّر أيضا نمط سلوكي والاهم من هذا وذاك تغيير ذاتي النفسية وشكل أفكاري •

ففي العمل كنت أحرص على أن أبدو انسانا آخر ، لطيفاً لكن صارماً في درع حصين • كانت تحدثني بالهاتف عن نفسي ، وتعريني ، حتى العظم ، محللة ، بدقة ومهـارة ، كل خطوة من خطواتي ، وكـل وضعية اتخذها ، وحتى تعابـير وجهي • والحقيقة كنت أستدرجها لمثل تلك الأحاديث • لكن في الآونة الأخـيرة أصبحت أشعر شيئاً فشيئا أن لا حاجة لجهدي ، فقد كانت تبدأ الحديث بنفسهـا عن « سيمور خليوفيتش » تتحدث عنه طويلا وبسرور أثناء مخابراتها الليليـة المستمرة مع « روستـام » • أما عن « روستـام » فلـم تحدث سيمور خليوفيتش مطلقا • وبصورة عامة لم يدر أحد عن حياتها الهاتفيـة • وأنـا لا أدري أالفرح

لدلك أم أحزن كنت أفكر أنها تخفي علاقتها معه وكأنها سر عميق هام ونفيس • وحدث أمر عجيب : نوع من تداخل المشاعر • فقد كنت كـ «سيمور خليوفيتش» أغار من حياتها الليلية الهاتفية • أما في الليل كـ « روستام » فكنت أغتاظ من أحاديثها المتواصلة عن « سيمور » •

قلت لها مرة هاتفياً :

ــ دعينا نتحدث بـ « أنت » (١) فقد مرت فترة طويلة على تعارفنا •

ــ طيب ، فليكن • ــ سمعتها تردد عبر السماعة •

ــ فلتلازمك العافية وتصبحين على خير !

وفرحت كالطفل اذ أنها ستكلمني بـ « أنت » أما هو فستكلمه بـ « أنتم » • واستغربت كيف أصبحت أعتبر نفسي شخصاً ثانياً وأخاطبه بلهجة الغائب •



ــ أعتقد أنك تجاوزت اللامبالاة به •

أجابتني بحنق : ــ « ومن أين عرفت ؟ وربما كان هو أيضاً قد تجاوز ذلك ! القيت السماعة بحنق ولم أخابرها لأيام عدة • ويبدو أنها لم تكن الوحيدة التي لا حظت كلفي بها • فقد لاحظنا أحد الموظفين المسنين ونحن نتحادث في البهو فقال ضاحكا وهو يحدق في عينيها :

ــ لا تجهد نفسك فقد حاول غيرك وفشل ، ولم يستطع أحد أن يشعل النار في جليد قلب « موظفتنا » الصغيرة ! وضحكنا نحن الثلاثة • وبعد أن أصبحنا وحيدين ، أنا وهو ، قال :

ــ انها منيعة ، تعيش كراهبة تحافظ على اخلاصها لزوجها الشهيد •

وعرفت أن زوجها كان طياراً ، ومات في الجو منذ عدة سنين •

★ ★ ★

(١) المخاطبة بين شخصين عاديين تكون بالجمع دائما بينما تقتصر على المفرد « انت » بين صديقين حميمين وقد اغفلنا الاولى لثقلها في لغتنا ــ المترجم

في ذلك المساء لاحظت ، وأنا أخرج من عملي متأخرا ، أنها ما زالت تضرب على الآلة الكاتبة • كانت أصابعها طويلة ، دقيقة ، وحين كانت تكتب على الآلة كانت تبدو وكأنها تعزف على البيانو •

خابرتها ليلا فقالت لي :

ـ « يبدو أنك سيء ، لماذا قطعت الخط ؟ لقد رافقني هذا اليوم « سيمور خليوفيتش الى البيت نكاية بك » •

ـ كيف رافقك ؟

وتملكني العجب • وتستطيعون الا تشكوا في صدق استغرابي •

ـ هكذا ، كنت اجلس • أتابع عملي ، وكان الوقت متأخرا فتطوع لمرافقتي الى بيتي • انه فارس حقيقي • وفكرت : « بل على الاغلب أحمق حقيقي » •

في الواقع تابعت عملها الى ساعة متأخرة ولم أفكر بمرافقتها • لكنني فهمت شيئا آخر • فهمت انها تجسد بكلامها ما تتمناه ، وان حدث ورافقها سيمور لن تستاء من ذلك • بل لعلها تقول ذلك لتنتقم مني لانني قطعت الخط ولترغمني على الغيرة يعني هذا انها تكن لي كـ (معجب هاتفي) عاطفة خاصة •

وضعت في التخمينات • لكن ، على كل حال ، أصبحت أعرف كيف أتصرف في حال تأخرها في العمل •

★ ★ ★

كنا نمشي في شوارع المدينة الخالية • وسألتها :

ـ وماذا تفعلين مساء بعد العمل ؟

أجابت ببساطة : ـ أجلس في البيت •

ـ هكذا تجلسين وحيدة ؟

ـ ولماذا هكذا ؟ اقرأ وأستمع الى المذياع • وفكرت . « أحقا ستحدثني عن المذياع تماما كما كانت تحدثني عنه عبر الهاتف ؟ » لكنها تحدثت عن شيء آخر • وكنت لها شاكرا •

ـ « هذه نافذتي » وأشارت الى الطابق الثالث • وقفنا بقرب بيتهـــا • خلعت القفازات •

ـ ربما كان درجكم مظلما ، فسأرافقك الى الاعلى •

ـ لا •

لكنني قررت أن أمضي حتى النهاية •

ـ ربما دعوتني الى بيتك ؟

ـ بكل سرور ، لكن أصبح الوقت متأخرا • قالت ذلك وهي تنظر الى الساعة ، وشعرت أنها بدأت تضطرب •

ـ الوقت متأخر ؟ وهل تنامين في هذا الوقت المبكر ؟

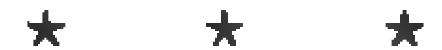
ـ طبعا لا ••• وضحكت •

ـ حسنا ، اذا كنت لا تريدين استضافتي الى « فنجان » من القهوة ، فدعينا نتنزه قليلا • سارت بجانبي صامتة • ودرنا مرات حول بيتها • كنت أرغب بزيارتها ورؤية شقتها ومذياعها ومصباح منضدتهـا وأريكتهـا المريحـة بقرب المذياع وسماع النغمات الموسيقية عبر الجدار • وربما لو دعتني في ذلك المساء لكشفت لها عن تلك اللعبة المزدوجة • لكن ما إن اقتربنا من بيتها مرة أخرى حتى مدت يدها بسرعة :

ـ شكرا يا سيمور خليلوفيتش ، تصبحون على خير !

ـ فيكن في حسبانك أن الماء لا يجري تحت الحجر الثابت •

ضحكت ودارت ثم ذهبت • كنت أصغي الى وقع كعبيها على الدرج وفهمت فجأة لماذا اضطربت وأسرعت وهي تنظر الى الساعة : انها تريد أن تلحق المخابرة • كانت تنتظر مخابرتي •



بعد مرور بضعة أيام وعندما أخطأ رئيس التحرير المسؤول ، في اجتماع عاجل، خطأ بسيطا قطعته بحدة وقذفت بكلماتي شمالا ويمينا. لم يجبني بشيء •وفجأة أشفقت عليه « كم من السنين عمل هذا الانسان في الجريدة ومن الواضح أن أحدا ما لم يخاطبه بمثل تلك اللهجة أمام الموظفين » •

بعد انتهاء الاجتماع شعرت بأنني على غير عادتي • أولا ، لم أكن محقا كل الحق ، وثانيا تذكرت نصيحة فيروز ، وثالثا لم تكن لدي رغبة في مغادرةالعمل ف « مديبا » كانت ما تزال هنا • وذهبت الى مكتب رئيس التحرير المسؤول •

★ ★ ★

حين خابرت « مدينا » ليلا كنت أعلم مسبقا عما سيدور الحديث :

ــ أوه ، أتدري يا روستام أب سيمور جسور وجريء • يقال أنه اليوم ضايق رئيس التحرير في الاجتماع ، أتدري ؟ هذا شيء مستحيـــــل ، فحتى الان لم يستطع أحد أن يوجه له كلمة واحدة ، أما هو ففعل ذلك أمام الملأ !

قلت :

ــ أعرف جيدا تلك النوعية من الناس ، آه كم هي معروفة لدي ، يصرخـون في الاجتماعات ، ويلقون بأقوالهم الجزئية أمام الناس ، ثم لعل صاحبك هذاسيمور ذهب بعد ذلك الى رئيس التحرير واعتذر منه على انفراد •

قالت بحزن :

ــ يا لك من سيء ! لماذا لا تحبه ؟

ــ لانك تحبينه ولانني أحبك •

ــ حسنا ، سنحب جميعا بعضنا بعضا •

ــ طبعا هذا مضحك بالنسبة لك ، لكن المأساة هي أنك تلتقي معه وسيصطحبك الى السينما •

ــ وما الذي أدراك أنني أرافقه الى السينما •

ــ أخمن ذلك •

وضحكت • يبدو أن الفكرة راقت لها •

ـ أما بالنسبة لي فلقاءات هاتفية !
ـ لكننا كنا قد اتفقنا بهذا الشأن ؟
ـ وهل حدثته عني ؟
ـ ما بك ؟ لن أحدث أحدا بهذا مطلقا ، هذا بالنسبة لي ، شيء ••• وصمتت قليلا تبحث عن كلمة ـ مقدس ، ان صح التعبير •••

★ ★ ★

في اليوم التالي ذهبنا الى السينما• كان الفيلم عن الطيارين المتمرنين «تضايقت «مديما» ، ولعل هذا هو السبب في أنها فتحت لي قلبها ، وحدثتني أثناء عودتنا عن زوجها ، وعن حياتهما التي نشأت وانقضت في السماء • لقد تعارفا في السماء • كانت مسافرة أما هو فكان ربانا ، ثم أصبحت مضيفة لكي تبقى بقربه • تزوجا وكانا يقومان بالرحلات من موسكو واليها ويقبلان بعضهما في مستودع الامتعة • ثم حملت وحصلت على اجازة حمل وولاده •

رافقته للمرة الاخيرة الى سلم الطائرة • تودعا وتعانقا واتسعت المسافة بين شفتيهما ولم يدريا أن هذه المسافة ستكون فاصلا بين الموت والحياة ، بين السماء الابدية التي لن يعود منها وبين الارض الازلية حيث ستنتظره عبثا • وحين أقلعت الطائرة رشت الماء وراء المسافر حسب العادات الشعبية القديمة •لعل هذه هي المرة الاولى في تاريخ الطيران التي سكبت فيها المياه في اثر طائرة مقلعة كما كان يحدث لالف من السنين خلت • ثم ارتفعت الطائرة وعطل المطر •

توقفت تصيخ بسمعها لشيء ما • وبعد فترة طويلة سمعت دويا ، وفهمت أنها تسمعه قبل غيرها من الناس لان لديها حاسة سمع مهنيـة لا تخطيء • نظرنـا الى النقاط المزركشة المتحركة في السماء المظلمة ثم قالت :

ـ هناك قبره ، الارملات يزرن المقابر أما أنا فانظر الى السماء •

ثم حدثتني انها في كثير من الاحيان تزور المطار في ساعات الليل ،تقبع في زاوية وتتطلع ببساطة الى الطائرات المقلعة والهابطة • حدثتني أيضا أنها أسقطت ، ولم يبق لها ولد من زوجها •

أمررت يدي على وجهها ماسحا دموعها ورحت أقبلها كالمجنون •

ـ لا ، لا ، لا حاجة لذلك ـ وشعرت كيف يستعصي عليها اللفظ تدريجيا • ودعتها ثم خابرتها على الفور • كان صوتها منتعشا بل وحتى مرحا ، ومن على الرومانطيقيون •

★ ★ ★

قلت لها : ـ « أتدرين ؟ ـ أصبحت أناديها أثناء العمل بـ « انت ـ بالمفرد »
ـ بالامس وبعد أن افترقنا خابرتك ، لكن أتتصورين ؟ كان رقمك مشغولا ، وخابرت وخابرت • من خابرت في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ؟ »
لم أنتظر ردة فعل كهذه • شحب لونها وارتعشت اعضاؤها ولكنها تمالكت نفسها وقالت :
ـ يبدو انك أخطأت الرقم ففي مثل تلك الساعة كنت نائمة •
من الواضح أنني لن أعرف مطلقا مدى علاقتها بـ « أنا »، شخصيتي الهاتفية•

★ ★ ★

ـ بالامس رأيتك في نومي •
ـ غريب ، كيف تستطيعان ترى في نومك شخصالم تره في حياتك ولو لمرةواحدة•
ـ رأيت في نومي صوتك ومنياماك « نيريتنا » •
ـ حسنا من الممكن تصور « نيريتنا » لكن كيف يمكن تخيل صوتي أثناء النوم ، فعلا ، شيء جميل معرفة ذلك •
وكيف تتصورني ؟ وهل تتخيلني على شاكلة معينة ؟
ـ طويلة ، كثيفة الشعر ، طويلة الساقين •

قلت ذلك وأنا أحرص على اعطاء صفات مغايرة لملامحها الحقيقية العامة •

ـ أنت ذكي للغاية والان ستراني في نومك كل ليلة ٠

ـ لعل أحدا غيري يراك في نومه ٠

ـ عدت من جديد الى نفس الكلام ؟

ـ لا ، أتدرين ؟ يقال أن الملكة ميخين بانو كانت تتراءى في نوم مائة رجل ، فكم عدد الرجال الذين يحلمون بك ؟

ـ لست سوى نسخة واحدة وفي نومك فقط ، أنت ملاكي الطيب ٠

ـ شكرا ٠

ـ « اسمع يا ملاكي اللطيف ، أريد أن أستشيرك في أمر هام ٠ لكن أرجوك لاتخرج عن طورك ، ولا ترغ ، ولا تزبد ، ولا تغلق الخط حتى أنتهي من كلامي ٠ » وفكرت :

« منذ ثلاثة أيام وأنا أنتظر هذا الحديث واضعا تخمينات كثيرة ، لماذا لاتحدثينني بذلك »

ـ « وهكذا ، اسمع بهدوء ، هل هدأت أعصابك ؟ » ٠

ـ لا تطيلي أرجوك !

ـحسنا ، منذ ثلاثة أيام سألني سيمور أن أتزوجه ، ماذا حل بك ، هل أغمي عليك ؟

ـ لا ، وبماذا أجبته ؟

ـ « حتى الآن لم أجبه ٠ وها أنذا أستشيرك فأنت من أعز أعز أصدقائي وأغلى الناس عندي » ٠

أمر عجيب طبع النساء ! يكفي بالنسبة لها ـ كامرأة ـ أن تعتاد عليك حتى تصبح في نظرها أعز أعز أصدقائها !

قلت لها : ـ لا ، ـ والشيء المدهش أنني قلت ذلك من صميم قلبي ـ لا تتزوجي أحدا ، أو تزوجيني ، أحبك ٠ آه لو كان بالامكان الزواج عبر الهاتف !

ضحكت طويلا وبشيء من الهستيرية •

ـ حسنا ، كن رجلا ذكيا ، أنت ما زلت صغيرا •
ـ وما أدراك ؟ فأنت لم تريني بعد !
ـ أحس ذلك ككل من خلال صوتك وطبعك ومن خلال علاقتك بي • أتوسل اليك أن تبقى هكذا ولا تتسرع في أن تصبح ناضجا •
ـ ربما كنت أعمر من صاحبك « سيمور » •
ـ « لا ، لا ياعزيزي وبهذا الخصوص كن واثقا من حدس المرأة ••• »

كان هذا أشبه ما يكون بالمهزلة ، لكن تألمت كثيرا في الواقع •
ـ لا يامديتا ، وماذا سأفعل أنا ؟ فهو لن يسمح لي أن أخابرك في الثانية بعد منتصف الليل •
ـ ستجد حلا وخيانة الزوج بالهاتف ليست عارا ، وحتى ذلك الحين سيصبح لديك هاتف وسأخابرك بنفسي •
وكيف يمكنني أن أشرح لها أن هذا من المستحيلات !

قالت برزانة وحزن :

« افهمني ، أنتم الرجال تتحدثون دائما عن وحدتكم • وكم هذا مضحك ! ، أنتم لا تعرفون معنى الوحدة الحقيقية ، ما معنى أن تكون المرأة وحيـدة • تستيقظ ليلا وتحس بأن الجدران تمشي اليك و ••• على كل حال لن أتحدث عما يحزن ، وهكذا ، اذا قلت لا ، سأرفض ••• »

ماذا كان بامكاني أن أقول لها ؟ صمتت ثم سمعت دوي الطـائرة وفهمت أن هذا هو الجواب : لن يكون باستطاعتي ـ روستام أو سيمور ـ أن أكون ندا لزوجها الميت •

★ ★ ★

وفي المساء دعتني الى بيتها لاول مرة • كنت أعرف مدخل البناية والطابق لكنني اخطأت في باب الشقة • قرعت الجرس طويلا في الظلام ، لكن أحدا لم يفتح •

الى أن أشعلت عود ثقاب وقرأت وريقة على الباب « المفتاح عند الجيران » ولاحظت على الفور أن الكلمات كتبت على ورقة « نوطة موسيقية » • وفهمت اي جرس أقرع وسبحت في راسي النعمت • استدرت وقرعت الباب المقابل •

المذياع « نيرينفا » ، كنبة مريحة ، مصباح المنضدة ، كل شيء كما كنت أتصوره •

قالت :

ـ سيمور ، سأبحث لك عن موسيقى جيدة ، استمع اليها ريثما أحضر لك القهوة • ثم قبلته واحتضنتها وغازلتها بحنان وشمرت كيف تستيقظ فيها المرأة بقسوة ولدة • ومن وراء الجدار بدأت الالحان تتوالى • ثم انتفضت فجأة من بين أحضاني وأصاخت بسمعها • كنت أنتظر وأعرف أنني سأسمع بعد لحظات دوي الطائرة ، لكن لم يكن هناك من أثر لطائرة • حينذاك فهمت أنها تنتظر الهاتف • لقد كان هذا ميعاد مخابرته •

مخابرته ـ يعني مخابرتي

ومع أنني كنت أعلم أنه لن يخابرها بعد الان ، لكن مع ذلك خامرني الشك ورحت أنتظر • وأنا نفسي تمنيت لو تتحقق المعجزة ويرن الهاتف • لكن الهاتف بقي على صمته •

□■□

نيفوتين سانغ

مشط العاج

ترجمة : عبدالمعين الملوحي

حدث ذلك في ليلة من ليالي القمر ، في قرية من قرى سهل الجرار ، تقع في غابة من أشجار جوز الهند ، كان الماء يفيض حولها ، كنا في مركز من مراكز التجمع يغص بالناس ، ننتظر الرحيل • لم يكن لدينا عمل • فكنا نقضي وقتنا في التمدد على الارض ، ثم في الوقوف لان أرجلنا لا تستطيع الراحة •

كان بيننا رفيق عجوز يعرف كثيرا من القصص ، وخاصة قصص حرب المقاومة • كان قبل أن يبدأ قصته تعلو شفتيه ابتسامة ماكرة فيها كثير من الدلالة وكثير من الاغراء • ولكنه في هذه المرة كان على غير عادته • كان يريد الكلام ثم يحجم ، وهو يطرق برأسه الى الارض ، ونظراته تسبح متأملة ، لا شك أن قصته الجديدة قصة جدية • كانت الريح خارج المركز تحرك جذوع الاشجار، وجعل البيت يترنح كأنه زورق • واستيقظت أسراب مالك الحزين وجعلت تطير هنا وهنالك ولعل الريح والامواج أثارت في العجوز بعض الذكريات •

ومد رأسه ليصغي اليها ، ثم شرع في قصته ، وصوته واطىء ورزين ،ونظرته تمتد الى الامواج ، والى الافق ، والى السماء المرصعة ببقايا النجوم •



هذه الحكاية حدثت منذ أكثر من سنة ، ولكنني كلما تذكرتها هاجتني وهزتني كان علي أن أنتقل من مركز للاركان العامة الى مركز للدفاع الجوي، ، وعندما ظهر القارب ذو المحرك حاول أصحابي معرفة من يقوده ··· ولم يكن ذلك من فضول ، ولكن كنا في حاجة الى معرفة النوتي ، لان مدير المركز أنذرنا بأن الرحلة ستكون طويلة وخطرة · « المرحلة الاولى ستكون في القارب ، وقد تواجهون خطر ظهور الطائرات المروحية (الحوامات) · أما المرحلة الثانية فستقطعونها سيرا على الاقدام وربما وقعتم في كمين · اذا لقيتم الحوامات فعليكم أن تبقوا هادئين ، ولا تتحركوا ، ولا تقوموا بعمل ، ولكن أطيعوا أوامر النوتي اطاعة كاملة · وهذا الكلام يعني أننا يجب أن نثق بالنوتي ثقة عمياء ، وأن نعتمد عليه ·

ولذلك فقد أردت أن أراه لأعرف أي يد سوف تقرر مصيري · ولكن الظلام كان شديدا ومع ذلك رأيت أن صاحب القارب صبية رشيقة ، ذات شعر متحرر ، تحمل على عاتقها بندقية أمريكية وتضع على رأسها منديلا ·

سمعت أن هنالك رفيقة صبية ، حادة الذكاء تقوم بهذه الرحلة ·

ذات يوم كانت تقود مجموعة من « المسافرين » وعندما كانوا يعبرون النهر تركتهم بعيدا وذهبت لتكشف الارض بنفسها ، ومعها رفيقة واحدة ·

وعندما وصلتا الى كرم قائم على ضفاف النهر عرفت أنها وقعت في كمين ولم تفقد أعصابها ، بل نادت رفيقتها بأعلى صوتها ليسمعها العدو :

– تمام ··· ليس هنا أحـد ·· تعالي وخذي المسافرين وسوف أقطـع النهر لاجيء بالقارب ··· كان لهذه الكلمات معنى خفي ·· وعادت رفيقتها الى القارب وأخذت المسافرين وأنزلتهم في مكان آخر يبعد عن هذا المكان عدة كيلو مترات ···

أما الصبية فقد استطاعت قبل أن تخوض الماء ، زرع قنبلتين في موضعين · ثم خرجت من هذه المغامرة سليمة معافاة · ولم يتحرك العدو وهو يتوقع أن يضع

يده على مجموعة كاملة من « المسافرين » وبعد انتظار غير قليل لم ير أحدا فعرف انه وقع في حيلة • فأطلق شتائم مخيفة ليفرح غضبه ، ثم سار في طريق العودة فوقع على القنبلتين اللتين انفجرتا فقتلتا عددا من جنوده •

لقد رووا لي هذه القصة وزادوا فقالوا ان هذه الفتاة تمتلك حدسا عجيبا• ترى العدو من بعيد ، وتستطيع أن تميز بين (اليانكي) و (العميل) •

وقلت في نفسي اذا كانت هذه الفتاة هي التي تقود قاربنا فليس لنا ما نخشاه • وسألت :

— كم فتاة تعمل في هذا المرسى •

— نحن اثنتان ، رفيقة تعمل في المطبخ وأنا •

اذن فهي هي وكنت سعيدا • وعرفت من صوتها أنها في الثامنة عشرة أو في العشرين من عمرها على أبعد تقدير ، وشعرت بالمودة والعطف نحوها ، وأردت أن أتابع الحوار ولكنني توقفت حين رأيتها مشغولة بلف حبل القارب • وبعد دقيقة انتصبت واستدارت نحو القارب الثاني •

— نسير أولا ••• أليس كذلك ؟

وأجاب رجال الاتصال الذين كانوا في القارب الثاني معا :

— نعم ، سيري أولا يا أخت (هي) (١) •

— رحلة سعيدة يا أخت (اوت)

ناداها بعضهم (هي) وبعضهم (اوت) ، فمن هي منهما يا ترى ؟

كانت تخاطبهم في شيء من العبث : (اخواني الصغار) • ثم التفتت نحو مجموعتنا وقالت في احترام :

— أعمامي واخواني الكبار • اذا كانت لديكم أشياء مهمة فالافضل أن تضعوها في جيوبكم أو في مخبأ خاص ، في حالة مصادفتنا لطائرات حوامة أو وقوعنا في كمين •

---

(١) الاخت الكبيرة •

وجعلت تعدد الحوادث التي يمكن أن تتعرض لها ، ولكن في صوت عذب محبوب يناقض صوت رئيس المحطة القاسي • ثم أدارت محرك القارب فانطلق متعمدا من الاشجار وسار أولا • كانت الريح رطبة تدغدغ كل أجسادنا • وبدأ المسافرون يفتشون في أكياسهم تنفيذا لتوجيه الصبية الرائدة • أما أنا فقد كنت أحتفظ بأوراقي ومالي في جيبي ••• وتساءلت : ماذا يمكن أن أضعه في مكان أمين ؟ وتذكرت فجأة مشطا صغيرا من العاج ، وجعلت أبحث عنه في كيسي ووضعته في محفظتي مع أوراقي ثم ضممت كل ذلك الى صدري ، في جيب داخلي كنت أربطه بدبوس •

هذا المشط لا أستطيع أن أراه دون أن أتأثر ••• في الايام الاولى بعد هدنة عام ١٩٥٤ ، عدت لزيارة قريتي مع صديق لي اسمه (سو) • كان جاري بيت بيت على ضفة قناة تصب في نهر (الميكونغ) • ولقد ذهبنا معا للاشتراك في المقاومة في مطلع عام ١٩٤٦ ، عندما غزاها المستعمرون الفرنسيون •

ترك (سو) لامرأته طفلته الوحيدة ولم تكد تبلغ السنة الاولى من عمرها• واستطاعت السيدة (سو) أن تزور زوجها عدة مرات خلال حرب المقاومة • وكان يوصيها دائما أن تأخذ الطفلة معه حيثما ذهبت ولكن السير في ساحات القتال في الغرب لم يكن ميسورا ، ولم تجرؤ على أن تجتاز الغابة بطفلتها • وكانت معاذيرها واضحة فقبلها (سو) ولم يلمها على ما فعلت •

وخلال ثماني سنوات من المعارك لم ير (سو) ابنته الا في صورة صغيرة • وعندما استطاع أخيرا أن يعود الى القرية كان قلبه يخفق حتى يكاد ينفجر • عندما وصل قاربنا الى القرية كانت هنالك طفلة في الثامنة من عمرها ، شعرها مقصوص حتى أذنيها ، تلبس سروالا أسود وقميصا أزهر ، تلعب تحت شجرة العناب في ساحة البيت • وخمن (سو) أن هذه الفتاة ابنته فقفز في سرعة الى الشاطيء ••• واتجه في خطوات واسعة الى الطفلة وهو يصرخ :

— تو يا بنتي •

ووصلت بعده • لقد كان يتصور ، دون شك ، أن الطفلة سوف تلقي بنفسها بين ذراعيه • كان يتقدم ويداه مفتوحتان ••• ولكن الطفلة ارتجفت عندما سمعت نداءه ونظرت اليه وهي تفتح عينيها الكبيرتين •

ولم يستطع (سو) أن يضبط مشاعره ، وكان كلما هاجه أمر يحمر أثرجرح قديم يغطي خده الايمن ويرتجف ويصبح مخيفا • كان يمشي خطوة خطوة ويداه مفتوحتان ، ويردد في صوت مرتعش :

ـ أنا با يا ••• أنا بابا

ونظرت الطفلة اليه في حذر ، وأجفانها تطبقهما حينا وتفتحهما حينا ، كأنما هي مرتبكة • ثم اصفر وجهها فجأة وهربت وهي تصرخ : ماما ••• ماما •

ووقف (سو) يتبعها أنظاره وقد تجهم وجهه وتكسرت يداه •

لم يستطع البقاء في القرية الا أياما ثلاثة ••• لان الطريق الى معسكرنا كانت طويلة • وخلال هذه الفترة القصيرة لم تستطع الطفلة أن تعرف أباها ولم تستطع أن تطمئن الى صدره ، وكان كلما زادها دلالا زادته بعدا • كان يريد أن يسمعها تناديه (يا بابا) ولكنها كانت ترفض في عناد • وأمرتها أمها مرة أن تنادي أباها الى مائدة الطعام فقالت :

ـ ولكن ناديه أنت يا أمي

وغضبت الام وهددت الطفلة بملاعق المطبخ الكبيرة واضطرت الطفلة الى الطاعة وجعلت تنادي كأنها لا تخاطب شخصا معينا :

ـ الى المائدة •••

وتصامم (سو) عن السماع وانتظر أن تقول له :

ـ تعال يا بابا الى المائدة •••

ولكن الطفلة بقت في المطبخ وهي تصرخ :

ـ استوى الارز

ولم يتحرك (سو) ، فقالت الصغيرة لامها في لهجة غاضبة :

ـ لقد ناديت ••• ولكن•••هم•• لا يريدون أن يسمعوا •

عندئذ التفت (سو) لكي يراها ، وهو يهز رأسه ، في ابتسامة • ولكن الالم خنقه حتى لم يستطع أن يبكي •

ومرة ثانية خرجت أمها لتشتري طعاما وأمرتها أن تطلب من أبيها مايمكن أن تحتاج اليه في غيابها • ولم تجب الطفلة وبقيت وحيدة في المطبخ • وعندما سمعت قدر الطعام تفور رفعت غطاءها وجعلت تحرك ما فيها • كان يجب أن ينقص الماء في القدر • ولكن القدر كانت كبيرة وبدأت الطفلة تدير عينيها الى جهة (سو) • وقلت في نفسي • لعلها وقد وجدت نفسها في مأزق ستدعو أباها الى مساعدتها • وبعد أن نظرت حواليها لحظة صاحت :

ـ الرز نضج ، يجب انقص الماء •

كانت كأنها تكلم الهواء •

وعرضت عليها

ـ ولكن يجب أن تقولي ـ يا بابا ارجوك أنقص الماء •••

هكذا يجب أن تتكلم البنات •

وادعت أنها لم تسمع وجعلت تصرخ من جديد :

ـ الرز نضج ••• سيصير خبيصة •

ولم يتحرك (سو) وقلت للطفلة :

ـ اذ صار الرز خبيصة فسوف تعاقبك أمك ••• لماذا لا تستدعين بابا •• يمكن أن تقولي « بابا » •

وجعلت القدر تغلي اكثر فاكثر وتهدد بانسكاب الماء • وبدات الطفلةتجاب وجعلت تحدق في الارض وهي تفكر ، ولكنها لم تستسلم • تناولت (نزالة) لترفع القدر فلم تستطع•وجعلت تنظر في الهواء • كان صوت الماء وهو يغلي يستعجلها ، ولكنها كشرت ، وهي تنظر الى الارز ثم الي والى (سو) • ووجدتها في هـــذا المأزق فتنازعني الرفق بها ، أو الضحك منها . وظننت أنها ستلين ••• ولكنهـا فجأة بدت لها فكرة فانتصبت على أطراف أصابع رجليها لكي تأخذ ملعقة ،وتسحب الماء ملعقة بعد ملعقة ، وهي تتمتم شيئا ما بين شفتيها • يا لهذا الرأس اليابس !

في اليوم نفسه وخلال الغداء ، وضع (سو) في صحن الطفلة ملعقة من بيض السمك ••• ومدت عوديها الى الصحن ، وبحركة سريعة القت بالبيض خارج

الصحن وأسقطت الارز على الارض وغضب (سو) وخرج عن صوابه قصر بها على عجزيها وهو يصرخ :
ــ لماذا هذا الرأس اليابس ؟

واعتقدت أنها ستبكي ، وتتدحرج على الارض ، وتقلب الصحن وتهرب • ولكن لا ••• بقيت ساكتة دون كلمة ، ورأسها مطرق الى الارض ، ثم أخذت البيض بعوديها لتعيده الى الصحن ، ونهضت في صمت وخرجت ••• ولم تكد تصل الى ضفة القناة حتى قفزت الى القارب وفكت سلسلته في ضجة كبرى ثم قطعت القناة • ذهبت الى جدتها لامها وظلت هناك تبكي • وفي المساء ذهبت أمها لتبحث عنه ولكنها لم تستطع اقناعها بالعودة كان (سو) سيسافر في اليوم التالي ••• وكانت هذه الليلة هي آخر ليلة يقضيها الزوجان معا ، فلم ترغب الزوجة في ارغام الصغيرة على العودة الى البيت •

في اليوم التالي صباحا كان عدد من أقرباء (سو) ومعارفه في بيته لوداعه وكانت الطفلة هناك أيضا مع جدتها •

كان (سو) مشغولا باستقبال هؤلاء الناس ، لا ينتبه لابنته • وكانت زوجته تعد له كيسه وتملأ جعبته بكل الاشياء الصغيرة وبقيت الطفلة وحدها ، فكانت تقف هنا في زاوية ، أو تتكيء هناك على الباب وتنظر الى الزوار الذين يحيطون بأبيها • لم تكن سحنتها سحنة ولد عنيد وغاضب ، ولكنها كانت أقرب ما تكون الى الحزن • وكانت أجفانها المكفوفة ، التي لا تكاد ترف ، تبدو وكأنها توسع عينيها اللتين فقدتا تعبيرهما المستوحش في الايام السابقة وجعلتا ترمقان الناس في تفكير رقيق عميق •

وفي ساعة الوداع ، وبعد أن صافح (سو) كل الناس ، بحث بعينيه عن ابنته فوجدها واقفة في زاوية •

كان يريد ــ ولا شك ــ أن يضمها ويقبلها ، ولكنه كان يخشى أن تتخبط بين يديه وتهرب منه ، فقنع بالنظر اليها حزينا حنونا • ورأيت فجأة عيني الطفلة تضطربان :

وتمتم (سو) :

ـ تعالي ! بابا يسافر ، ياولدي ...

وظننا كلنا أنها ستبقى في مكانها دون رد فعل ، ولكن ما حدث كانشيئا خارقا للعادة ... صرخت الطفلة بكل ما تملك من قوة :

ـ بابا ! بابا !

مزقت صرختها قلوبنا ، وخيل الينا أنها قد مزقت بها الصمت وقلوب كل من كان هنالك من الضيوف . انها صرخة كتمتها طوال سنين ، ثم انفجرتالان ، دفعة واحدة ، وبصيحة أليمة . صرخت وهي تطير كالعصفور وتتعلق الى عنق أبيها .

كانت تضم أباها بكل قواها ، وهي تنتحب :

ـ بابا ! لن أتركك تسافر ... ابق معي في البيت .

وضمها أبوها الى صدره وجعلت تقبّل شعره وعنقه وكتفيه وأثر الجرح على خـــده .

عندئذ حدثتني جدتها لامها أنها اكتشفت في الليلة الماضية فقط لماذا لـم تكن الصغيرة تريد التعرف الى أبيها . سألتها :

ـ ولكنه أبوك فلماذا لا تعرفينه ؟

وقالت : وهي تتقلب في سريرها :

ـ ليس هذا صحيحا .

ـ وكيف يكون غير صحيح ؟ ولكن أباك سافر منذ أمد بعيد ، وأنتنسيته .

ـ ولكن هذا السيد لا يشبه أبي في صورته المشتركة مع أمي .

ـ ولم لا يشبهه ؟ كل ما في الامر أنه أصبح أكبر سنا بعد هذه السنوات .

ـ لا ... ان أبي ليس له أثر جرح في خده .

ـ آه ... أهذا ما تظنينه .

قالت جدتها ذلك وتنهدت تنهيدة طويلة . ثم شرحت للطفلة أن أباهاجرح في معركة خاضها ضد المستعمرين الفرنسيين وذكرتها بالجرائم التي ارتكبهاهؤلاء عند مدخل القناة ، وكان لهم هناك مخفر .

وأصغت الفتاة صامتة ، واستدارت فوق سريرها ، وجعلت تتنهد ، مرة بعد مرة ، كأنها شخص كبير . وعند الصباح طلبت من جدتها أن تعود بهـا الى البيت ، وهنالك عرفت أباها ، ولكنها لم تعرفه الا في الساعة التي كان عليه فيها أن يغادر بيته .

كانت ما تزال تضم أباها بين ذراعيها ، ولم يرغب الاب في أن تراه ابنته وهو يبكي ، فمسح عينيه بمنديله ، وقبّل شعرها ، وقال لها :

ـ سأسافر يا ولدي ... ولكني ساعود بعد قليل لاعيش معك وصرخت الطفلة وهي تتشبث بعنقه بكل ما تملك من قوة .

ـ كلا ...

ولعلها رأت أن ذراعيها لا تكفيان فأحاطته بساقيها ، وربطت بينهما ، وجعل كتفاها يختلجان .... وذهل الحاضرون حتى أن بعضهم لم يستطع مقاومةدموعه. أما انا فكدت أختنق . وفكرت في أن أعرض على (سو) أن يبقى في المنزل أياما أخرى .. ولكن ذلك كان صعبا . فقد وجب علينا أن نجتمع في يوم معين فيالشمال لنتلقى الاوامر ونكون مستعدين للرحيل . اذن فقد حل موعد السفر . وأحطنا بالطفلة لكي نعزيها ، وقالت لها أمها :

ـ (تو) ، يا صغيرتي ... اتركي أباك يسافر ، غدا عندما تتوحدبلادنا سيعود الينا .

وداعبت جدتها شعرها وقالت لها :

ـ حفيدتي صبية عاقلة ... ستترك أباها يسافر . وعندما يعود سيشتري لها مشطا من عاج .

وضمت الطفلة أباها مرة أخرى وقالت وهي تشهق بالبكاء :

ـ عندما تعود ستشتري لي مشطا ... أليس كذلك يا بابا ؟
ثم جعلت تسقط في بطء على الارض .

عدنا الى القطاع الغربي ... ولم نكن في قائمة التنقلات . كانت السنوات بينأعوام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ سنوات صعبة ، كما تعرفون . كانت العصابة الاميركية

والعميلة تطارد وتذبح المحاربين القدماء في المقاومة ذبحا وحشيا • وكان علينا أن نلجأ الى الغابات •

ولو أني أردت أن أحدثكم من الحياة التي عشناها هنالك لاستغرق حديثي اياما طوالا • كان العدو يطوقنا في الليلة الواحدة ثلاث مرات متتاليات • وكنا أحيانا نأكل أوراق الشجر لفقدان الارز • ولكن دعونا من ذلك ولنعد الى قصة صديقي وابنته • كان (سو) في ليلة من الليالي ينام في كوخه تحت سقف من (النيلون) ويفكر في ابنته ، ويلوم نفسه لانه ضربها ذات يوم • وكنا يوما نتبادل الآراء في صوت خافت حين نهض فجأة وقال :

ـ انه الزمن المناسب • هنا في هذه الغابة يصطادون الفيل :

يجب أن أصنع مشطا من العاج لابنتي الصغيرة •

وظل يبحث عن طريقة يشتري فيها قطعة من العاج • وسنحت له فرصةطيبة قررت مجموعتنا ، بعد نفاد المؤن ، أن تقوم بعملية صيد واسعة ، لا بالبنادق بل بالسهام المسمومة ، لان علينا أن نلتزم بالهدوء والصمت في الغابة • ولم يكن الصيادون يرمون الى قتل فيل ، ولكن الصدفة أوقعتهم في مواجهته • أراد بعضهم أن يتجنب قتله ، ولكن (سو) قرر قتله ، واختفى مع رفيق له في كمين بين الاعشاب وعندما جاء الفيل يقضم الاعشاب رمياه بسهمين أصابا عينيه •

ما أزال أذكر ذلك المساء • بعد يوم ماطر في الغابة كانت قطرات الماء لا تزال تتشبث بالاوراق ، وكانت الغابة تتلألأ بأنوارها • كنت أعمل تحت سقف من (النيلون) حين سمعت من يناديني • وفي الدرب الذي يتوغل في أحشاء الغابة رأيت (سو) يركض ويلهث وفي يده قطعة من العاج ، وهو فرح كالاطفال•

أخذ غلاف رصاصةأمريكية طولها ٢٠ مم ،وقومهاثم جعل منها منشاراصغيرا ، وقسم قطعة العاج الى لوحات ناعمة • وقضى كل أوقات فراغه في نشر أسنان المشط واحدة واحدة بمنشاره • كان يقوم بهذا العمل في حذر ولطف ودقة ، كأنه

أحد المثاليين • كنت أحب أن أراه يعمل في مشط ابنته وأشعر بالسعادة عندما يتطاير غبار العاج على قدميه •

كان ، في كل يوم ، يصنع عدة أسنان ، وأخيراً تم مشط العاج واكتمل • كان طوله أكثر من عشرة سنتمترات وكان عرضه سنتمترا ونصفا مشطا لصبيه ، له أسنان واضحة قادرة على تسريح شعر طويل •

ونقش (سو)على صفحته كلمات خطها في صبر وأناة حرفا بعد حرف :«الى ابنتي (تو) ، مع حبي • بابا • » •

وقبل أن يسرح مشط العاج هذا شعر ابنته كان مصدر عزاء وسلوى لقلب الوالد • كان يمسك به في الليل ويفكر في ابنته • وكلما نظر اليه حن الى لقائها • ولكن الكارثة كانت في انتظاره •

في يوم من الايام ، في نهاية عام ١٩٥٨ ، ولم نكن عندئذ قد دخلنا مرحلة المقاومة المسلحة سقط (سو) في عملية ضخمة من التطهير قام بها الامريكيون وعملاؤهم • اخترقت رصاصة ألقتها طائرة معادية صدره • وفي لحظات حياته الاخيرة أخذ المشط من جيبه ، وأعطاني اياه وهو ينظر الي نظرة طويلة • لا أستطيع أن أصف هذه النظرة ، ولكني ما أزال حتى الآن أتمثل نظراته وأرى عينيه :

وشوشت في أذنه :

ـ سأعطي هذا المشط للصغيرة •••

وعندئذ أغمض عينيه ورحل عنا •

يا رفاقي في هذا العهد الاسود كنا نعيش سراً ، بل كان علينا أن نموت سراً • لم يكن في المستطاع أن نرفع شاهدا على قبر (سو) • لأن العدو اذا اكتشفه نبش قبره وأخرجه واستطاع أن يتعقب آثارنا • ولذلك فقد كان القبر في مستوى الارض في الغابة : لقد كشطت جذع شجرة هناك لاعرف الموضع •

هكذا كان علينا أن نعيش ونموت من ذا الذي يستطيع أن يتحمل ؟ • لقد كان علينا أيضا أن نحمل السلاح ونحارب •

كنا اذا وصلنا الى قاعدة فيها شيء من الامان نتلقى زيارة بعض الاقرباء •

وكنت أريد أن أسلم واحداً منهم مشط العاج للطفلـة (تو) ولكني علمت أن السيدة (سو) وابنتها قد تركتا القرية • فبعد « عمليات كشف الشيوعيين » بدأت سلسلة من « التطهيرات » و « الحرائق » قام بها الامريكيون وعملاؤهم • ولم يبق خلال سنوات قليلة الا بقية يسيرة من قريتنا • تفرق الناس ، ولم يعرف بعضهم أخبار بعض وسمعنا أن السيدة (سو) ذهبت الى (سايغون) ، ثم سمعنا أنهـا عادت الى سهل الجرار » •

ولذلك فقد احتفظت بالمشط » •

كنت أمسك هذه الذكرى بيدي وأتأملها ، والقلب حزين •

كان محرك القارب يفرقع ، وأردت مرة أخرى أن أرى • قائدته الصبية التي تمسك بيديها مصيرنا •

لم يكن الليل شديد السواد • هنالك غيوم خفيفة ، تسبح في السماء ، وتترك ها هنا وها هنا بعض النجوم • ورأيت في ضوء النجوم الخافت الصبيـة ، وجهها المدور وعينيها اللتين يصعب علي أن أصفهما • وجعلت وأنا أنظر الى هاتـين العينين أحس أنني رأيتهما ورأيت فيهما انسانا أعرفه ، حق المعرفة • ولكني لم أستطع رغم كل جهودي أن أتذكره •••

وفجأة سمعت أصواتاً مذعورة تصيح :

ـ الطـائرات •

ـ الطـائرات •

وبدأ القارب يتوقف ، واضطرب المسافرون :

ـ الشاطيء •

ـ أين الطائرات ؟

ـ ها هي •• انظروا هذه المنارة •

خفضت الفتاة سرعة المحرك ، ثم التفتت لحظة وقالت :

ـ كلا ••• هذا نجم في السماء •

لقد كان صوتها الهادىء يناقض الاضطراب الشامل • وبدأ الناس يهدؤون وهم يرونها هادئة ••• وعادت فقالت في صوت عذب :

ـ « هذا نجم في السماء • » •

ثم زادت في سرعة المحرك •

كنا ، بعد سير أيام طويلة على أقدامنا ، يلذ لنا أن نسافر ونحن جلوس في قارب • ولكننا لا نكاد تخطر لنا الطائرات في بالنا ، حتى يصيبنا القلق • هذا المحرك يحدث ضوضاء كبيرة ولو أن طائرة وصلت ، لم نسمعها •

وصلنا الآن الى سهل مكشوف ••• لا أثر فه لبيت •

من حين الى حين كانت تبدو لنا ظلال عدد من أشجار الخيزران • أو من أشجار أخرى •

كنت أتشوق الى الخروج من هذا النهر • وأبطأت قائدتنا • وبدأت الامواج أمام القارب تشكل على جانبيه خطوطا طويلة تضرب الاعشاب وجذوع الشجيرات المتوحشة على الشاطىء • وعندما كان المسافرون جميعا يسرهم أن يبحروا على اماء في سرعة أبطأت القائدة فجأة ثم أعلنت :

ـ الطائرات •••

ومضت بالقارب تخفيه تحت أشجار الخيزران ثم أوقفت المحرك • وجاء القارب الثاني بعدنا مباشرة ليستظل بالاشجار • وسمعنا في وضوح أزيز الطائرات المروحية المعادية • حقاً أن سمع قائدتنا مرهف •

لم يكن من السهل سماع أزيز الطائرات من بعيد وفي الضجة التي يثيرها محرك القارب •

وصل القارب الى الشاطىء ، وكاد بعض المسافرين يفقدون توازنهم ، ولكن القائدة طمأنتهم :

ـ يا أعمامي ••• ما تزال الطائرات بعيدة ••• اذهبوا الى المرج وتفرقوا هناك • حاولوا الاختباء • وعندما تأتي الطائرات فعليكم ألا تتحركوا •

وترك المسافرون القارب ، وكنت آخر واحد فيهم ، وقالت لي ، وأنا أهم بالوثوب •

ـ اذا شئت بقيت هنا • عندما يكون في القارب عدد قليل فلا بأس علينا •

لو أن غير قائدتنا هذه قالت ذلك لم أقبل عرضها ولا شك · ولكني وجدت في حضورها المطمئن ما يدعوني الى البقاء معها ·

وحامت الطائرات بعد قليل ··· كانت الضجة التي تثيرها تعجز عنها عشرات المحركات في البواخر · واقتربت أنوار مصابيحها · كانت كالعادة ثلاثاً : واحدة توجه أنوارها الكاشفة ، واثنتان تستعدان لاطلاق النار ·

ــ غطوا أجسامكم بأوراق الشجر ولا تتحركوا ···

تلك هي المرة الاولى التي أجد فيها نفسي تحت أنوار المصابيح الكشافة في طائرة مروحية ·

عندما وصلت شعرت ، تحت النور الباهر والزئير الهادر أن القارب سهل المنال · ورأيت الاوراق التي أختفي وراءها تتحرك كأنما عصفت بها الرياح ، وتكشف عن جانب من كيسي وفكرت في نفسي :

ــ لقد وقعنا ·

وغطيت أكتافي ، وشعرت القائدة الصبية بقلقي فقالت :

ــ انهم لا يروننا الى هذه الدرجة ·

ولكن هدوءها لم يقنعني هذه المرة · وفكرت في أن ألقي بنفسي في الماء ، ولكني تمالكت ·

ثم مضى النور الباهر وسكت الزئير الهادر شيئا فشيئاً · وعاد الليل الى نور النجوم الخافت · وبقيت ساكنا أخاف عودة العدو وقالت لي الصبية تشجعني :

ــ ان منظرها مخيف ولكنها عمياء لا ترى شيئا · يكفي أن تبقى هادئا وأن لا تتحرك ·

ثم نادت المسافرين ·· كان بعضهم يبلل الثياب ، فبدل ثيابه وهم يشتم « اليانكي » · وتابع القارب رحلته ···

بعد منتصف الليل تابعنا طريقنا في البر · كنا نسير عبر الحقول · وكانت الارض رجراجة في كثير من المواضع ، وكان علينا أن نخوض في الوحل أو في الماء ·

كان بعضنا وراء بعض ، نتزحلق أو نقع واحدا بعد واحد ، فلا يكاد ينهض مسافر حتى يقع مسافر • كانت أحذيتنا في أيدينا ، وكنا نجس الارض بأرجلنا •• وعندما وصلنا الى شاطيء نهر توقفت القائدة وأرسلت رائدين يستكشفان الطريق •

ولم تكد تمضي عشرون دقيقة حتى وقع الرائدان في كمين • كان العدو قد انتقل من شواطيء النهر الى معسكرات في الحقول • وأطلق نيرانه الكثيفة • وجعل الرصاص يئز فوق رؤوسنا •

وأصدرت القائدة أمرها :

ـ على بطونكم ••• يا رفيق (تو) ••• خذ المسافرين • أما أنا فسأبقى هنا

ولم تكد تصدر أمرها حتى غابت عنا • كانت القذائف تتلاقى فوق رؤوسنا كأنها شبكة كثيفة ، ثم تمضي مزمجرة فوق حقل الارز ، وتجبرنا على أن نبقى لاصقين بالارض •

وفي هذه اللحظة دوت طلقات بندقية قصيرة • على الجانب الايسر • وعندئذ انطلق رصاص العدو في ذلك الاتجاه ، وفهمت أن القائدة الصبية أطلقت النار لتحول أنظار العدو عنا ، ورصاصه اليها •

وأصدر (تو) الرفيق عضو الاتصال ، أمره :

ـ اركضوا •

وانطلقنا مسرعين ، لم أكن ممن تعودوا خوض المعارك ومع ذلك ففي هذه اللحظة لم أكترث بنفسي ، بل فكرت بالصبية القائدة • كانت مجموعتنا تركض في غير نظام خلال الحقل لكي تدرك صف الاشجار وتقطع النهر • وزادت حدة النيران ، وكنت أجهد نفسي لاميز صوت البندقية القصيرة التي تملكها الصبية القائدة ، فاذا لم أستطع خفق قلبي حتى يكاد يتقطع •

لقد جعلنا اطلاق النار هذا نصل في ساعة مبكرة الى القرية • ووصل في الوقت نفسه رفاقنا أصحاب المدفعية المضادة للطائرات • ولم يكن من المقرر أن نبقى أمدا طويلا ، فاجتمع رفاقنا في حقل لاشجار جوز الهند أحرقت أوراقها

قنابل الامريكان الكيماوية . كنا هنالك جميعا لم ينقص منا أحد . ولكن بعضنا فقد حذاءيه ، وبعضنا فقد كيسه ، وهو يجتاز النهر . أما أنا ، وكنت صلب العود رغم سني ، فلم أفقد شيئا .

كنا جميعا منهوكي القوى وترك رفاقنا أعضاء الاتصال فرصة نستريح فيها حتى الصباح ، ولم يفكر كثير منا في أن يمد ما يفترشه ، حتى ولا قطعة (النيلون) التي يحملها . ولم نكد نستلقي على الارض ووسائدنا أكياسنا حتى بدأت نشخر شخيرا عاليا ... أما أنا فبقيت أفكر وأحلم .

رأيتني أعود الى قريتي . حقا انها لم تكن كما تركتها . طرد السكان من بيوتهم ، وجمعوا في معسكرات الاحتلال . ولكنهم هدموا سجونهم وعادوا الى ديارهم ، فلم يجدوا بساتينهم ولم يجدوا كرومهم ولا حقولهم . لقد سمعت ذلك ولكني لم اكن أتصور حقيقة ما وقع فعلا . وعادت الى ذاكرتي قريتي القديمة ، وزيارتي الاخيرة لها مع (سو) ومشهد الوداع ، ومشط العاج الذي وعد به الاب طفلته . والذي ما أزال أحتفظ به في جيبي . ولم تكد هذه الصور تتلاحق في غير نظام في نفسي حتى ذكرت رفاقنا الذين وقعوا في الكمين ، والقائدة الصبية ، التي بقيت هناك . ماذا حل بها وبهم ؟ وهدني التعب فاستسلمت له ونمت .

ولكني استيقظت وأنا أرتجف على وقع خطوات وأصوات وضحكات .

كانت السماء تغطيها غيوم طويلة والليل يمد رواقه فوق الحقول ، ورأيت مجموعة من الناس تشترك في حوار حي مثير . لم أفهم تماما ما كانوا يقولونه ولكنهم ولا شك يقصون حكايا عجيبة . وكانت بينهم الصبية القائدة ، وقد تبللت ثيابها وغطاها الطين . اذن فقد عادوا بعد المعركة .

واقتربت منهم وهم يكادون يتفرقون ، وعندئذ ستطعت أن أرى الصبية . لقد جابهت العدو وخرجت ظافرة من موقف خطير ، ووجهها ما يزال يشع ويتلألأ .. انها في العشرين من عمرها ، ولو كانت اكبر سنا لم تكن لها هذه النظرات الصافية وهذا المظهر الطاهر مع هذه الاقراط في أذنيها .

واقتربت مني وشعرت فجاة بالرغبة في أن أعبر لها عن حبي لها ، واعجابي بها ، وفي ان أشكرها • وحييتها وأنا أبتسم ، وطلبت منها أن نتعارف •

ــ آه يا ابنتي ••• لقد كنت قلقا عليك •• قولي ••• ما هي درجتك في الاسرة •

ــ إنا البكر يا عمي •

ــ ولكن لماذا كان الرفاق يدعونك « الاخت الصغيرة » ا لأن •••

وقاطعتني قائلة :

ــ لا يا عمي ••• أنا الاخت الكبيرة والاخت الصغيرة في وقت واحد • لانني الولد الوحيد •

ــ من أية قرية أنت ؟ أشعر انني رأيتك •••

ــ أنا من جزيرة (كيانغ) يا عمي •

وارتجفت وانا أسمع اسم قريتي ، ونظرت الى عينيها وشعرت أن قلبي يخفق خفقانا شديدا واسرعت أسألها :

ــ أليست جزيرة (كيانغ) في مقاطعة (السوق الجديدة) في (لونغ شوب)

ــ صحيح يا عمي •

ــ وما اسمك

ــ (تسو)

ورددت مصعوقا : (تسو) • أليس أبوك الرفيق (سو) وأمك السيدة ين :

وصعقت الفتاة أيضا حتى كادت تفقد النطق ، وفتحت عينيها ، وهي تحدجني بنظراتها • وفي هذه اللحظة نادى الرفاق رجال الارتباط في مركز المدفعية المضادة للطائرات ، اصواتهم المسافرين ، ودعوهم للاستعداد للمسير • ولم اعبأ بهم ، وقلت لهم

ــ انتظرو دقيقة •

وعدت الى الفتاة •• كنا كلانا ما نزال مصعوقين •

كانت تنظر الي دائما بعينيها المتسائلتين ••• لا يمكن أن اضل ••• ولا أن أنسى : نعم انهما عينا تلك الصغيرة •

وقلت لهـا :

ـ أليس كذلك يا ولدي ؟

ـ نعم ، وكيف عرفت ذلك يا عماه •

واجهدت نفسي لاملك مشاعري ، ولم أعرف كيف استطعت أن أتمتم :

ـ ولكنني عمك (با) • هل تذكرين يوم سافر أبوك ، ووعدك أن يشتري لك مشطاً ؟

وهزت الصبية رأسها :

ـ نعم ••• أتذكر ذلك ••• أتذكر •••

مثل هذه اللقاءات الغريبة تحدث في عهود المقاومة ونظرت اليها وأنا أخرج المشط من جيبي :

ـ أبوك أرسل اليك مشط العاج هذا ••• لقد صنعه لك بيديه •

واستدارت عيناها أكثر من ذي قبل ، ومدت يديها لتمسك بالهدية • وكان هذا المشط أثار في نفسها ذكرى يوم رحيل أبيها ، فجعلت تلهث ، وشعرت بألم حاد في قلبي وأنا أراها تتأمل المشط أنها مغمورة بسعادة غير منتظرة لا حد لها • ولم أرغب في أن أزعجها بأنباء أبيها وحاولت أن أخفي عنها حقيقة ما حدث •

ـ أبوك في صحة جيدة ••• انه لم يستطع العودة معي ، وأرسل اليـــك هذه الهدية •••

ورفت أجفان (تــو) وهي تنظر الي وقالت ، وشفتاها ترتجفان :

ـ أنت مخطىء يا عم ••• هذا المشط ليس من والدي •

ـ ولكن اباك هو (سو) وأمك هي (يين) • اليس كذلك ؟

ـ نعـــم •

وخيل الي انهـا تريد أن تبكي ••• واحمـرت عيناهـا ولكنهـا تمالكت نفسهـا وقـالت :

ـ اذا لم تكن مخطئا فانت قد أخفيت عني الحقيقة • أعرف أن أبي قدمات•

وأحنت رأسها ، وتدحرجت دمعتان كبيرتان على خديها :

ـ أستطيع أن أحتمل · لا تخف يا عمي ··· لقد علمت بمصرع أبي منذ سنتين ·· وعندئذ طلبت من أمي أن تسمح لي فأصبح عضو اتصال ·

لعلها كانت تريد أن تقول شيئا آخر ، ولكن صوتها تكسر وأطرقت الى الارض ·· أما أنا فقد اربكتني كذبتي ولم أعرف ماذا أقول لها ، فلزمت الصمت·

في هذه اللحظة ناداني رفاقي لاسرع في الرحيل ، ولم أستطع البقاء فودعتها سريعا وطلبت منها عنوانها وأخبار أمها وبعض أقاربها ·

لم نكد نستفيق من هذه المفاجأة السيدة واللقاء العجيب حتى أصبح لزاما علينا أن نفترق · ونظرت اليها نظرة أخيرة وأنا أتمتم ·

ـ هيا يا ولدي ··· أبوك يسافر ···

ولم أسمع جوابها ولكني رأيت شفتيها الصغراوين ترتجفان :

وسرنا زمنا طويلا · ثم التفت فوجدت أنها تبحثني في الطريق · ثم وقفت الى جانب حقل أرز ·

كانت الاعشاب الخضر تتماوج حولها كأنها تقدم اليها العزاء ، ومن ورائها كانت أغصان أشجار جوز الهند الباسقة التي جردتها قنابل الامريكان الكيماوية من أوراقها ، تمد أيديها مثل حرشف سمكة كبيرة سقط لحمها عنها وبقيت عظامها وأشواكها ··· أما النخيلات الصغيرات التي تحممت فوق جذوع الاشجار المحترقة فقد كانت تشبه من بعيد غابة من الحراب ···

□ ● □

معجم
الأساطير اليونانية والرومانيّة

ترجمة وإعداد : سهيل عثمان
عبد الرزاق الأصفر

القسم الثاني

□ آكارنان Acarnan

هو ابن آلكميون والحورية كاليرويه • وهو حفيد الكاهن الطيبي الشهير امفياروس • وعندما قتل فيجيه والده كان طفلا ، فنما سريعا وبلغ من الرشد في عدة أشهر بفضل زوس ، وهكذا انتقم لابيه بقتله فيجيه وزوجته وأولاده • ثم التجأ الى ايبر في جنوب مكدونيا واسس هناك دولة آكارنانيا التي حملت اسمه على حدقول أوفيد •

□ آكاستوس Acaste

هو أحد الأرغيين • وقد خلف والده بيلياس ملك يولكوس بعد أن قتل بيد بناته بتحريض من ميديه • وقد أراد آكاست أن يضحي باحدى أخواته القاتلات ارضاء لروح أبيه ولكن هرقل أنقذها باختطافه اياها • ويروى أن بيليه نزل نزل به ضيفا حينما أراد أن يتطهر من دم في رقبته فأحبته زوجة آكاست (آستيداميا) • ولم يستجب الضيف لنزواتها فسعت به عند زوجها زاعمة أنه راودها عن نفسها • وأراد آكاسته أن ينتقم من بيليه وحالت آداب الضيافة دون قتله اياه مباشرة فتركه نائما في احدى الغابات بعد أن سلبه سلاحه وهو يرجو أن تفترسه الوحوش ولكن

الصانطور شيرون أيقظه وأعلمه بمكيدة مضيفه فنصب لغرية آستيداميا وقتلة زوجها وقتلهما معا •

□ آكالارانسيا **Acca Larentia**

١ ـ زوجة الراعي فوستولوس التي تولت تربية التوأمين رومولوس وروموس• وربما كان العيد الذي يقيمه الرومان في ٢٣ كانون الاول من كل عام يعود في الاصل اليهـــا •

٢ ـ امرأة كسبها هرقل في مقامرة مع حارس معبده ثم تزوجت رجلا غنياً ذا أملاك واسعة وورثت أمواله فوهبتها الى مدينة روما •

هذا وان الأساطير تمزج بين هاتين الشخصيتين •

□ آكاماس **Acamas**

هو ابن ثيسيوس وفيــدر ، كان رسولا الى طروادة لاستعــادة هيلـــين التي اختطفها باريس • وأثناء المباحثات العقيمة أغرى لاوديسة احدى بنات الملــك بريام بالذهاب معه فاستجابت لرغبته • وقبل سقوط طروادة كان آكاماس أحد الابطال الثمانية الذين احتبئوا في جوف الحصــان الخشبي وتمكنوا من دخــول المدينة •

□ آكتور **Actor**

هو ملك أوبوس ولوكريس • ووالد مينوسة وآستياش وجد باتروكليس • • قصده بيتيه متطهراً من قتله فوكوس بن اياك فأحسن استقباله وحقق رغبته •

□ أكتيون **Actéon**

هو ابن الراعي آرستيه وحفيد قدموس ، كان هذا الفتى الطيبي صياداً ماهراً بفضل توجيهات الصانطور شيرون • وقــد أثار حفيظــة آرتيميس آلهــة الصيد بمحاولته التفوق عليها • وفي أحــد الايام كان يطــارد صيده في الجبال فشاهــد آرتيميس وهي تستحم فاسترق اليها نظرات جريئة لم تغفرها له فمسخته وملا

وتركت كلابه الخمسين تفترسه • ويرى بعض الاسطوريين أن الكلاب الخمسين ترمز الى الايام الخمسين التي يتوقف خلالها النبات عن النمو أثناء العــام لان أكتيون أصبح من رموز النبات •

☐ **اكتيون في الفن**

استمد كثير من فناني الاغريق رسوما مــن أسطــورة أكتيون الــذي تفترسه كلابه ، منها صورة على انــاء موجود في بوسطن يعود الى القرن الخامس ق٠م ، وصورة منقوشة في معبد هيرا في صقلية تعود الى الحقبة نفسها • وحديثا استمد (لونيتيان) من افتراس أكتيون موضوعا لاحدى لوحاته الشهيرة •

☐ **اكروبول Acropole**

تعني كلمة أكروبوليس في الاغريقية المدينة المرتفعة • والأكروبول هضبــة محصنة توجد في بعض مدن الاغريق مثل أثينا وآرغوس وميسين وتيرانث كما عرفتها طروادة وبرغام في آسيا الصغرى وكذلك عرفت روما والمدن الاتروسكية في ايطاليا ظاهرة الاكروبول • وكانت الاكروبولات تستخدم كملاجيء دفاعية للسكان عند الحروب والاخطار الطبيعية • ثم أصبحت مكانا لبناء الاوابد والمعابد والقصور الملكية . واشهرها اكروبول اثينا الذي كان قلعة ملكية في عهد الميسينيين ثم حول في القرن الخامس ق٠م الى مكان مقدس يضم المعابد المخصصة للالهة أثينا • وقد تهدم تماما أثناء الغزو الفارسي عام ٤٨٠ ق٠م وأعاد بناءه بيركليس الذي خلف فيه بعض روائع البناء مثل البارثيتــون والايريكتيون ومعبد تيكيــه • وكانت الاكروبولات أمكنة يهبط عليها الوحي فتمارس العرافة وزجر الطير وغيرها مــن طرق التنبوءات •

☐ **اكريزيوس Acrisios**

هو ابن آباس • اختصم مع أخيه بروئيتوس على الملك ثم تقاسماه فكانت آرغوس من نصيبه •أنذرته نبوءة بأن حفيده من ابنته دانابيه سوف يقتله ، فحبسها في مخبأ تحت الارض الا أن زوس أتاها متمثلا بصورة مطر ذهبي فحملت منه ابنها برسيه

ولما علم أكريزيوس بولادتها ألقاها وابنها في البحر ونجوا بأعجوبة • وفيها بعد قتل بيرسيه جده خطأ برمية قرص •

Acoites آكواتيس

ربان مركب اغريقي حاول ملاحوه اختطاف الاله ديونيزوس المتمثل بصورة فتى جميل ، ولكن آكواتيس الذي عرف الاله عارضهم ولما كشف الاله عن نفسه عاقب الملاحين بمسخهم دلافين وكافأ اكواتيس بأن جعله كاهناعلى جزيرة ناكسوس•

Acontios اكونتيوس

شاب من جزيرة سيس كان ذاهبا الى ديلوس لحضور أعياد الآلهـــة آرتيميس فصادف في طريقه سيديب الجميلة ابنة احد اغنياء أثينا فاحبها ولما كان الفارق الاجتماعي بينهما يحول دون موافقة أسرتها على زواجه بها فقد عمد الى حيلة تلزمها بالزواج منه ، فكتب على سفرجلة (أقسم بمعبد آرتيميس أنني أقبـــل الزواج بآكونتيوس) والقى الثمرة عند قدميها فالتقطتها الفتاة وقرأتها بصوت مرتفع • وانتبهت الى الحيلة ولكن بعد فوات الاوان اذ أن آرتيميس قد شهدت العهد ومن عادتها المحافظة على العهود • وقد حاول أبوها ان يزوجها ثلاث مرات بأشخاص غير آكونتيوس فكانت أرتيميس تصيبها بالمرض في كل مرة • مما حمـــل الاب عـــلى استشارة الوحي الذي أنبأه بحقيقة الامر فاضطر الى قبول زواجها بحبيبهاالمخلص•

Albe-La-Longue ألب لالونغ

يحتمل أن تكون حاليا قلعة ڤاندولفو الواقعة جنوب شرقي روما • وهي المكان الرئيسي للحلف بين المدن اللاتينية مؤسسها أسكاني (ايول) بن ايبياس • ومن ملوكها انحدر رومولوس وروموس ولذلك اعتبرت بمثابة الام لمدينة روما • وقد هدمها تولوس هوستيليوس ثالث ملوك روما في حوالي ٦٥٠ ق•م •

Albunéa البونيا

هي احدى الحوريات الشهيرات عند الرومان ، وكانت تعطي وحيها في غابة

بالقرب من نهر تيفيرون الذي يصب في نهر التيبر بصخب وكأنـــه صوت جوبيتر ويعتبرها الرومان آلهة للمياه الكبريتية الكائنة قرب تيبور (تيفولي حاليا) •

□ آلثيا Althée

زوجة واتوس ملك كاليدونيا وأم لعدد من الاولاد منهم ميلياغروس وديجانير وعندما وضعت ابنها ميلياغروس تنبأت لها ربات القدر الثلاث أن حياته ستكون معلقة بقطعة من الخشب وسيموت عند احتراقها • فاحتفظت بالخشبة بعيداً عن النار • الا أن ميليغروس قتل خاليه في مشاجرة فما كان من أمه المفجوعةبأخويها الا أن القت الخشبة في النار فمات ميلياغروس في الحال • وندمت امه على مافعلت فشنقت نفسـها ويقال أن ديونيزوس كان مولها بحب آلثيا فاستعارها ليلة مـن زوجها فحملت منه بديجانير • وكافأ الاله الزوج على كرمه بأن أعطاه عقلة مـن الكرمة التي لم تكن معروفة في مقاطعته حتى ذلك الحين •

□ آلسيست Alceste

هي ابنة الملك بيلياس ، كانت جميلة الجميلات تزاحم على بابها الخطـاب وكان أبوها قد قرر أن يزوجها بمن يستطيع ترويض الوحوش الكاسرة حتـى تجر العربة الملكية • وكان آدميتوس ملك تساليا هو الذي نجح في تحقيق هـذا الشرط • ففاز بآلسيست الحسناء • الا أنه تطاول على الالهة آرتيميس فحكمت عليه بالموت ففدته آلسيست بروحها بأن تناولت السم ونزلت بدلا منه الى عالم الظلمات ولكنها ما لبثت أن عادت الى الحياة اما بفضل برسيفونـــة التي أعجبت بوفائها العظيم أو بفضل هرقل الذي كان ضيفا على آدميتوس فأخذته النخوة وهبط الى العالم الاخر واختطفها من مملكة الموت • وتبقى قصة آلسيست نموذجاللاخلاص الزوجي ومنها استمد الكاتب أوريبيدس موضوع مسرحيته (آلسيست) • وقد ألهمت القصة عددا من الفنانين فوجدت في اريترى مثلا قطعة من الفخار عليهـا رسم آلسيست العروس محاطة بوصيفاتها تعود الى القرن الخامس قبل الميلاد ، كما وجدت صورة على وعاء اتروسكي محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس تمثل زبانية

الموت يستعدون لاختطاف آلسيست من بين ذراعي زوجها في مشهد يفيض بالحنان واللوعة .

□ آلكينووس Alcinoos

هو حفيد بوزيدون وأشهر ملوك الفياسيين ذلك الشعب الاسطوري الذي كان يسكن جزيرة سكيريا التي تعرف اليوم باسم جزيرة قورفة في البحر الايوني . وكان آلكينوس مضيافا يحسن وفادة الغرباء ولا سيما الذين أصابتهم كوارث البحر . استقبل الأرغيين استقبالا حارا أثناء عودتهم . واستقبل أوليس ورفاقه حين ألقتهم العواصف على شاطىء جزيرته فأكرمهم وأطعمهم بساتينه السحرية التي كانت أشجارها تثمر طيلة العام ثم أوصل أوليس الى شاطىء بلاده وتركه نائما على الرمل فغضب عليه بوزيدون وأحال مركبه حجرا وخسف ميناء جزيرته .

□ آلكيونة Alcyoné

هي بنت أيول ملك الرياح تزوجت سييكس بن نجمة الصباح وكان زواجا موفقا سعيدا لولا أنهما أثارا حفيظة زوس وهيرا لتجرئهما على مقارنة نفسيهما بهما مما أدى الى تحويلهما طائرين أسطوريين . وتروي حكاية أخرى أن سييكس سافر في مركبه ليستشير العراف فهبت عليه زوبعة أرسلها زوس فأغرقته وبينما كانت زوجته نائمة حلمت بمصرع زوجها فذهبت الى الشاطىء لتستقبل جثته التي قادتها الامواج ، وهنا ألقت نفسها في البحر فماتت غرقا وفي الحال تحولت الى طائر، وعلى صرخاتها عاد زوجها الى الحياة ليصبح طائرا من النوع نفسه فعاشا متلازمين ولم يفترقا أبدا .. وهذا النوع من الطيور الاسطورية المسمى باسم الكيون لايبني عشه الا على بحر هادىء ، ولكي تضمن الآلهة استمراره أمرت أيول الموكل بالرياح أن يهدئها سبعة أيام قبيل الشتاء وسبعة أيام بعده مباشرة .

وتوجد آلكيونة أخرى أحبها بوزيدون ومنحها الخلود وأصبحت احدى نجوم الثريا .

□ آلكيونوس **Alcyonée**

١ ـ مارد ثار على آلهة الاولمب صارعه هرقل فلم يستطع قتله لانه كان كلما طرحه أرضا عاد واقفا بسبب القوة التي تمنحه اياها تلك الارض التي ولد منها ، ولما أدرك هرقل السر حمله على كتفيه الى أرض بعيدة ففقد قوته وقتله هرقـل برمية سهم •

٢ ـ شاب جميل اختاره القدر ليكون قربانا يسكن غضب المارد لاميا الذي كان يعيث فسادا في البلاد • وفي طريقه صادفه شاب آخر أحبه وتطوع ليكون قربانا بدلا منه • وعند مدخل كهف المارد استطاع هـذا الشاب أن يحطم رأس المارد وعلى الاثر انفجرت عين من الماء تدعى سيباريس •

□ آلفيوس **Alphée**

هو اسم نهر ـ آله في مقاطعة الايليد ، وهو ابن المحيط • أحب الحورية أريثوزا حينما استحمت في مياهه وقد عادت من رحلة صيد فما زال يتبعها حتى جزيرة أورتيجيا فحسدتها أرتيميس وحولتها الى ينبوع • ولم يكف النهر العاشق عن ملاحقة محبوبته فكان يجتاز البحر ليمتزج بتلك المياه الحبيبة • ويقال أن آلفيوس قد أحب أرتيميس نفسها فأخذ يلاحقها فطلت أرتيميس وصاحباتها وجوههن بالطمي فلم يعد الآله العاشق قادرا على تمييزها فعاد أدراجه بين ضحكات السخرية من الحوريات •

□ آلكتريون **Alectryon**

فتى عهد اليه آريس بحراسة الباب حينما خلا بافروديت • الا أن الصبي نام فاكتشف هيليوس أمر العاشقين فعاقبه آريس بأن حوله ديكا يصيح لدى كل طلوع شمس •

□ آلكاثوس **Alcathoos**

هـو ابن بيلوس وهيبوداميا • كافأه ميغاريـه ملك ميغار على قتله أسـدا

مخيفا بأن زوجه ابنته وجعله وريثا له في الملك • وقد تميز عهده بإعادة بناء أسوار ميغار بعد أن هدمها الكريتيون وأعانه ابولون على ذلك وتروي الأساطير أن الإله وضع قيثاره على حجر فاكتسب هذا الحجر خاصية اصدار الأنغام كلما نقر عليه •

□ (آلكميون) Alcméon

هو ابن أمفياروس • وكانت أمه ايريفيل قد حثت أباه على الاشتراك في حملة السبعة ضد طيبة متوقع أمفياروس الهلاك في هذه المغامرة وأوصى ابنـه آلكميون بالانتقام لـه اذا قتل • ثـم حثت ايريفيـل ابنها على المشاركة في حملة الابيغونيين ضد طيبة • وكان حظه خيراً من حظ والده اذ عاد منتصرا لينتقم من أمه التي دفعت الاب والابن الى حرب ترجو ألا يعودا منها مقابل عقد ورداء ثمينين رشاها بهما بولينيس بن اوديب • فقتلها فلحقه غضب آلهات الانتقام ، فتشـرد في البلاد الى أن احتمى بالملك فيجيه الذي زوجه ابنتـه آرسينوويه وكان العقـد والرداء الثمينين مهرها • وما زالت آلهات الانتقام تلاحقه الى أن أعلمته نبوءة بأنه لن ينال الراحة الا في مكان لم تطلع عليه الشمس بعد مقتل أمه وكان ذلك يعني مصب نهر آخيلووس وهناك التقى آلكميون بإله النهر فحماه وزوجه ابنته مقابل أن يأتيه بعقد أمه وثوبها وكانا عند زوجته الاولى • فذهب وطلبهمـا متظاهرا بأنه سيقدمهما للإله ابولون ولما انكشفت الخدعة دفع فيجيه أبناء آلكميون الى قتل أبيهم الخائن •

□ (آلكمين) Alcmène

هي ابنة ايليكتريون ملك ميسين ، تزوجت أمفتريون قاتل أبيها بشرط أن يثأر لها من قتلة إخوتها • وأثناء غيابه خدعها زوس متنكرا بهيئة زوجها • ولما عاد زوجها من معاركه وعلم بخيانتها غير المقصودة اراد أن يحرقها ولكن زوس انقذها بأن أرسل على النار مطراً مفاجئاً ، ومنحها توأمين أحدهما منه وهو هرقل والثاني من زوجها وهو ايفيلكيس • وبعد موت زوجها صحبت ابنيها في أسفارهما وعاشت بعدهما طويلا • وقد انتقلت بعد مصرع هرقل الى أثينا هربا من كراهية

أوريستيه ، وبعد موت هذا الاخير حظيت برأسه فقلعت عينيه ورجعت الى طيبة ، وبعد موتها أدخلها زوس جزيرة الصالحين حيث تزوجت رادامانت أحد قضاة العالـم الآخـر ٠

الكمين في الفن ، تبدو الكمين في نقوش بارزة قديمة أسبارطية وهي تقدم احترامها لزوس ٠ وقد فقد تمثالها الشهير الذي نحته الفنان كالاميس ، بينمـا بقيت صور عديدة لها على الأواني اليونانية والرومانية ٠

□ الآلهة Les Dieux

الآلهة تعبر عن قوى الطبيعة وتشخيص لصفات الانسان وعيوبه ٠ وهي خالدة وان أخذت صورة الانسان ٠ وترى معظم الروايات أن الآلهـة تكونت تحت الاسم امام (المردة أو التيتان) من اتحاد قسمي العالـم العلوي وهو القبـة السماويـة والسفلي وهو القشرة الارضية ٠ ثم جاء جيل الآلهة كرونوس وكوس وأوقيانوس فولدوا بقية الآلهة ٠ وهؤلاء عاشوا عراكا مع الآلهة القديمة ثم استوطنوا جبـل لاولمب سادة على العالمين حيث يغتذون طعام الخلود ويشربون الرحيق ومنهم زوس وهيرا وأبولون وآرتيميس وأثينا وهرمس وآريس وهيبايستوس وديمترا وأفروديت وهستيا ٠ وتولد الآلهة غالبا من زوجين حسب الاسلوب الطبيعي ولكن بعضها ولد بطريقة غريبة مثل أثينا التي ولدت بكامل سلاحها من رأس أبيها زوس ولم تحمل بها أنثى ، ومثل هيبايستوس الذي ولدته هيرا بدون والد ، ومثل أفروديت التـي ولدت منزبد البحر ، وأما ديونيزوس فقد ولدته من زوس أم بشرية ٠ وعـلى العموم فان الآلهة التي تولد من الطبيعة تملك القدرة على تسخيرهـا وتصريفهـا بمشيئتها ٠

ومنذ أن امتد النفوذ اليوناني والروماني الى بلاد المتوسط أخـذت تغزو معابدهم آلهة جديدة أجنبية مثل أنوبيس المصري الذي أعطي صفات هرمس ، ومثل دوراريس آله الشمس عند العرب الذي أخذ صفات ديونيزوس ، ومن هذه الآلهة الاجنبية من منح اسمه لقبا اضافية لاله أولمبي مثل دولسينوس الاله الآسيوي الذي اضيف اسمه الى جوبيتر ، ومن هؤلاء الالهة من أطلق عليه اليونان والرومان أسماء

جديدة مثل حوريس الذي دعي هاربوقراط واستراغاتيس التي دعيت دياسيريا • وربما احتفظت الآلهة الاجنبية عند الرومان بأسمائها وصفاتها الاصلية مثل الإلهين ميترا وايلاغابال لغايات سياسية أكثر منها دينية ضامنين بذلك ولاء الشعوب لقرانين روما التي تعبد آلهتهم ذاتها •

□ آلوبيه **Alopé**

هي ابنة سيرسيون الملك الاركادي • غشيها بوزيدون فحملت منه • فأخفت الامر عن أبيها ونبذت وليدها فأرضعته فرس والتقطه الرعاة الذين عرفوه من لفافته الملكية ولما انتضح أمرها لدى أبيها وأدها حية الا أن الآلهة أشفقت عليها فحولتها ينبوعا تفجر بالقرب من ايلوزيس وسمي باسمها •

□ آلوواد **Aloades**

اسم للعملاقين ايفيالتيس وأوتوس ابني آيولوس بن بوزيدون وأمهما ايفيميديا وقيل هما ابنا بوزيدون مباشرة • عندما بلغا سن التاسعة تميزا بالقامة العملاقة والشجاعة الخارقة ، ويقال انهما أغرما بأرتيميس وهيرا فكدسا الجبال فوق الاولمب ليرقيا الى مقر الآلهة في السماء وينالا حبيبتيهما • وأسرا آريس اله الحرب في قدر برونزية بعد أن صفداه بالاغلال ، ولم يتمكن هرمس من تحريره الا بعد ثلاثة عشر شهرا • وحمي غضب أبولون فرماهما بسهامه • ويقال أن أرتيميس تعرضت لهما في شكل وعل ومرت بينهما بسرعة خاطفة فرماها كل منهما بحربته فأخطأها وقتل كل منهما صاحبه ، ثم نالا في الجحيم عقابهما بأن ربطا الى عمود بأفاع تلتف حول جسديهما وتحوم حولهما بومة تنعق نعيق الشؤم • وفي رواية أخرى أنهما لم يفرطا بحق الانسانية بل أسهما في ترقية الزراعة وأسسا عدة مدن •

□ اليكترا **Electre**

١ ـ هي ابنة آغاممنون وكليتمنيسترة وأخت ايفجينا وأورست عندما تآمرت أمها مع عشيقها ايجيست على قتل أبيها أنقذت أخاها الصغير أورست بأن أخفته تحت ثيابها وأرسلته الى مكان أمين • وقد لقيت الكترا الذل والهوان على يد ايجيست

وأنها الحؤون الى أن كبر أخوها أورست فساعدته على الانتقام من قاتلي أبيه وحمته من غضب الشعب ولما استعاد أخوها عرش أبيه واجتمع الشمل تزوجت من صديقه بيلاد • وقد ألهمت قصتها روائيي الاغريق الثلاثة الكبار ، أسخيلوس وسوفوكليس وأوريبيدس •

٢ ــ بنت أوقيانوس وثيتيس وأم ايريس والعيلاب المعروفة باسم هاريس•

٣ ــ احدى بنات أطلس السبع ، أولدها زوج جاريون وداردانوس • ويقال أنها هربت من ملاحقة زوس لها فاحتبأت خلف تمثال البالاديون الذي كانت أثينا قد وضعته في الاولمب ولم ينجها ذلك من شبق الاله الذي قذف بالتمثال من السماء فسقط في طروادة وعده الطرواديون حاميا لمدينتهم ، وفي رواية أخرى أن ولديها جاريون وداردانوس ليسا من زوس وانما من كوريثوس الامير الاتروسكي •

□ آماتا **Amata**

هي زوجة لاتينوس ، ملك اللاتيوم ، وأم لافينيا • كانت آماتا ترجو أن تزوج ابنتها لابن أخيها الملك تورنوس ، بينما كان القدر يريد غير ذلك • فقد هبط ايناس مع قومه الطرواديين على شواطىء البلاد • ومال اليه لاتينوس فأراد أن يزوجه ابنته لافينيا • ولما كانت الام تكره الطرواديين حملت ابن أخيها على حربهم • وكانت حربا مشؤومة عليه اذ سقط صريعا وهزم جيشه فانتحرت آماتا لما علمت بالنبأ •

□ الأمازونات **Amazones**

هن شعب من النساء المحاربات ، كن يقطن القوقاز في آسيا الصغرى • وعاصمتهن هي ثيموسكير • وكن يعشن على السلب وقطع الطريق ، ويكوين الثدي الايمن حتى لا ينمو فيعيق شد القوس ، ومن هنا جاءت تسميتهن (آمازون بلا ثدي) ولا يقبلن الرجال الا مرة واحدة في العام لاجل استمرار جنسهن ، ويقتلن أولادهن الذكور • وقد عبدن آرتيميس ايفيز ذات الاثداء المتعددة • وورد ذكرهن في أساطير عديدة منها مثلا أن احدى أفاعيل هرقل الاثنتي عشرة كانت احضار زنار ملكتهن

هيبوليت الذي أهداها اياه آريس اله الحرب • وقد همت هيبوليت بتقديمـــه الى هرقل لولا أن هـيرا الغيور تنكرت في زي أمازونة فارسة وأقنعت الامازونات بأن هرقل ينوي اختطاف ملكتهن • فحملن السلاح في وجهه ، واضطر الى خوض المعركة وقتل هيبوليت • ومن أساطيرهن أنهن ساعدن الطرواديين بعد أن كادوا ينهزمون اثر مصرع بطلهم هكتور • ولكن أخيل قتـل ملكتهن بانتيزيله فاعتزلن القتال • ومنها أيضا غزوهن مقاطعة أتيكا في أيـام ثيسيوس انتقاما لاختطـــاف ملكتهـن أنتيوبه • واستطعن أن يحاصرن أثينا ، ولكن ثيسيوس ردهن على الاعقاب • وقد غلبن أيضا على يد بيلوروفون •

□ **الامازونات في الفن :** يحفل الفن الاغريقي والاوربي عموما بمشاهدالامازونات، ويظهرن غالبا على صهوات الجياد يلبسن قبعة وسروالا • ومن صور معاركهـــن الفنان اليوناني ميكون (٤٧٥ ق٠م) ••• وفي ميونيخ أثر يمثل مصرع بانتيزيله ملكتهن (٤٦٠ ق٠م) • وقد ظهرت لهن صور ونقوش على العديد من المعابـد والمسلات - أما تمثال الامازونة الجريح المهدى الى معبد أرتيميس ايفيز فقد تنافس في تقديم نماذجه أربعة من كبـار نحاتي اليونان في عام ٤٣٠ ق.م هـم فيدياس وبوليكليت وكريزيلاس وفرادمون • وقد عكف فنانو العصر الوسيط وعصر النهضة والعصر الباروكي على تصوير الامازونـــات وأشهرهـــم روبنز وجيليو رومانو وجوردانز •

□ **أمالثيا Amalthée**

هي الحورية التي احتضنت زوس طفلا عندما أبعدته أمه ريا من وجه أبيه كرونوس المفترس • وقد حملته الى جبل ايدا حيث تبنته الحوريات فغذونه لبن عنز ممزوجا بالعسـل • وكان الطفل يتمتع بقوة خارقة ، حتى أنه كسر أحـد قرني عنزه المرضع وقدمه هدية الى الحوريات واعدا اياهن أن يمتلي بكل مايشتهين وتعد هذه القصة أحد أصلي أسطورة (قرن الوفرة) أما الاصل الثاني فينسبها الى اخيليوس اله النهر • وتذكر رواية أخرى أن أمالثيا هو اسم العنز ذاتها •

□ الامبرواز L'ambroisie

هو طعام الآلهة اليونانية كما يروي هوميروس • وهو مزيج من العسل والعطور والسوائل اللذيذة ، ذو خاصية سحرية تضمن الخلود • فاذا تعاطاه الابطال ضمن لهم السعادة والخلود مع الشباب الدائم • ويجري تناوله غالبا مع شراب النكتار (الرحيق) وهو شراب حلو المذاق يستخلص من تقطير بعض الاعشاب •

□ امبوزا Empousa

هي بنت الآلهة هيكات ، وكانت شيطانة ذات أقدام برونزية ، تخيف المسافرين ، وتتغذى بلحم البشر • وكانت قادرة على التشكل بجميع الاشكال ولا سيما بصورة فتاة جميلة تغوي ضحاياها ويروى أنها كانت تلابس الرجال النائمين وتشرب دماءهم حتى الموت وأنها تهرب اذا قذفت بالشتائم •

□ أمبيلوس Ampelos

هو ابن مولود من نصف اله وحورية • يجسد الكرمة ويصحب ديونيزوس • مات شابا اما من نطحة ثور أو من سقوطه من أعلى شجرة كرمة تسلقها ليقطف عناقيدها • وتذكر عبادة ديونيزوس أنه رفع الى السماء فأصبح في عداد النجوم •

□ أمفياروس Amphiaraos

هو ابن أويكليس وهيبرمنسترة • كان جده عرافا فورث عنه موهبة التنبؤ فضلا عن شجاعته • تزوج ايريفيل أخت ادراست • واتفق معه على أن تكون حكما بينهما عند اختلافهما • اشترك في حملة الأرغيين وكان نبيهم وعرافهم • وحاول التهرب من الاشتراك في حملة السبعة ضد طيبة لانه تنبأ بموته فيها • ولكن بولينيس بن أوديب الذي عرف حب امرأته ايريفيل للتبرج رشاها بعقد هارمونيا الثمين فألزمت زوجها الاشتراك بالحملة • ولما رأى نفسه محرجا أوصى ابنيه الكميون وأمفيلوكوس بالثأر له • وقد فشلت الحملة فعلا وقتل أكثر ابطالها وغاص أمفياروس بعربته في الارض التي شقها له زوس لينجيه من أيدي أعدائه •

ثم مسحه الحلود وأتاح له القدرة على متابعة تنؤاته في مقاطعتي أرغوس وأتيكا . ويكفـي أن يضحي الانسـان بكبش أسـود ثم ينام عـلى جلده حتى يأتيـه وحي أمفياروس في الحلم .

ويوجد في متحف برلين وعاء من القرن السادس ق.م عليه صورة أمفياروس وهو ذاهب الى الحرب على عربته شاهرا سيفه . وفي جانب الصورة عراف حزيـن كأنما ينظر الى النهاية الفاجعة لهذه الحرب .

□ **أمفيتريت Amphitrite**

هي بنت نيريه ودوريس . كانت احدى حوريات البحر . رآها بوزيدون تمرح على الشاطىء مع أخواتها فأحبها وأراد أن يتزوجها فهربت منه والتجأت الى أطلس الذي آواها . ولكن بوزيدون أرسل دلفينه الخاص فاختطفها وأعادها اليه فتزوجها وولدت منه تريتون وأصبحت تعد آلهة البحر .

□ **أمفيتريت في الفن :** ظهرت صورة أمفيتريت مـع زوجها على العديد من الآنية الاغريقية جالسة في عربة تجرها حيوانات بحرية أو ممتطية ظهر حيوان بحري تحيط بها حيوانات البحر والهتـه . وهي تبدو في هيئة الملكـات فشعرها المتموج مغطى بشبكة وعلى أصداغها مشابك من ملاقط سرطان البحر . وقد وجدت لها صورة على صحفة محفوظة في باريس تدعى صحفة ثيسيوس تمثلها في ثـوب قصير شفاف وهي تقدم تاجا من الزهر الى ثيسيوس . وقد عثر في مدينة هركولانوم على قطعة رائعة من الفسيفساء عليها صورة أمفيتريت وزوجها نبتون (بوزيدون). وهي محفوظة في متحف اللوفر . وللفنان روبنز لوحة شهيرة لها .

□ **أمفيتريون Amphitryon**

هو ابن ألسيه (ألكايوس) ملك تيرانث . قتل خطأ عمه والد ألكمـين . فطرد من مملكة أبيه ، والتجأ الى كريون ملك طيبة الذي طهره من دمه . وطلب يد ألكمين التي اشترطت أن ينتقم لها من قاتل أخوتها وهو ابن الملك بتيريلاس . وأبدى كريون استعداده لمساعدته اذا استطاع أمفتريون أن يخلص مملكتـه من

ثعلب توميس الذي أطلقه فيها ديونيزوس ليعيث فسادا . فحقق له أمفتريون هذا الشرط فأعطاه أسطولا ليحاصر به جزيرة تافوس ذات العاصمة المتيمة . وكان مكها بتريلاس يتمتع بالحصانة من الموت بسبب شعرة ذهبية في رأسه . ولما رأت ابنته كاميثو البطل أمفتريون أحبته وخانت أباها من أجله بأن قطعت الشعرة الذهبية فمات في الحال وانتصر أمفتريون فقتلها مع أخوتها وقدم مملكة تافوس الى سيفال ثم تزوج الكمين التي حملت منه بايفيكليس ومن زوس بهرقل وولدت الأول قبل الثاني بيوم واحد . ومات أمفتريون بعد ذلك بقليل أثناء محاربته الميسيين .

□ أمفيكتيون Amphictyon

هو الابن الثاني لدوكاليون . ولم يكن شهيرا كأخيه هيلين جد الاغريق ، ولكنه لعب دورا هاما في أسطورة تأسيس أثينا . فحينما كان ملكا على مقاطعة اتيكا انشأ مدينة أثينا وقدمها للآلهة المسماة باسمها . كما أسس الحلف الأمفيكتيوني الذي وحد المدن الاثنتي عشرة الرئيسية توحيدا دينيا وسياسيا . استقبل في بلاطه الاله ديونيزوس وكان أول من علم الناس المزج المتناسب بين الخمر والماء .

□ أمفيلوخوس Amphilochos

هو ابن أمفياروس وايريفيل وشقيق الكميون . اشترك في حملة الأبيغونيين، وعند العودة منها ساعد أخاه على قتل أمه ثأرا لأبيه . ولم تلاحقه ربات العقاب (الايرينات) مثلما لاحقت أخاه . ثم اشترك أمفيلوكوس في حصار طروادة وخلف كالشاس في عرافة الاغريق . وأسس عدة مهابط للوحي منها مهبط الوحي في مالوس في صقلية ومهبط وحي أبولون في كولوفون الذي اختلف في تأسيسه مع العراف موبسوس ، وقتل كل منهما الآخر في مبارزة ، ثم اصطلحت روحاهما بعد الموت واصبحا يعطيان وحيهما فيه . وكان الناس يكتبون أسئلتهم في لوح فيأتيهم الوحي في الحلم .

□ أمفيون **Amphion**

هو ابن زوس من انتيوبه وتوأم زيتوس • وقد أبعدتهما أمهما عند ولادتهما وعهدت بهما الى الرعاة في جبل سيثيرون خوفاً من غضب أبيها • تمتع أمفيون بموهبة موسيقية لفتت اليه نظر أبولون فأنعم عليه بقيثار ، بينما انصرف أخوه الى القتال والزراعة • وعندما بلغا سن الشباب استطاعت أمهما التخلص من سجن عمها ليكوس والانضمام الى ابنيها ، وأنبأتهما بأصلها الالهي وحرضتهما على قتل ليكوس فسارا الى طيبة وقتلاه وربطا زوجته ديركه من شعرها بقرني ثور فأخذ يجرها فوق الصخور الى أن ماتت ، وقد انبثق ينبوع في ذلك المكان سمي باسمها • وحكم الأخوان طيبة بنجاح ورفعا أسوارها • وكان أمفيون يعزف على قيثارته الساحرة فتتراص الاحجار تلقائيا وتلتحم • وهذا رمز للعلاقة الوثيقة بين فني العمارة والموسيقى • وقد تزوج الأخوان وأنجبا ذرية أهلكت جميعها لأنها جدفت على (ليتو) أم الآلهين أبولون وآرتيميس • وشملت اللعنة أمفيون نفسه اذ حكم عليه الالهان بالموت ودخول أعماق الجحيم لانجابه هذه الذرية الخبيثة •

□ امور ومعناها رموز الحب **Amour**

كان فنانو الامبراطورية الرومانية يمثلون الآمورات على هيئة ملائكة صغار مجنحة ترافق فينوس وتساعدها في اتمام زينتها وتعزف لها الالحان وتمارس بعض الهوايات المنيفة كالصيد وصنع السلاح • وتمثل الآمورات أيضا فصول السنة فتختلف هيئاتها حسب الفصول كأن تظهر مثلا بشكل الحصادين أو قطافي العنب وقد ظهر على رسوم بومبي الجدارية عدد من الآمورات لتسهيل الجمع بين قلبي الحبيبين في حوادث الحب الشهيرة مثل حب باريس وهيلين وحب ديونيزوس وآريان وحب مارس وفينوس •

□ آمون **Amon**

اله مصري كبير وحده اليونان مع زوس والرومان مع جوبيتر • وقد عرف العالم اليوناني معبداً لوحي آمون كان مقاما في واحة سيوه في الصحراء المصرية

الغربية التي كانت جزءا من ليبيا . وقد زاره الاسكندر الكبير واستقبله الكهنة كابن للآله آمون •

□ آميتييه Amitié

هي آلهة رمزية للصداقة عند الاغريق والرومان • وقد مثلوها على هيئة فتاة ترتدي ثوبا مشبوكا عند الخصر ومتوجة بالأزهار أو بأغصان الآس وحاملة في يدها سلة مملوءة بالعنب •

□ آميكوس Amycos

هو ابن بوزيدون من الحورية ميليا • وكان ملكا على شعب البيبريس • اشتهر بقوته وفظاظته فقد كان يرغم الأجانب المارين ببلاده على مصارعته بالأيدي وكان يخرج منتصرا ويقتل معظم غرمائه ، الى أن مر به الأرغيون أثناء رحلتهم الشهيرة فتحداه بولوكس وصارعه وقهره وانتزع منه وعدا بألا يتعرض للغرباء أبدا •

□ آميمونة Amymoné

احدى بنات داناييوس الخمسين • لما جاء أبوهن الى منطقة الأرغوليد وجد البلاد في أزمة جفاف فأرسلهن للبحث عن الماء • وبينما كانت آميمونة نائمة اقترب منها عفريت (ساتور) وأراد اغتصابها فاستغاثت ببوزيدون فأنجدها في الحال وقتل العفريت وأنبع لها عين ماء سميت باسمها ثم اقترن بها فولدت منه نوبليوس مؤسس مدينة نوبليا • وتمثلها الآثار الفنية حاملة جرتها • وقد وجدت لها صورة جدارية في بومبي بصحبة بوزيدون •

□ أمنتور Amyntor

هو ملك شعب دولوبس وزوج كليوبيل • كان له ولد يدعى فونيكس اتهمته احدى الخادمات بمحاولة اغتصابها فاعتبر أمنتور ذلك اهانة وسمل عيني ابنه ولعنه وتبرأ منه • وقد أصبح هذا الولد بعدئذ رفيق آخيل في حرب طروادة •

وعندما أراد هرقل أن يجتاز مملكة آمنتور منعه ولم يرض أن يزوجه ابنته استيدامية • فاضطر هرقل الى محاربته وقتله وتزوج استيدامية التي أنجبت منه ولدا •

□ أنّا بيرينّا Anna : Perenna

١ ـ هي بنت بيلوس وأخت ديدون هربت من قرطاجة الى اللاتيوم بعد موت ديدون فأحسن اينياس استقبالها وغارت منها زوجته لافينيا فدبرت لها مكيدة قتل فأنبأتها روح ديدون في الحلم بهذه المكيدة فهربت وألقت نفسها في نهر نوموسيوس وتحولت الى حورية أضحت مقدسة عند الرومان •

٢ ـ آلهة رومانية للعام الجديد يقع عيدها في الخامس عشر من شهر اذار وهو بداية السنة الجديدة عند الرومان القدماء وربما وجدت علاقة بين هذه الآلهة وبين أنّا بيرينّا السابقة •

□ آنا كسارتيه Anaxarète

فتاة قبرصية أحبها الراعي ايفيس فلم تبادله بسوى الكراهية حتى يئس وشنق نفسه على بابها ، فلم تتأثر بانتحاره وعلى العكس من ذلك وقفت بعد أيام ترقب ببرود موكب دفنه من نافذتها ، فسخطت أفروديت لقسوتها وأحالتها تمثالا من الحجر •

□ أنتايوس Antée

هو مارد جبار أبوه بوزيدون وأمه غايا (آلهة الارض) • كان يعيش في صحراء ليبيا ويتغذى بلحم الأسود ويهاجم المسافرين ويقتلهم دون أن يستطيع أحد قهره فقد متعه بوزيدون بالقوة والحصانة لأنه وعده بأن يبني له معبدا من جماجم البشر وكانت أمه الأرض تمده بالقوة كلما لمسها • ولما كان هرقل مارا بأرض ليبيا أثناء بحثه عن التفاحات الذهبية اصطدم به وصارعه ورماه على

الارض ثلاث مرات • فكان كلما ارتمى على الارض نهض واقفا مفعما بالقوة وحين اكتشف هرقل السر رفعه بين ذراعيه القويتين وخنقه •

□ **انتايوس في الفن** : يبدو مشهد صراع هرقل وانتايوس على الآنية الافريقية ومنها اناء محفوظ في باريس يعود الى القرن الخامس قبل الميلاد كما يظهر هذا المشهد على بعض الداليات وللرسام بالدونغ لوحة في هذا الموضوع رسمها عام ١٥٣٠ م •

□ **انتيروس Antéros**

هو اله الحب المتبادل ، ولدته افروديت ليؤنس وحدة ايروس وبذلك تفتح ايروس لان الحب يجب أن يكون متبادلا ليزدهر واصبحت لانتيروس وظيفتان تخدمان عملية التوازن ومنع الفوضى فالاولى هي الانتقام ممن يرفضون الحب أو يخونونه والثانية هي احلال الكراهية والجفاء محل الهوى اذا اقتضت ذلك عملية التوازن والتنظيم •

□ **انتيستيري Anthesteries**

أعياد أثينية هامة كانت تقام على شرف ديونيزوس من الحادي عشر الى الثالث عشر من شهر شباط (شهر أنتيستيريون عند الاغريق) • فكانوا في اليوم الاول يفضون دنان الخمر الجديدة ، وفي اليوم الثاني يقيمون الاحتفالات والولائم التي يتذوقون فيها تلك الخمر وفي الثالث يقدمون لارواح موتاهم قرابين من الخضار •

□ **انتيغون Antigone**

هنالك ثلاث يعرفن بهذا الاسم :

١ ـ انتيغون بنت الملك أوديب من امه جوكاست ، واخت اتيوكل وبولينيس وايسمين • عندما افتضح أمر أبيها وسمل عينيه وهام على وجهه يستجدي الناس قوتـه ، اثرت أنتيغون أن تصحبه لتؤنس وحدته وتشاركه مصيره • وظلت الى جانبه حتى مات في كولونا ثم عادت الى طيبة حيث وجدت أخويها اتيوكل وبولينيس

يتنازعان على العرش ، واستعدى بولينيس جيشا أجنبيا هاجم به طيبة لينتزعهـا من أخيه • وقتل الاخوان في هـذه الحرب وانهزم الجيش الاجنبي وتسلم السلطة خالهما كريون فاقام الشعائر الجنائزية على روح أتيوكل ومنع اقامتها على روح بولينيس الذي عد خائنا لوطنه • وأدركت أنتيغون أن روح أخيها هذا ستظل معذبة حتى تقام لها الشعائر ومع أن كريون جعل الموت عقابا لمن يقدم على هذا العمل فقد أقبلت انتيغون في الليل نحو جثة أخيها وحثت عليها حفنات من التراب كما تقضي بذلك الانظمة الدينية فامسك بها الحرس واقتيدت الى كريون فحبسها في كهف مغلق لتموت جوعا ولكنها آثرت أن تشنق نفسها ولما يئس خطيبها هيمون بن كريون من انقاذها لحق بها منتحرا فانتحرت حزنا عليه أمه أوريديس •

وتعد أنتيغون في الاساطير مثالا نادرا على التضحية في سبيل الواجب وقـد استوحى سوفوكليس من قصتها موضوع مسرحيته (أنتيغون) •

٢ ـ **انتيغون ابنة لاوميدون الملك الطروادي** • ومت شعرا جميلا ما زالت تفخر به حتى غارت منها الآلهة هيرا فحولتها الى لقلق •

٣ ـ **بنت أوريتيون ملك بتيوتيد** • تزوجها بلياس واحبها فمارت منهـا استيدامية التي كان بيلياس قد رفض حبها فأقنعتها بأن زوجها يخونها فانتحرت •

□ انتيكلة **Anticlée**

هي زوجة لايرت وأم أوليس • وقد ماتت غما على فراق ولدها الطويل • ومن المشتهر انها كانت على صلة حميمة بسيزيف قبل زواجها حتى اعتبرته بعض الشروح الاسطورية الوالد الحقيقي لاوليس •

□ انتيلوكوس **Antiloque**

هو ابن نسطور ملك بيلوس • عندما ولد ألقته أمه على جبل ايدا وبعد حين عثر عليه والده واصطحبه معه الى حصار طروادة• وكان صديق آخيل وباتروكليس

وتذكر أشهر الروايات أنه قتل في محاولته لانقاذ والده من الهلاك ودفن مع صديقيه والتقى الثلاثة بعد الموت في الجزيرة البيضاء مقر السعداء حيث تابعوا في هنائها الابدي انتصاراتهم وولائمهم •

□ انتينور **Anténor**

هو صديق بريام وزوج ثيانو أخت هكوب • كان عضــواً في مجلس طروادة يتمتع بالعقل الراجح والبصيرة النافذة ومحبة السلام • ولذلك بذل اقصى جهوده ليمنع نشوب الحرب بين اليونان وطروادة عقب اختطاف هيلين • فاستقبل وفد الاغريق ، ولما فشلت جهوده السلمية ظل على دعوته الى وضع حد للقتال فاتهمه مواطنوه بالخيانة وضيقوا عليه الخناق والحقوا به الاذى • ولكن الاغريق المنتصرين أطلقوا سراحه وأعادوا اليه أهله وماله وسمحوا له بالخروج من المدينة المحترقة فحط رحاله على ساحل الادرياتيك الايطالي حيث انشأ مستعمرة الباتافيوم المعروفة اليوم باسم بادو •

□ انتينووس **Antinoos**

هو رأس الطامعين بالزواج من بينيلوبة واكثرهم جرأة ووقاحة وصلفا • عاث فسادا في قصر أوليس وبدد خيراته وحاول قتل تيليماك الذي اعتبره عائقا لرغباته • وعندما ادخل أومييه تابع أوليس شحاذا الى الصالة حيث كان انتينووس يتناول الطعام والشراب مـــع زملائه أهانه هذا بالغ الاهانة • ولكن هذا الشاذ لم يكن سوى أوليس متنكرا وقد انتقم من أنتينوس بأن سدد اليه السهم الاول فقتل وهو يرفع الكأس الى شفتيه •

□ انتيويه **Antiope**

عرفت بانها ابنة نيكتيوس ملك طيبة لكن والدها الحقيقي كان آله النهر آسوبوس • أحبها زوس فتنكر بهيئة نصف آله (ساتور) واغواها فخجلت من عارها وخافت بطش أبيها فهربت والتجأت الى ايبوبيوس ملك سيسون الذي تزوجها •

وظل أبوها يبحث من وسيلة لاعادتها الى الطاعة الابوية • ولما أشرف على الموت عهد بهذه المهمة الى أخيه ليكوس فهاجم هذا مدينة سيسيون وأخذ بنت أخيه وقتل زوجها • وفي الطريق ولدت توأمين هما أمفيون وزيتوس ابني زوس فرمتهمـــا واحتضنهما الرعاة ، وعندما وصل بها عمها الى طيبة جعلها أمة لزوجته ديركه التي أساءت معاملتها كثيرا •

فساعدتها الآلهة على الهرب واجتمعت بابنيها اللذين انتقما لها بأن قتلاعمها وزوجته • غير أن ديونيزوس لم يرض بأن تمر جريمة قتل كبـار العائلة بدون عقاب فأصاب أنتيوبه بالجنون فهامت على وجهها الى ان لقيها فوكوس حفيد سيزيفه فأبرأها من جنونها وتزوجها •

أنتيوبه في الفن : ظهرت صورتها على مرآة اتروسكية يحيطها زوس بذراعيه متنكرا في هيئة ساتور كمـا وجدت لها صور أخرى على آنيـة أفريقية ولها تمثال في معبد أفروديت في سيسيون • وللفنان كوريج لوحة بعنوان (أنتيوبه النائمة) رسمها في القرن السادس عشر •

□ ■ □



مسرحية ايطالية

ادواردو دي فيليبو
ترجمة : ميخائيل عيد

ادواردو دي فيليبو ولد في نابولي عام ١٩٠٠ ، كاتب مسرحي وممثل ، أشهر مسرحياته « ولادة في منزل السيد كوبيلو » ١٩٣١ و « نابولي مدينة أصحاب الملايين » ١٩٤٥ و « هذه الاشباح » ثم « الاسطوانة » ١٩٦٦ وغيرها ٠

شخصيات المسرحية

ريتسا
رودولفو
اغوستينو موسكاريلو
بيتينا
آتيليو
أنطونيو
روبرتو
أرثورو
نساء ورجال من الشارع

غرفتان ومطبخ لاغوستينو موسكاريلو • في مظهرهما كل ما يمكن أن يكون في مسكن دون مستوى الشارع من طراز البناء في القرن الثامن عشر وقد صمم هذا المسكن ليكون مستودعا للمؤونة وفي أحسن الاحوال لسكنى البواب •

تقود عشر درجات من سفل الغرفة من اليسار الى الجدار في اليمين حيث يوجد باب صغير يؤدي الى الغرفة الثانية وهذا الباب أعلى من البـاب الاول بسبب مستوى الشـارع الذي يعلو عموديا • وسط الفسحة القائمة بين الطابق الأعلى والاخير وبين المسكن ثمة شرفة صغيرة تبـدو عبرها أبواب ونوافذ وحوانيت لمنازل باهتة تتجه صعدا مع الطريق المتدرجة حتى « كريستاليني » •

القبو على عمق مترين ومساحته ثلاثة امتار • ولو لم يكن مغطى باوراق رخيصة من قبـل اغوستينو موسكاريلو لبدا أكثر قتاما وجهامة من مغارة وبتليم • اما الآن فهو نظيف و «مفروش» بسرير مزدوج لائق •

بقية الاثاث بسيط ولكنـه مرتب ونظيف • حين يبدأ التمثيـل يكون داخل القبو معجـوبا بستارة قديمة تتحرك بواسطة حبل ربطت به وينتصب عند طرفيها مشجبان • المسكن نصف معتم ، يتسرب خلال درفة الباب المفتوحة قليل من الضوء يكفي لانارة هيئة ريتا المغرية وهي في الفسحة ، تدخل الى غرفة « الزينة » حافية وبقميص داخلي قصير « كومبينيزون » تسكب ماء من الابريـق في طست ، تدلك بالصابون جبهة ويديها وكتفيها ووجهها ثم تغسلها بالماء النقي وتسكب مـاء الطست في دلو وتملأ الطست ثانية بالماء من الابريق • بعد ذلك تتجه لتتناول المنشفة عن ظهر الكرسي وتفتح بين الحين والحين درفتي باب الشرفة الصغيرة • تنظر أحيانا الى الشارع وتشير احيانا لاحد ما • تسرّح شعرها ، تصع تحت ابطيها قطرات من العطر ثم تضع المزيد من البودرة فينشمر قميصها الخفيف •

حركات ريتا متعمدة وتظهر بجلاء ان عملية الغسل مجرد تمثيل تقوم به كل يوم في الوقت نفسه • وترى انها لا تعرف ما يجب أن تفعله لتجلب انتباه المارة ، ثم تخطف الابريق ،وتعـاود الغسل من جديد ••• اخيرا تسمع ثلاث طرقات ونَقْر على الزجاج من الخارج تدفع ريتا للابتسام بتـودد •

ريتـــا : (تتظاهر بأنها بوغتت ، تندفع الى احدى زوايا الشرفة وهي تغطي صدرها بالمنشفة) من ؟
(يجازف انطونيو الذي يقف على الشباك ويتطلع الى الغرفة وتقع نظراته المتلصلصة ، الطافحة بالرغبة ، عـلى المرأة - حين تـرى ريتا الشاب يبعث فيها الأمل وترد عـلى نظراته بابتسامة مغريـة)
لقد مررت بالامس أيضاً ·

انطونيو : واول أمس ·
ريتـــا : رأيتك أمس ولم أرك أول أمس ·
انطونيو : وسوف أمر غداً ·
ريتـــا : (بخيبة أمل بسبب بخل انطونيو) أهكذا ؟
وبعـد غـد ؟

انطونيو : سترينني في الساعة ذاتها ·
ريتـــا : هلا قلت لي لماذا تأتي كل يوم ؟ (تتدثر بمعطف سـهرة « روب دي شامبر » وتدس في قميصها مفتوح الصدر « ديكولتيه » المنشفة التي كانت تغطي بها صدرها ·
انطونيو : أريد استنشاق الرائحة ·

ريتـــا : اي رائحـة ؟
انطونيو : رائحة الماء والصابون والبودرة التي يحملها الهواء ، فحين تضعين البودرة تتسرب عبر الشرفة وتنتشر في الشارع ··· أتوقف وأراقب الغييمات التي تتصاعـد نحو السماء فتصبـح أكثر بياضا حـين تتخللها أشعة الشمس ·

ريتـــا : فهمت لماذا تأتي كل يوم ·
انطونيو : ليس لهذا فقط ·
ريتـــا : وهل ثمة سبب آخر ؟
انطونيو : (حارفاً الحديث عن مجراه) سأحمل لك غداً طاقة من الورود ·

ريتـــا : شـــكراً .
انطونيو : ورود أيارية . ندعوها ذات القلنسوة لان لها شكل القلنسوة ولها أوراق كبيرة كثيفة تلتف وتصبح صغيرة صغيرة في الوسط .
ريتـــا : أهي عطـرة ؟
انطونيو : عطرة جداً . وهي حمراء كالنار ترسل عطراً قوياً الى حد يجلب الالم الى الرأس أحيانا . ولهذا يحملها أهل نابولي الى الحمام .
ريتـــا : الكي تؤلمهن رؤوسهن ؟
انطونيو : كلا ، بل وفقاً لتقليد قديم لـدينا . حين تتلقى المـرأة الورود الايارية من حبيبها تقطف أوراقها وتضعها في اناء يحوي ماءاً بارداً وتترك الاناء على الشرفة طوال الليل وفي صباح اليوم التالي تغسل وجهها ويديها وكتفيها وكل ما ترغب في غسله بهذه المياه المعطرة. ويتم هذا التقليد خلال الربيع فقط ، حين تتفتح الورود الايارية.
ريتـــا : يا للشاعرية ! الجميع شعراء في نابولي .
انطونيو : من أين أنت ؟
ريتـــا : مـن فلورنسـا .
انطونيو : فلورنسا ... يا لها من مدينة جميلة !
ريتـــا : هل ذهبت اليها ؟
انطونيو : كلا ، وانما كانت ابنة عم لي هناك بمناسبة زفاف وحملت اليّ مجموعة كاملة من الصور الملونة . كان عليّ أن أؤدي خدمة العلم في فلورنسا ولكني اعفيت من الخدمة الالزامية لعدم صلاحي لها .
ريتـــا : من أين عرفت أنهم كانوا سيرسلونك الى فلورنسا ؟
انطونيو : حلمت دائـماً بذلـك . وقلت لنفسي : حين استدعى سأفعل كل ما بامكاني ليرسلوني الى فلورنسا ... وكنت سأنجح في ذلـك لان خالي رقيب أول .
ريتـــا : (وقد ضاقت ذرعاً بهذا الحديث ، ورغبة في الوصول الى هدفها ،

تعيد انطونيو بتودد الى الموضوع) المعذرة ، عليّ أن أدخل فليس من اللائق أن أتحدث على الشرفة مع انسان ليس من معارفي •

انطونيو : اذن ، عليّ أن أذهب •

ريتـــا : (بعد وهلة ، تتظاهر بانها أصيبت بخيبة) أتريد الذهاب ؟

انطونيو : قلت أن من غير اللائق أن تتحدثي هنا •

ريتـــا : هنـا ، لا •

انطونيو : أيـن اذن ؟

ريتـــا : (مبتسمة ، لتتغلب على بخله) في الداخل • ألا تريد الدخول ؟

انطونيو : في بيتـك ؟

ريتـــا : هس ــ س • اخفض صوتك • عندي •

انطونيو : عنـ ••• دك ؟

ريتـــا : (تقاطعه) اصعد ثماني درجات ، واعبر البوابة : أول باب الى اليسار • لا تقرع الجرس ، سأفتح لك •

(يختفي انطونيو بعد أن يومىء للمرأة برأسه مشيراً الى أنه قد فهم • تغلق ريتا النافذة وتسدل ستارة بيضاء شفافة تسمح بدخول الضوء ولكنها تحجب الرؤية عمن في الخارج لما يجري في الداخل ثم تهبط الدرجات مسرعة الى أن تصل الى المدخل ــ الى يسار الغرفة ــ تسحب المزلاج وتقف قرب الباب الموارب • يُدفع الباب بعد قليل من الخارج ويظهر نصف انطونيو أول الامر ثم يظهر بكامل قامته) •

انطونيو : (قلقاً) ها أنذا •

ريتـــا : ادخـل •

(يدخل انطونيو • تغلق ريتا الباب) •

انطونيو : (يجهد ليبدو طبيعيا) أردت أن أجلب هذا الصباح طاقة من الورود الايارية ••

ريتــــا : ما اســـمك ؟

انطونيو : اليوم هو العاشر من أيار • بعد أربعة وثلاثين يوماً أحتفل بعيد اسـمي •

ريتــــا : أهنئك سلفاً •

انطونيو : شـــكراً •

ريتــــا : أنا واثقة من أنك لا تقدم الزهور الى كل امرأة تلقاها •

انطونيو : لــك ــ أجل •

ريتــــا : وقعت في العوز يا انطونيو • العوز وحده يرغمني على فعل هــذا الذي أفعله الآن • ألديك نقود ؟

انطونيو : أمن أجل شراء الورود ؟

ريتــــا : أي ورود ! (تشرح له بأناة) لماذا تريد أن تحمـل لي الورود ؟ لتغازلني • ولماذا تغازل امرأة ؟ لتكون لك • الامر جلي ! حسناً ، اعطني النقود ولنذهب الى السرير (يصدم انطونيو بصراحتها فيغمض عينيه ولا يجيب) المعذرة ••• كنت صريحة ، ولا يجوز ان أكلمك هكذا ••• أصابتني مصيبة وأنـا الآن في وضع رهيب ••• أرجوك جاثية : هيا معي الى السريـــر واعطني بعض النقود (يصمت انطونيو) لست عاهرة ، صدقني ، لا أمارس هذه الصنعة ••• أنت الاول يا انطونيو •••

انطونيو : (محملقاً) أ أنت عذراء ؟

ريتــــا : لا • لا لست كذلك ••• أنت الاول بعـد زوجي •• لن تعتيـك حياتي • كن سمحاً واعطني قليلا من المال •

انطونيو : ولكن ••• الى حد ما ••• كم ؟

ريتــــا : من أين لي أن أعرف ••• لا أفقه شيئاً من هذا الامر •• قالوا لي عشرة ••• عشرة آلاف •

انطونيو : (وقد تلاشى حرجه أمام المبلغ الكبير) في شارع روما ·· أجل ! ولكننا هنا في شارع كريستاليني ·· !

ريتــا : (باغراء) أنت الاول ·

انطونيو : (وقد جمده ذلك بعض) هذا لا يحدث ، طبعاً ، كل يوم ··· لدي عشرة آلاف ·

ريتــا : تعــر ·

انطونيو : تعري أنت أولا ·

ريتــا : ما عليّ سوى أن أخلــع المعطف (تدور حول نفسها على مهــل ، تلقي نظرة اغراء على الشاب ليساعدها على التعري وقــد أسبلت يديها تاركة المعطف ينفتح من تلقائه) أتريد ·· ؟

انطونيو : (يخلع عنها معطفها ويتملى لحظة من جمال انسكاب كتفيها ويمر بوجنته عليهما برفق ويغمز بعينيه) كم أنت جميلة ···

ريتــا : (تبتعد بحركة سريعة ، ترفع المعطف عن الارض وتنتصب أمام الشــاب مذعورة ونافــذة الصبر) علينــا أن نسرع · بسـرعة ، بسرعة ، بسرعة · يجب أن لا أفكر بهذا ·

انطونيو : (مبدياً استعداده) لقد خلعت السترة وحللت ربطة العنق وفككت زر الياقة (يتخلص من ربطة عنقه سريعاً) ·

ريتــا : (شبه مذعورة) كلا !

انطونيو : (قلقاً) الن أنزع ربطة العنق ؟

ريتــا : ولا السـترة ·

انطونيو : الحر شديد ··

ريتــا : طبعاً ··· تستطيع أن تخلع كل شيء ، كما تريد ، ولكن فيمابعد-

انطونيو : فيمــا بعــد ؟

ريتــا : بعد أن تعطيني النقود ·

انطونيو : (بعد فترة وجيزة) ألست واثقة ؟

ريتـــا : أوضحت لك أنني لم أمارس أبداً هذه المهنة · قالوا لي أن الدفع يتم أولا · وهذ أفضل · أليس كذلك ؟ أفضل بالنسبة لي ولك · أنا يائسة ، ومحتاجة للنقود · فاذا أعطيتنيها الآن فساكون أكثر لطفاً معك · وسوف تتوهم ، بعد أن ننهي هـذا الامر بالمهين وتنصرف ، اننا كنا متحابين فعلا ·

انطونيو : (يحمي ، يبتسم ويتناول حقيبة نقوده) أجل ، أنت على صواب (يتناول قطعة نقد من ذات عشرة الآلاف ويعطيها للمرأة)

ريتـــا : (ترتعش ذقنها انفعـــالا ويغص حلقها بالبكـاء) شـكراً ·· (تبدو كلمة شكراً على تناقض تام مع سرعتها في دس قطعة النقد في صدارها · تمسك انطونيو من يده بحيوية وتجره خلفها)تعال ·

انطونيو : الى أيـن ؟

ريتـــا : (تشير نحو القبو) هناك · تعـال ! (تقف ريتا حين تصـل الى الستارة ، تستدير نصف استدارة حول نفسها لتواجه انطونيو ، تنظر بعينين ذاهلتين ، تماماً الى عينيه ، ثم تجثو على ركبتيها وتنفجر باكية بشدة) أنا نتنة ، قذرة ، مقرفة ؟ ولكن قدري أكثر نتنـاً مني ، والاكثر قذارة مني هو حظي ، والاكثر اثارة للقرف هـي الحياة ! لا أستطيع المزيد ··· لا أستطيع المزيد !

انطونيو : (مرتبكاً) ماذا جرى ؟

ريتـــا : (تنحني وتضرب الارض بكلتا قبضتي يديها) لماذا ، لماذا ، لماذا ،

انطونيو : رويدك ، بعض هذا الألم !

ريتـــا : لماذا وجدت رياح المصير القاسية ، لتي تدخل بيتك وتكنس ، في لحظة ، كل سعادة ··· كان لي زوج ـ فتى ، قوي ، محبوب ··· دخلت الليلة الرياح وحملته-انظر! (تسحب الستارة بحزم وتنظر الى انطونيو نظرة أسى) (يستلقي على السرير المزدوج رجل شاب بشحوب وجه ميت · يبدو أكثر موتاً تحت ضوء شمعة وحيدة فوق

رخام منضدة صغيرة . أصابع الشاب متشابكة فوق صدره ضاغطة باقة زرية من الزهر . منظر هذه « الصالة الجنائزية » الحزين يحجر انطونيو فلا يصدق المسكين عينيه ولا يثوب الى رشده الابعد بضع ثوان) .

انطونيو : (وقد نجح أخيراً في التكلم) ولكن ... ماذا يفعل هذا هناك ؟

ريتـــا : لا شيء ، لا يعمل شيئاً . لا يستطيع أن يعمل شيئاً . لقد عرف الليلة مـن عويلي ، بعد النوبة التي تعرض لها ، أنه لـم تعـد ثمة قوة لديه ليكافح ، ليصدم رأسه كل صباح بمسألة الحصـول على قطعة من الخبز لاطفالنا الثلاثة .. أجل ثلاثة ، ولم يطق قلبه احتمالا فمات . وأنت تسألني ماذا يفعل ! يفعل ما يفعله الاوغاد مـن أمثالك الذين يرمـون أوراق النقـد من ذات عشرة الآلاف ليشتروا زوجات الفقراء التعساء الطاهرات ، وبدلا من أن يمدوا يداً كريمة لهؤلاء التعساء يريدون أن يصير الاب ميتاً ، الولي ميتاً، العامل ميتاً ، المحتال ميتاً ، الطفيلي ميتاً ، الوقح ميتاً . هل انت مسرور؟ (تخطف بحدة مفاجئة يد انطونيو وتجره نحو السرير) لقد دفعت فلك الحق . هيا لننهي الامر سريعاً .

انطونيو : (يسحب يده ويتخلص بقسوة من المرأة) أتمزحين ؟ أبقربه ؟

ريتـــا : ماذا يهمك ؟ أليس الامـوات الذين يسيرون حولك في الشـارع لا يخيفونك على الرغم من أنهم ينظرون اليك وجها لوجه ليميروك بأن نهايتك وشيكة ؟ كيف يخيفك هذا وهو لا يستطيع توبيخك ؟

انطونيو : (وقد تأثر بوضع ريتا ، يجد القوة ليقول لها) ولكن ماذا تريدين مني ؟ انظري أي صباح جميل هو هذا ! من أرغمني على المرور في « كريستالني » ... لكل همومه . لو جلست لاقص عليك همومي فلن تنتهي قبل أن ينمو شعرك ويصل الى الارض ... ثم ما علاقتي بالموتى الذين يسيرون في الشارع و « بنظراتهـم وجهاً لوجـه »

وبتمييرهم ؟ ثمة بطالة في جميع أنحـاء العالم • تقبلي تمـازي واسمحي لي بالانصراف •

ريتـــا : البـاب هناك •

انطونيو : وعشرة الآلاف ليرة ؟

ريتـــا : (بحدة وهي تمد يدها الى صدرها) انها هنا (تخرج قطعـة النقد من رافعة نهديها وتدسها تحت ظهـر الميت) وها هي ذي الآن هنا ، فتعال خذها ان كانت لديك الجراة على أخذها بنفسك •

انطونيو : لتكن مشيئة الله ! (يدير ظهره للمرأة) اتمنى لك كل خير (يفتح باب المدخل ويخرج سريعاً) •

ريتـــا : اذهب الى الشيطان أيها البليد ! (تفتح درجاً في صوان المـلابس وتخرج علبة سجائر وكبريت ، تشعل سيجارة لنفسها ولرودولفو ـ زوجها الميت الذي يجلس خلال ذلك على السرير ويدلك عينيه) •

رودولفو : (بينما زوجته تنفث دخان التبغ وسعيدة بما جرى يدخن بمتعـة ثم يمد يده ويمسك يد زوجته ويشدها نحوه) يا حلوتي •••

ريتـــا : تمهل يا حلوي ••• (تذهب الى باب المدخل وتصيخ السمع لفترة ، ثم تفتح الباب وتتطلع الى الخارج ومن ثم تغلقه • تصعد الدرجات التي تؤدي الى الفسحة وحين تصل الى الشرفة تفتح بابها بالقدر الذي يسمح لها بادخال رأسها ثم تتطلع الى الشارع •

(يدخل الى الفسحة ، قادماً مـن الغرفة المجاورة رجـل في حوالي الستين من العمر حزيناً متجهماً موهناً ولكنه ضخم العظـام وفي صحة جيدة يرتدي قميصاً أزرق من الفانيلا قصير الاكمام تلوح فوقه بوضوح حمالتا سروال حمراوان تشدان بنطاله الاسود أصلا والضارب الى البياض ، المرقع عند الركبتين ومن الخلف • قامـة الرجل اعتيادية ولكنه يبدو مفرطاً في الطول لانه يضع على رأسه اسطوانة ، عمله معروف ومحدد ومتناسب تماماً مع هذه القيمـة

الطويلة • اغوستينو موسكاريلو ـ هذا اسمه ـ يصل دون أية ضجة الى المسندة ، يصب الطست في الدلو ، ويأخذ الدلو والابريق ويمضي ليخرج من الباب الذي رأيناه يدخل منه) •

ريتـــا : (تدخـــل وتغلق درفـــة باب الغرفة) غير موجـــود • ذهب (لا غوستينو) المعذرة •• (تأخذ مرطبان التالك وتعطيه لـه) املاه بالبودرة : ثمة علبة كبيرة منها في غرفتكما (يرفع اغوستينو يده اليسرى ويشير بذقنه لريتا الى المكان الذي يجب أن تضـــع فيه المرطبان . تدخله ريتا تحت ابطه فيخـــرج اغوستينو دون أن يتكلم من البـاب الايمن • يسمع طرق على باب المدخل تضطـــرب ريتا وتسأل من الفسحة) من ؟

انطونيو : صاحبك ، افتحي •

ريتـــا : (تسرع الى باب المدخل ، يطفىء رودولفو سيجارته ويخفي عقبها تحت الفراش ، ويمثل من جديد وضع الميت) ماذا تريد ؟

انطونيو : افتحي للحظة •

ريتـــا : ! أفتح دون أن أعرف من أنت ؟

انطونيو : أنا الذي كان عندك قبل قليل •

ريتـــا : اسمك • أي اسم وكنية وعلامة فارقة هو هذا « الذي كان عندك قبل قليل » ان هذا لا يعني شيئاً •

انطونيو : تفتحين الباب فقط حين يجب أن تأخذي عشرة آلاف ليرة • وتطلبين علامة فارقة حين يجب أن تعيديها •

ريتـــا : (تفتح الباب وتنتصب أمامه) أليس جليا أن وضعي مذهل ؟ ألا تعلم انني سأجن !

انطونيو : تفهمت وضعك ، وأنا حزين جدا ، ولكن لماذا سأخسر عشرة آلاف ليرة •

ريتـــا : لقد أنجزت عمل خير •

أنطونيو : لست في وضع يسمح لي بالتصرف بمبلغ عشرة آلاف ليرة .
ريتـــا : ولكنك تستطيع انفاقها كوعد شهو تي ، اليس كذلك ؟
انطونيو : سيكون ذلك مفيدا لصحة على الاقل .

(يدخل أغوستينو بأبريق ملآن ودلو فارغ وعلبة البودرة . يضع كل شيء في مكانه ويصغي) .

ريتـــا : تعرف جيدا أين هي عشرة الالاف ليرة فمد يدك وخذهـا ان كنت تتجاسر على ذلك (تتركه يفكر بهذا . وحين تلحظ أن أنطونيو مسمر لانه يجرب تقول دون مبالاة) لا يزال الميت ساخناً .

انطونيو : (مترددا) ألا تستطيعين أن تمدي يدك أنت ؟ (يلفت انتباهه الرجل ذو الاسطوانة وهو يهبط السلم ، يصدمه هذا الشكل المربك، النظرات المستسلمة المصوبة اليه ، يبتسم له ثم ينحني دون احترام تقريبا ، يقف اغوستينو عند قاعدة السلم يرتبك أنطونيو برهة ثم يستجمع شجاعته ويخاطب الرجل ليكون حكما في الجدال) قد لا تكون على علم بما حدث لي (يهز اغوستينو رأسه ببطء ثم يبتسم للشاب ابتسامة ذات معنيين وكأنه يريد أن يوحي الثقة للشاب بمؤهلاته التنبؤيـــة) ساعيش عشرة أيـــام بعشرة آلاف ليرة ... (تتحرك الاسطوانة مرتين أو ثلاثاً ببطء) عشرة آلاف لـــيرة تنقذ احـــدى العائلات .

اغوستينو : (يفكر ، يتجهم ثم يقول بلطف) انه الصراع بين الخير والشر ، والانتصار المقفل للجشع النهم لقوى الظلام الكامنة على الاخيـــار سيأتي يوم يمزق فيه شعاع ضوء الحقيقة حجاب الظلمة وسيغسل النتن الذي يحيق بك .

أنطونيو : (ذاهلا) حل .. ولكن ..
اغوستينو : (يمسك يد أنطونيو ويقوده الى الباب دون أن يتيح له امكانيـــة الكلام) انه الصراع بين الخير والشر ...

أنطونيو : فهمت ، ولكن ...

اغوستينو : سيأتي اليوم ... وداعا يا أخي ... (يغلق الباب خلف أنطونيو الذي أصبح في الخارج دون أن يعي ذلك) .

ريتـــا : سيعود .

اغوستينو : سأجره على السلم ان عاد وسأغلق الباب . فاذا راح يصرخ طالب النجدة فسوف أرسله الى الاسعاف السريع .

رودولفو : الاسطوانة مشتة جيدا .

اغوستينو : عزيزي رودولفو ! ان آباءنا واجدادنا واجداد أجدادنا وأسلافنـــا الاقدمين وحتى الذين سبقوهم ...

رودولفو : أجل ، فهمت ، تابع

اغوستينو : أريد أن أقول أن هذه (يشير الى الاسطوانة) القبعة قد أدت واجبها خلال القرون وتؤديه الان وستستمر في ادائه لدى الاجيال القادمة حين يصبح عصر الذرة ذكرى قديمة بالنسبة للبشر .

رودولفو : سيكون أول شيء يحملونه الى المريخ أو الى القمر هو الاسطوانة حسب رأيك ، أليس كذلك ؟

اغوستينو : لن تكون أول شيء . لا يبدأون بالاسطوانة وانما يكون اليها المآل- من يعرف كيف استقبل مكتشفها من قبل ملك ذلك الزمـــان حـــين قدم له تصميمها . « أهذا برميل صغير ؟ » كلا يا صاحب الجلالة » « أهي مدخنة ؟ » جلالتكم بعيد عن الحقيقة » أنت تعرف أن الحكام خلال جميع العصور يفهمون بشيء من البطء . « اذن قل لي ما هذا ولا تضع وقتي » . « هذه قبعة يا صاحب الجلالة ، أأحضرتها لي ؟ ألست صانع قبعات ؟ ! أخرج سريعا أي أبله أنت ! » « فليسكـــن روعكم يا صاحب الجلالة ، هذه القبعة هي دائما ، حـــين تستغلق الامور ، تستطيع أن تنقذ عرش جلالتكم . وسيفهم المتعلمون قبل سواهم قدرة هذه القبعة . وسيرى الجهلة انها لا تناسب ظروفهم

مطلقا ، ولن يقبلوا أبدا يحملها على رؤوسهم حتى للحظة واحدة. هذه القبعة الاسطوانية الشكل ، يا صاحب الجلالة ، سيحملها الوزراء أثناء اداء المراسيم ، والاطباء حين يستشارون والمتزوجون حديثا وضيوف الاعراس الكبيرة . ليقال أن القران أمر جدي ، لن تكون ثمة مبارزة دون اسطوانة . ولن يكون دون شخصية بارزة محترما من الناس بدون اسطوانة . أن جنود جلالتكم سيصبحون محاربين حين توضع الاسطوانة على رؤوسهم ، فيرهبون العدو ويدحرونه » وعلى العموم يا عزيزي رودلفو ، فان هذه القبعة أزلية ورائعة وعلى كل عائلة محتاجة ان تحتفظ دائما على مشجبها بقبعة كهذه . انا أعتني بها بحرص شديد وأحملها دائما على رأسي لانها تحفظني من مختلف الحوادث . يأتي البواب في عيد الميلاد أو عيد الفصح مثلا ، طالبا « البخشيش » ، أضع الاسطوانة وأقول . « ليس لدي نقود صغيرة يا عزيـزي ... عـد في مناسبـة أخرى » فيجيب : « لا تنزعجوا ... عيد ميلاد سعيد . أو فصح سعيد » ويذهب . ولئن قلت الكلام نفسه وعلى رأسي قبعه أخرى أو قلنسوة أخرى فلن يذهب ممتعضا ودون أن يحييني فحسب وانما سيشتمني أيضا ... وحين يأتي مالك البيت ليأخذ الاجر الشهري أثبت ، أيضا ، الاسطوانة جيدا ... أنه جاهل عجوز توقيعه صليب صغير ... ولكنه كجميع الجهلة يريد أن يعلم ابنـه ، وستحل المصيبة حين سيأتي الابن بدلا من الاب : هكذا الحال دائما : يولد المتعلمون من آباء جهلة و لجهلة من آباء متعلمين ... وسنسوي الامر مع المتعلمين . كم جمعنا ؟

رودولفو : سبعين الفا .

اغوستينو : كان المبلغ سبعين ألفا البارحة وقد قلت . لا بأس بسبعين الفا خلال ثلاثة أيام . لقد ملأت المرطبان بالبودرة من جديد واستبدلت المام: يجب أن يكون الرقم ثمانين الفا .

ريتـــا : أخذت زوجتك عشرة الاف ليرة صباحا ٠
اغوستينو : لماذا ؟
ريتـــا : طلبتها ٠
اغوستينو : يا له من منطق ٠٠٠أكنتم ستعطونها كامل المبلغ ، سبعين الفا ، لو طلبته ؟
رودولفو : قالت انها مضطرة لدفعة مستعجلة ٠
اغوستينو : (يصرخ باتجاه الغرفة العليا) بيثينا !
بيثينـا : (من الداخل) أغوستينو ؟
اغوستينو : اطلقي قليلا (للشابين) تخفي دائماً شيئاً عني ٠٠ فاما أن تكون هذه المرأة مجنونة أو انها عدو لي (يصرخ) بيثينا !

(تدخل بيثينا وتسير الى الفسحة ٠ هي في حوالي الخامسة والاربعين من عمرها ، عيناها براقتان ماكرتان ، وهي لا تزال جذابـــة وطافحة بالحيوية التي تتجلى في حركتها الدائبة ، عليها مسحة امرأة من عامة الشعب ٠ ترتدي ثيابا رخيصة الثمن ، وهي تنتقي بذكاء الاثواب الفاتحة والمحطلة ، حتى ان ثوبا تخيطه من قماش رخيص الثمن يستثير الحسد لدى جاراتها) ٠

بيثينـا : ماذا تريد يا أغوستينو ؟
اغوستينو : ما هي هذه الدفعة المستعجلة ؟
بيثينـا : أي دفعة ؟
اغوستينو : لا تجيبي بسؤال آخر لتستمي الوقت وتفكري بجواب تقذين عليه ٠
بيثينـا : أما زلنا يا أغوستينو على حالنا هذه ؟ أما زلنا بحاجة لاغتنام الوقت للتفكير بالجواب الذي علينا أن نقدمه ؟
اغوستينو : لا تتظاهري بالسذاجة ٠
بيثينـا : لم أفهمك يا اغوستينو ، وهذا كل ما في الامر ٠ أنا لا أتظاهر بأنني ساذجة ، ولئن شعرت بأنك تتظاهر بها ، اذن لتناولت ما يقع تحت يدي وحطمته على رأسك ٠ ما الذي تريد معرفته ؟

أغوستينو : ماذا فعلت بعشرة الآلاف ليرة ؟

بيتينـا : الحمد لك يا الله ، لقد تكلم أخيراً ٠

أغوستينو : عليك أن تكوني أكثر احتمالا ٠ عليـك أن تفهمي أنني وايـاك ومدين الشايين نحمي الساعات والقروش لتحصل على المبلغ ٠٠ أمامنا سبعة أيام فقط ، فاذا شرعت بتسديد الديون ، فسوف تدخل النقود من جهة وتخرج من جهة أخرى ، وستنقضي المـدة دون أن تحصل على المبلغ وسنخسر كل ما فعلناه حتى الآن ٠

بيتينـا : ولكنك لا تتركني أقول لك ٠

أغوستينو : تمهلي ، دعيني اكمل ٠٠٠ ان الدائنين ساكنون الآن ولا يزعجوننا، ولكن يكفي أن تفرح أحدهم حتى يتباهى بذلك وتحاصر هنا كما حوصر الباستيل ٠

بيتينـا : لم أسدد شيئاً ٠ دعني أقول لـك ٠ جاءت السيدة فورتونـا التي تعيش في الرقم ١٧ صباح اليوم ٠ أنت لم تسمعها اذ كنت نائماً ٠ كانت مضطربة بشكل أخافني وقـد قالت لي : « أيتهـا السيدة بيتينا ، انقذيني ، وليمنحكم الله الصحة ! ساعدوني ان زوجي لا يريد الذهاب الى العمل في البناء منذ ثلاثة أيام لأن أحـد أضراسه يؤلمه ٠ لقد جن ألماً ٠٠٠ وقالت انه رمى الكراسي أرضاً وانه قد هشم الغطـاء الزجاجي للقديسة حنـه التي يضعونها في صـوان الملابس ثم خطف ، وهو ذاهل لشدة ألمـه ـ أليس بناء ـ اطـاراً حديداً وهم بضرب زوجته وأولاده ٠ ولقد قالت لي . « أيتهـــا السيدة العزيزة بيتينا ! لو انه ضرس كامل لانتزعته بنفسي أو كان انتزعه هو ، اذ لا تعوزه الشجاعة ، ولكنه جذر ضرس مهترىء لا تبدو منه سوى بضع نقط سود » وقد طلبت ثلاثة آلاف لـيرة لتأخذه الى طبيب الاسنان ٠

أغوستينو : آسف ، يا للمسكين ماتيو ٠ وجع الضرس مخيف ٠

بيتينـــا : وماذا يوسعني أن أفعل ، هل أرفض ؟
أغوستينو : أفهـــم ••
بيتينـــا : وكما ترى ، لم أدفع لاي من الدائنين ، وانما أعطيتها بمثابة دين•
أغوستينو : وهذا أسوأ ! سيشيع أننا ندين الآخرين وسوف يسخط الدائنون وسيأتون الينا بمطالب جديدة • فمن سوف يستقبلهم ؟
رودولفو : أنت ستستقبلهم • ستضع الاسطوانة •
أغوستينو : وسوف يمزقونها مزقاً •
بيتينـــا : (وهي تنزل الدرجات) هاكم ما تبقى من عشرة الآلاف ليرة (تخرج النقود من جيب مئزرها وتضعها على الطاولة) ستة آلاف ومئة •
أغوستينو : أي ، كيف ؟ ألم تعطي للسيدة نورتونا ثلاثة آلاف ؟
بيتينـــا : ثلاثة آلاف وخمسمئة • خمسمئة للسيارة •
أغوستينو : ألم يستطع الذهاب مشياً ؟
بيتينـــا : ومع هذا الالم في الضرس ؟
أغوستينو : كيف ، وهل أضراسه تحت قدميه ؟
بيتينـــا : لم أستطع الرفض فحص تصايقها غالياً،وهي تخدمنا بطيبة خاطر•
أغوستينو : حسناً ،ثلاثة آلاف وخمسمئة ••يجب أن يبقى ستة آلاف وثلاثمائة•
بيتينـــا : أعددت قدراً من البطاطا والبصل والبندورة وسنرجو المعلم في الفرن الذي عند المنعطف أن يشويه لنا •
أغوستينو : وهذا أيضا جواب لتكسبي الوقت • فما علاقة قدر البطاطا بأربع المئة ليرة ؟
بيتينـــا : وكيف يمكن أن أعد قدراً من البطاطا بدون أربع المئة ليرة ؟ علسرع الآن (تصعد الدرجات بنشاط وتخرج من اليمين) •
أغوستينو : اذن ، ها كم ستة آلاف ومئة •
رودولفو : وهاهي العشرة آلاف (يضع على الطاولة قطعة النقـد التي كانت ريتا قد وضعتها تحت ظهره) •

ريتـــا : ستون ألفاً جمعتها أنا •
أغوستينو : أين وضعتماها ؟
ريتـــا : (مشيرة الى الصوان) هناك •
وستينو : احـــذرا •
ريتـــا : (تتناول النقود من الدرج وتظهرها) ها هي • أعدها ثلاث أو أربع مرات يوميا ، وأعدها كرة أخرى قبل أن أنام •
رودولفو : (يقدم لريتا قطعة النقد ذات العشرة آلاف) خذي هذه أيضاً •
ريتـــا : (تضع النقود على الطاولة وهي تعدها) عشرة ، عشرون ثلاثون ، خمسة وثلاثون ، أربعون ، خمسة وأربعون ، ستة وأربعون ، سبعة وأربعون ، ثمانية وأربعون ، تسعة وأربعون ، خمسون ، ستون (مشيرة الى قطعة النقد التي يقدمها رودولفو) ويصبح المبلغ بهذه ستاً وسبعين ألفاً ومئة •
(تخرج بيتينا من اليمين حاملة على يديها وعاء نحاسياً كبيراً مليئاً بالبطاطا والبصل والبندورة ، مقطعة مخلوطة وجاهزة للشي ، تصل الى الشرفة وتنحني نحو الشارع وتصيح) •
بيتينـــا : ميكيلي ، ميكي ! ماذا تفعل ؟
ميكيلي : (من الشارع) لا شيء •
اغوستينو : الشغل واحد للجميع في هذا الشارع •
(لميكائيلي) لا تركض •• هل الدون فينتشينسو في حانوته ؟
ميكيلي : (وهو لا يزال في الخـارج ولكنه أكثر قربـاً) أجل ، أجـل • والدونا كونتشا هناك أيضاً • (يصل الى الفسحة عند السلم من ناحية الشارع ويقف مقابل بيتينا) اي خدمة أستطيع أن اقدمها لك يا دونا بيتينا ؟
بيتينـــا : (مشيرة الى الوعاء) كالمعتاد •••
ميكيلي : احمله الى المعلم في الفرن ، أليس كذلك ؟

بيتينـا : ليس للاول ، وانما للدون أوراتسيو عند الزاوية •
ميكيلي : حسناً (يأخذ الوعاء ويخرج سريعاً) •
بيتينـا : اذهب بعد نصف ساعة لاحضاره •
ميكيلي : (من الشارع) حسناً •
بيتينـا : قل للدون اوراتسيو انني سآمر به فيما بعد لاشكره •
ميكيلي : (وقد ابتعد) حسنا ياسيدتي •
بيتينـا : (تدخل وتهبط الدرجات الى حيث الآخرون) هكذا ، كي لا نفكر بأمر الطعام •• ولقد اشتريت بطيخة جميلة •
رودولفو : احصينا النقود • ليس المبلغ سيئاً خلال ثلاثة أيام • أظن أنه اذا استمر الامر كذلك فسوف تجمع المبلغ قبل أن تنتهي الايام السبعة •
ريتـا : (وهي تضع النقود في الصوان) فلنتأمل • لقد بدأت أقنط •
أغوستينو : لقد أبديت ، أيتها السيدة العزيزة ، روح وبراعة ممثلة كبيرة • وليكن في علمكم أنه قد مر أمام ناظري ، طوال سبع وثلاثين سنة ، كل أنواع الممثلين ، كباراً وصغاراً ، محدثين وفشلين :
ريتـا : ولكن عملي يجري مع أناس مجهولين يقصدونني لغاية محددة ••• ومع هذا الضلال المستشري •• قد يأتي أحد المهووسين ، أو أحد المجرمين ••• قد تقع على أحمق يتخلى عن عشرة آلاف ليرة من نقوده ويمضي ، ولكنك قد تقع أيضاً على من قد يطعنك بخنجر •
أغوستينو : أست هنا ؟
رودولفو : وأنـا ؟
ريتـا : لا تشجعاني •• فبينما تنزل أنت من فوق وينهض هو من السرير•• ألا تقدرون الجهود التي أبذلها ؟
جربوا أن تندبوا طوال النهار ميتاً ، وأن تغتسلوا ، أن تصوبنوا وأن تتشكوا طوال النهـار •• أتمنى لو تحضروا لي نوعاً من البودرة غير المعطرة فأتخلص من رائحة بوردة التالك •

رودولفو : (ينظر الى الساعة الجدارية العتيقة) الثانية عشرة الا ربعاً • ستكون قدر المطاطا جاهزة بعد نصف ساعة • سنجلس الى المائدة في حوالي الواحدة والربع • وكي لا تضيع الوقت سأستلقي في السرير واذهبي الى الاعلى و اغتسلي مرة أخرى •

ريتــا : أوف !

أغوستينو : سترتاحين بعد الغداء حوالي ساعتين أو ثلاث • وفي حوالي الرابعة والنصف ستبدأين من جديد عملك مع الماء والصابون والبودرة •

رودولفو : يكثر المرور خلال ساعات ما بعد الظهر •

أغوستينو : والساعات المسائية ، حتى ما بعد منتصف الليل قد تحمل مضايقات كبيرة بسبب هذه « الاغتسال » •

ريتــا : تماماً ، مساء وليلا ! سأذهب هذا المساء الى السينما •

بيتينــا : جميل ! اذهبي الى السينما وسأغتسل مساء أربع أو خمس مرات !

أغوستينو : (يشير اشارة غامضة) وهكذا سوف تتذكرين الايام الخوالي •

بيتينــا : (منفعل ، ولكنها تظهر لا مبالاة وتحول موضوع الحديث • الى ريتا) لدي نصف علبة من بودرة انزيسة وهي بدون رائحة تقريباً • سأذهب لاحضرها وأضع ما فيها في المرطبن بدلا من « التالك » •

ريتــا : شــكراً •

(تسير بيتينا نحو السلم) •

أغوستينو : (وقد عرف ان بيتينا منفعلة فأسف لما قاله • يصل الى السلم قبلها ويحاول اصلاح الامور) وهل اشتريت بطيخة ؟ (لا تنظر بيتينا اليه وتتابع سيرها) •

بيتينا ! أكلمك أنت •

بيتينــا : (وقد وصلت الى الفسحة ، تنحني فوق الحاجز) •

اشتريت ما أردت شراءه ولا أريد أن أجيب على أسئلة أناس مقرفين من أمثالك •

أغوستينو : أهذا كل شيء ؟
بيتينـا : لا أعيره اهتماماً وهو لا يكف عن مداعبتي !
رودولفو : ولكن ماذا جرى ؟
ريتـا : بيتيـنـا ؟
بيتينـا : لا تتظاهرا بأنكما قد سقطتما من السماء ، فانتما تعرفان المسألة ٠
أغوستينو : (مبرئاً ساحته أمـام الشابين) لانني قلت أنها ستتذكر الايـام الخـوالي ٠
بيتينـا : لكانني قد أخفيت شيئاً من ماضيّ ، ولكأنه ليس على علم بمجريات الامور كلها ، بكل ما فعلته ، منذ اليوم الاول لتعارفنا ، كل ما أفعله وما اقوله وما أحياه ٠ وبعد كل هذه السنوات يستمر في تعكـير صفوي ، ليعرف كم من الرجال قد عرفت ٠
أغوستينو : وهل من الضروري أن تذكر مثل هذه التفاصيل ؟ ٠ لئن سـأل أحـد الرجال أسئلة من هذا النوع فذلك يعني أنـه يظهر اهتماماً بالمـرأة ٠
بيتينـا : لقد ذكرت لك عددهم ٠
أغوستينو : (للشابين) قالت انهم خمسة عشر ٠٠
رودولفو : اذن ٠٠
بيتينـا : ولكنه لا يصدق ، فما أن يمـر بعض الوقت حتى يعـود ليسألني من جديد ٠
أغوستينو : لان العدد خمسة عشر غير دقيق نوعاً ما ٠
رودولفو : كل الاعداد سواء يادون اغوستينو ٠
أغوستينو : ذلك صحيح حين تعد أيام الاسبوع أو زجاجات الخمر ، ولكن المسألة هنا شيء آخر ٠ وعدا ذلك فهي لا تذكر دائماً نفس العدد ٠ قالت أول البارحة انهم ثمانون ٠
بيتينـا : لانني كرهت سماع السؤال بعينه ٠

أغوستينو : (وهو يصعد السلم ليلحق بيتيا) لن أسألك هذا السؤال بعد الآن وأعدك بأن أتزوجك اذا ذهبت زوجتي الى العالم الآخر .
(يقترب من بيتينا ويمد يديه) فلنتعانق ونكف عن الحديث عن هذا .

بيتينا : (تصفعه بقوة فتسقط الاسطوانة وتتدحرج الى الاسفل على السلم) لك !

أغوستينو : (يدلك خده المصفوع) بيتيا ...

بيتينا : ستنتظر وفاة زوجتك ، أ ? ابعد أن ركت لك كل هذه القرون سأستمع اليك وأنت تقول :
(اتذكر حين كانت المرحومة على قيد الحياة ، العدد غير دقيق نوعاً ما ! كانوا خمسة عشر . كانوا ثمانين ... (تخرج من اليمين) .

رودولفو : لا ينبغي أن تثيرها .

ريتا : دونا بيتينا تعتني بك جيداً .

رودولفو : في حالتكما ، كما في آلاف الحالات المماثلة ، لا أهمية للعدد .

اغوستينو : اتمزح يارودولفو ؟ أتريد أن تقول أن الخمسة عشر والثمانين سواء ؟ (يذهب الى الغرفة المجاورة دون أن يأخذ الاسطوانة) .
(يلوح من خلال الشرفة رجلان ، يتقابلان ويتصافحان بمودة) .

ارتورو : عزيزي دون روبرتو !

روبرتو : تحياتي !
(حين يرتفع صوتا الرجلين يمس رودولفو ريتا ويشير الى مكان شغلها مما يجعلها تفهم أن من المؤسف أن تفوتها الفرصة ، تذهب المرأة سريعاً نحو الطست ويذهب رودولفو الى السرير ويسحب الستارة) .

ارتوريو : ذهبت الى عند خالتي المريضة التي تعيش هناك قبل أن أذهب الى المحكمة . وأنت ؟ أتصعد كل هذه الدرجات في هذا اليوم القائظ ؟

روبرتو : أنا مشغول بأملاك مائلة دي ميرانتي · لقد رجوني أن أجيء لارى البيت الذي برسم البيع في سان دجامارو · (تقوم ريتا خلال هذا الوقت بصقوص الغسل وتفتح باب الشرفه مرتين لتنشر المشمعة الرطبة في الشمس) ·

ارتوريو : نحاحاً طيبـــاً !

روبرتو : شكراً (يمضي ارتوريو ، أما روبرتو فيرى ما تفعله ريتا ، يدفع احدى درفتي لباب ليوصوص ، فان وجد الفرصة مناسبة أقـــام علاقه معها) أتغسلين ؟

ريتـــا : أجـل ، أجـل ·

روبرتو : أفي مثل هذا الوقت ؟

ريتـــا : كم تريد أن تعرف · ثمة وقت لدي لاتزين · وعدا ذلك ·· فكل يعـرف نفسه ·

روبرتو : أنت فتاة جميلة ، وأنا أفهم هذه لامور ·

ريتـــا : شـــكراً ·

روبرتو : (بلهفة) ألن نفعل شيئاً ؟

ريتـــا : حسب المنـاسبة ·

روبرتو : حقاً ··· متى أستطيع زيارتك ؟

ريتـــا : عندما توجد الرغبة فكل ساعات اليوم ملائمة ·

روبرتو : أنت سريعة البديهة ، تعجبينني · كم يجب أن أدفع ؟

ريتـــا : ادخـل أولا ·

روبرتو : أليس من الافضل أن نتفق على السعر أولا ؟

ريتـــا : ستدفع لي عشرة آلاف ليرة ·

روبرتو : (ساخراً) أهـذا فقط ؟ ولكـن هذا مجـاناً ! ستفسدين أيتهـا الطفلة ··· عشـرة آلاف ليرة تساوي ثمـن غدائين بما في ذلـك « الدوسرت » والقهوة ··· (بنظاطة ولهجة مهينة) اذهبي وتعرني

على العمل خادمة ثم اتركي العمل لتفهمي كيف تحصل النقود ، ولتعرفي ان كان من العدل أن تريدي عشرة آلاف ليرة كعاهرة !
(تغلق ريتا باب الشرفة تحت أنف الرجل ، تدير ظهرها ذليلة وتغطي وجهها بيديها) •

رودولفو : (من الاسفل) ماذا جرى ؟

روبرتو : (يصرخ من الخارج) عشرة آلاف ليرة ••• جنون ! ألا يوجد هنا عميل للشرطة •
(يدخل اغوستينو)

أغوستينو : (وهو داخل) ماذا جرى ؟

رودولفو : (يذهب نحو ريتا ويحاول أن يبعدها ويفتح باب الشرفة ليواجه الرجل) دعيني أمر •

ريتا : لا ، لا !

أغوستينو : الاسطوانة ••• هل رأيتما الاسطوانة ؟

(يتعالى من الخارج صوت اتيليو ساموبلي ، أحد معارف روبرتو الذي يهبط سلم الشارع وقد توقف ليكلمه عما جرى) •

اتيليو : تحدث هذه الاشياء كثيراً فلا تغضب يا دون روبرتو !

روبرتو : لست غاضباً • أردت فقط أن أذكر الى أين وصلنا •

اتيليو : أتمنى لك الخير !

روبرتو : ولك أيضاً !

رودولفو : يا للسافل !

ريتا : هس بس •

(بعد أن يتلاشى وقع خطوات روبرتو في سكون الشارع المشمس تسمع طرقات على نافذة الشرفة) •

رودولفو : من تراه ؟

ريتا : اتول •

أغوستينو : اذا وجدتما لي الاسطوانة فسوف أخرج ٠
(يسمع طرق على النافذة) ٠

ريتـــا : (لاغوستينو) امش ٠

رودولفو : (يسحب الستارة وهو في السرير) لا تلزمنا اسطوانة وانمـــا مسدس ! (ثم يسدل الستارة) ٠
(توارب باب الشرفة قليلا) من ؟

اتيليـو : (يلطف) انسان محترم فاطمئني ، تستطيعين أن تفتحي ٠
(ريتا غير واثقة تماماً ولكنها أكثر هدوءاً ، تزيد فتحة الباب ، ترى من الشق فقط رفرف قبعة من صنع باناما والقسم الاعـلى منها) وقفت وسط الدرجات لاستريح قليلا ، فتحت الجريدة ورحت أقرأ العناوين ولكـن أليس الافضل أن تسمحي لي بالـدخول ؟ سيكون ذلك أفضل بالنسبة لي ولك ؟

ريتـــا : بدأت تقرأ العناوين ، ثم ماذا ؟

اتيليـو : واذ انني أعرف ذلك السيد ، الذي ذهب ، وقبل أن يذهب ٠٠٠ دعيني أدخل وسأقول لك البقية ٠

ريتـــا : أنا امرأة وحيدة ٠

اتيليـو : ولهذا أريد أن أدخل ٠

ريتـــا : ولهذا أريد أن أعرف ماذا تريد ؟

اتيليـو : سأقول لك حالا ٠ أنا موافق على أن أدفع لك عشرة الآلاف ليرة التي لم يشأ ذاك دفعها ان كنت ترغبين في ذلك ٠

ريتـــا : لئن كان من أجل هذا ٠٠٠

اتيليـو : من أين الدخول ؟

ريتـــا : انزل ثماني درجات وادخل من البوابة ، الباب الاول على اليسار ٠ لا تقرع الجرس (تغلق درفة الباب وتذهب الى المدخل ، تسحب المزلاج وتنتظر بعد فترة وجيزة يدفع الباب من الخارج ٠ تتنحى ريتا لينفتح الباب تماماً ويمر الرجل ٠

يدخل اتيليو ويقف لحظة على العتبة لينظر الى داخل الغرفة - هو ما بين الستين والخامسة والستين من العمر • متماسك الجسم ، نشيط وذو مظهر مريح • ليست قبعته هي الجديدة وحدها وانما بذلته الزرقاء الفاتحة جديدة أيضاً وهي أنيقة جداً من قماش طري ثمين حيكت جيداً • السلسلة الذهبية التي يحملها باعتزاز على سترته ، هي وحدها من طراز قديم وقد يعود سبب حمله اياها لذكرى فقيد عزيز • تصرفاته طبيعية ، ولكنه حين يميل بعينيه ليتفحص وجه انسان ويقيمه ، يبدو التقصي والارتياب في نظرته • يدخل وينزل قبعته البانامية) •

اتيليـو : أ أستطيع الدخول ؟

ريتــا : حتماً (تغلق الباب ويصل اتيليو الى وسط الغرفة) •

اتيليـو : (يخلع سترته) أين السرير ؟

ريتــا : (وقد بوغتت ، تشير بوجل الى القبو) هناك •

اتيليـو : (بشوق) خلف الستارة ••• فهمت - سرير ممتاز (يحل ربطة عنقه) اخلعي ملابسك •

ريتــا : ولكــن ••

اتيليـو : ألا تريدين أن تتعري ؟

ريتــا : اريد أولا أن أغلق باب الشرفة جيداً •••

اتيليـو : من سيراك من هناك ، من الاسفل ؟ دعيه مفتوحاً ليدخل قليل من الهواء (يضع ربطة عنقه على ظهر الكرسي حيث وضع سترته) •

ريتــا : في الحقيقة أريد •••

اتيليـو : (وهو يفك أزرار صديريه) سأعطيك الآن عشرة آلاف لير • وهكذا لن تفكري كثيراً بذلك • يطوي صديريه ويضعه على الكرسي ، ثم يخرج مـن حقيبة نقـوده قطعة نقديـة بعشرة آلاف لير ويريها للمرآة بعد أن يخبيء حقيبة النقود) واذا كنت متأنية وشيقة معي

فسوف أعطيك المزيد أيضاً . خذي ! (تمد ريتا يدها) كلا . اخلعي دثارك أولا (ينزلق الدثار عن جسد ريتا ، يضيق اتيليو ما بين عينيه معجباً بجمال الشابة ، ثم يقدم قطعة النقد الى المرأة بتصميم وعيناه تلتمعان رغبة) خذي يا صغيرة فانت تستحقينها (تأخذ ريتا النقود دون أن تتمكن من ايقاف حركة اتيليو المفاجئة الذي سحب الستارة . يرتبك اذ يرى رودولفو ثم يتمالك نفسه ويدير ظهره الى السرير ويقول بوعي ظاهر) أي ، ماذا ستفعل ؟ (لريتا) أوقظيه وقولي له أن يذهب .

ريتـــا : (وهي تنظر بأسى الى اتيليو) أ أقول له أن يذهب ؟

اتيليـو : أوقظيه على الاقل وقولي له أن ينتظر خارجاً .

ريتـــا : أ أوقظـــه ؟

اتيليـو : هل ينام نوماً عميقاً ؟

ريتـــا : (وقد غصت بالبكاء) لن يستطيع أحد ايقاظه بعد الآن .

اتيليـو : ومـــن هـو ؟

ريتـــا : (تجثو على ركبتيها وتنفجر باكية كالمعتاد) اني نتنة ، قذرة مقرفة! ولكن الاكثر نتناً مني هو قدري ، والاقذر مني هو حظي ، والاكثر اثارة للقرف هي الحياة ... لا أستطيع .. المزيد !

اتيليـو : ولكن ما بك ؟

ريتـــا : (مشيرة الى السرير) ألا ترى ما بي ؟ انه زوجي .. مات الليلـة فجـــأة ...

اتيليـو : (خائفاً) اوه ، يا الهي ! يتراجع آلياً الى الوراء) .

ريتـــا : وأنا بحاجة الى النقود من أجل دفنه ، ولكي أسدد ما أورثني من ديون ... أنا وحيدة ، وحيدة تماماً .. (تبكي) .

اتيليـو : (يخطف مضطرباً سترته وصديريه) ايه بنيتي ، أوصلك الاسى الممض الى الجنون ..! قـرب الميت في السرير نفسـه ! ماصاب بنوبة . اهدئي يا بنيتي ... لتدم سلامتك ...

(يتجه سريعاً نحو المخرج ، يعطف رودولفو يـد ريتا ويقبلها ، يرفع اتيليو يده عفواً الى عنقه فيعرف انه بلا ربطة عنق ، يلتفت نحو الكرسي فيرى ما يفعله رودولفو فيقف ذاهلا • لا يقول شيئاً بل يقف دون حراك لحظة ثم يرفع ربطة العنق عن الارض من حيث وقعت • ينظر بطرف عينيـه الى الاثنين اللذين اتخـذا الوضعين المناسبين وكأن العجوز لم يلحظ شيئاً ، يتجه اتيليو نحو الباب • يتوقف اذ يصل الى العتبـة ويدير رأسـه وينظر الى ريتـا بعينين لامعتين) فكرت ورأيت أنك على صواب ما القبيح في الامر ؟ انه لا يرى ولا يسمع • ثمة خطر من الموت الحقيقي فقط ••• ولكن هذا لا يحدث الا نادراً • (يعود ويضع ثانية سترته وصديريـه وربطة عنقه على الكرسي وقد رتبها بعناية) •

ريتـــا : (مذعورة) ولكنك أردت ••

اتيليـو : أردت وأريد • أعطيتك عشرة آلاف لير ••• فلننته سريعاً كي أذهـب •

ريتـــا : أقـرب الميت ؟

اتيليـو : هذا لا يربكني • موافق • قلت لك اني موافق •

(يدخل اغوستينو وبيتينا على رؤوس أصابعهما ويقفان في الفسحة ليراقبا المسرح خلسة) •

ريتـــا : (بحدة) أما الآن فأنا غير موافقة •

اتيليـو : ألست موافقـــة ؟

(يتحرك اغوستينو وبتينا بقلق) •

ريتـــا : كلا • هاك العشرة آلاف لير • (تضع النقود على الطاولة) تستطيع أن تأخذها وتتركني في سلام •

اتيليـو : فهمت • لقد ظننت أول الامر أنك تستطيعين فعل ذلك ولكنك الآن وقد جاء دور التنفيذ تخافين الدنس • لقد ظننت أن من يخـاف الميت سيترك المبلغ ويهرب • وحيث انني لا أخاف ، ولكي أساعدك

هل تجاوز أزمة الضمير هذه ، لقاء عشرة الآلاف هذه ، فانني أضيف اليها قطعة أخرى ·
(يضع قطعة نقد أخرى فوق الأولى)

ريتا : لا · لا ··· لا · !

اتيليو : (بجد وقناع) أنا في الخمسين من عمري أيتها الصغيرة · فكرت جيداً قبل أن أنقر زجاج هذه الشرفة ، ولئن كنت هنا فذلك لاسباب جدية · فأنا قلق بشأن صحتي ·

ريتا : وما علاقة الصحة بهذا ؟

اتيليو : انت يافعة ولا تستطيعين فهمي · ثم ان هذا من شؤوني الخاصة ولا يمسك (بحزم) خذي : انني أضيف أيضا ثلاث قطع نقدية من ذات العشرة آلاف ـ أي أعطيك خمسين الف لير ولنحسم الامر بلا مزيد من الكلام (يضع القطع النقدية) ·

ريتا : (تحمدق الى النقود ويحدث في داخلها صراع) كيف سأقرر ··· (مشيرة الى السرير) انه هنا ···

اتيليو : أصبح في العالم الآخر ···

ريتا : ولكنه قد يكون ، وهو ميت ، ماثلا في هذا البيت أكثر مما لو انه حي ·

اتيليو : (ساخراً) لا شك في مثوله ·

ريتا : (تتظاهر بأنها مؤمنة) وهل تؤمن بخلود الروح ؟

اتيليو : (ساخراً) طبعاً ·

ريتا : امنحني اذن بعض الوقت لارفع اليه صلاة : فاذا قرر فانني لمقررة·

اتيليو : حسناً جداً ، اتجهي نحوه · هو الآن في مملكة الحق ويستطيع حساب الامور جيداً ·

ريتا : ولكن ، تنح جانبا ··· دعني وحيدة معه ، لا استطيع أن أصلي بحضورك ·

اتيليو : أجل ، طبعاً · تفاهما · سأنتظر · (يبتعد ويدير ظهره اليهما)·

ريتـــا : (تركع قرب زوجها وتضم يديها كمـا في الصلاة) أيتها الـروح الطاهرة ! ماذا أفعل ؟ أنت تعرفين كل شيء وترين كل شيء بلا شك . أنت تعرف لماذا مت وفي أيـة حال تركتني (يعلو صوتها) ويعرف ذلك أيضاً القديس اغوستينو ! (يرتجف اغوستينو وينظر الى بيتينا قلقاً فترتجف يداها تأثراً) اعطني اشارة ، تعبر عـن مشيئتك ! ساعديني ! دقيقة من الصمت تعني « لا » . ضربة على جرس بعيد أو نسمة هواء في هذه الغرفة ، ضجة غير اعتياديـة ... وسأعرف أنك قبلت تضحيتي ...

اتيليـو : (بعد حوالي عشرين ثانية) قولي له ان الخمسين الفاً قد تصبح مئة الف ! (أدهل المبلغ اغوستينو فصفق درفتي باب الشرفـة مرتين مصدراً بتلك الضجة غير الاعتيادية التي طلبتها ريتا اشارة من زوجها ثم يحتبيء في الغرفة الثانية ووراءه بيتينا . يتغلب اتيليو على الرعدة التي سببتها الضجة المفاجئة ويلتفت نحـو ريتا بازدراء ونشاط) تلقيت القرار . فلنسرع .

رودولفو : (لريتا من خلال أسنانه وقد لوى فمه) اطرديه أو أقتله .

ريتـــا : (تقترب من اتيليو مسترحمة بتودد صادق) أنت رحوم فلا تسبب لي المزيد من العذاب .. لك سيماء إنسان وقور ها أنذا أبكي حقاً (تتدحرج دمعتان عـلى خديها كن طيباً ، كن نبيلا . أرجوك أن تسامحني . خذ نقودك واذهب .

(تنشج دون افتعال ، ترخي يديها الى جانبيها ، وتقف دون حراك كما يبكي الاطفال .

(يجلس رودولفو في السرير مستنداً على قبضتي يديه وقد قـرر الاشتراك في هذا الحوار السخيف باسم حق الزوج وواجبه ، وقد رأى أن لحظة حماية زوجته واسمه قد أزفت . يظل رودولفو دقيقة كملة على هـذا الشكل دون حراك محدقاً الى اتيليو . لم يرتبك العجوز بل راح بدوره ينظر اليه بعينين لامعتين وقد صالب ذراعيه).

رودولفو : (وقد قرر اخيراً ان يتكلم) المعذرة ، أرى أن اصرارك في غير مكانه • الى أين تريد الوصول ؟ هذه المرأة البائسة تبكي مضطربة ••• ماذا تريد أكثر من ذلك ؟

أتيليو : ولكن ، أيها السيد ••• المحترم (يظهر في الفسحة أغوستينووبيتينا من جديد) أنا لا أعرف من أنت ولا أعرف ما اسمك •••

رودولفو : أنا زوج هذه المرأة • وليس ثمة أهمية معرفة اسمي •

اتيليو : أيسمح زوج لزوجته بفعل كهذا ويتظاهر بأنه ميت ثم يبعث حين يحلو له ذلك ؟

رودولفو : أنت على حق • قد اتفق معك حول هذه النقطة • ولكن لماذا لا تجهد لتفهم أن الحياة قد تقسو على أحد التعساء فتضعه أمام خيارين فاما أن يتظاهر بالموت واما أن يموت فعلا •

اتيليو : ما ذا تقول لي ! من غير الممكن أن تصل الى هذا الحد من الصراوة فتخرق قانون العقوبات •

أغوستينو : (يجد الاسطوانة ويضعها على رأسه ويظهر في الفسحة) آت •

اتيليو : (مسحورا) من هذا ؟

بيتينا : (تحاول ايقاف أغوستينو الذي يسير نحو السلم) انتظر • •

أغوستينو : دعيني يا بيتينا (يفلت من المرأة ويهبط الدرجات سريعا • يصل الى بعد خطوتين من أتيليو وخلفه بيتينا)

اتيليو : (لرودولفو) من هنا !

أغوستينو : أ أنت من الجهة ؟

اتيليو : (متفعلا) أنا ؟ ليكن في علمك ، لقد أنهيت الدراسة الجامعية واحمل شهادتي تعليم عال •
(ينزل أغوستينو الاسطوانة قانطا)

بيتينا : (لاتيليو) اصغ الي أيها الانسان • نحن نعيش في هذا البيت بالايجار • نعيش هنا منذ الحرب • فاذا لم ندفع بدل الايجار

في الوقت المحدد فسوف يكون بامكان المالك أن يرمينا الى الشارع.

رودولفو : وهو سيفعل ذلك • سيقيم دعوى وستصدر المحكمة حكمافيصالحه.

ريتــــا : اما أن ندفع ما علينا خلال عشرة أيـام واما أن نخلي البيت • لا مجال للتسويف ولا حق في الاستئناف •

بيتينـــا : نحن ملزمون بدفع ثلاثمائة الف لير • هل تفهم ؟

ريتــــا : (تأخذ لائحة من درج الصوان وتريها لاتيليو) اليك الاشعـــار بالدفع •

بيتينـــا : كنا دائما دقيقين في دفع بدل الايجار شهريا ، ولكن مع هـــذا الغلاء •••

أغوستينو : (يهتاج فجأة) أحس أنني مذنب بحق هذين الشابين الى حد •• أكاد معه أن أقتل نفسي •

رودولفو : ولكن لماذا تتألم يادون أغوستينو ؟ نحن نعرف أن النقود القليلة التي نعطيك اياها كل شهر تنفق يوميا على التدفئة وعـلى صحن حساء •

بيتينـــا : ولكي نتمكن من دفع الايجار أجرنا منذ السنة الماضية هذه الغرفة لاثنين •

رودولفو : جئت الى نابولي لاتعلم فيمدرسة شغيلة المطاعم كي اتقن اختصاصي ثم لاتقدم الى مسابقة من أجل مكان في مطعم في قطار • تقدمت الى المسابقة وكنت من بين الاوائل ، ولكني ما زلت أنتظر العمل

ريتــــا : (تمسد بلطف شعر رودولفو) يعمل أحيانا أي عمل كان لنمسك الامر من طرفيه •

رودولفو : أعمل كخادم مطعم احتياطي أيام العطل ، يستدعونني لانوب عن أحد ما في الاعراس •• أغسل الصحون ••• ثم يتحدثون عـــن الضراوة وعن قانون العقوبات دون أن يعرفوا الامور ••

أغوستينو : وماذا أحكي لك ! كنت حارسا في مسرح « أبولو » طوال سبـــع

وثلاثين سنة • انه مسرح صغير فعلا ، ولكنه مسرح مع ذلـك • هدموه ليبنوا فندقا ، أعطوني بعض التعويض ورموني الى الشارع ماذا نلت مقابل سبع وثلاثين سنة ؟ مسدس من طراز بكرة كان يفيدني ليلا وقد بعته قبل عام الى بانيتسا فرانتشيز واسطوانة تركها أحد المشعوذين بين ريتته • خلفت حربين ورائي ، وعايشت انخفاض سعر العملة وغلاء المعيشة • تكتب الى المسؤولين ، وأنت عاطل عن العمل ، رسائل وترفع اليهم استرحامات فلا يجيبونك أنت انسان صالح يبدو أنك غير محتاج ، بل على العكس من ذلك أنت سيد شهم ومن أرومة مجيدة ••• ولو كنت مكانك ، أمام هذا المشهد المحزن لقلت : « ولماذا أزيد حالة هؤلاء التعساء سوءا ؟ لقد قطعت مرحلة طويلة جدا ، ومعي مئات الوف الليرات ويدونها ـ وكان الامر سواء ـ خذوا النقود التي وضعتها على الطاولـة واتمنى لكم وقتا طيبا • اني ذاهب • »

أتيليـو : كنت أريد أن أعمل كذلك ولكنني لا أستطيع • حالي أدعى الى القنوط من حالكم • أنـا مترمل منذ عشرين شهراً • بعد ثلاثين عاما من الزواج ، أنجبت خلالها المرحومة سبعة أولاد هم الان أحياء أصحاء • لقد حبلت بعد انقطاع عن الحمل دام اثني عشر عاما ، وقد أضعف ذلك جهازها فماتت البائسة تحت المبضع وكانت حبلى في الشهر الخامس أثناء عملية ولادة قبل الاوان •

بيتينـا : يا للمسكينة !

أتيليـو : اقمت سنة في حداد كامل ، ثم ستة أشهر في نصف حداد ، مراعيا جميع الشرائع وكل النواحي التي يحتمها الواجب المقدس على رجل فقد زوجته • وقد استدعيت الخياط منذ شهرين وجـددت خزانة ملابسي ، اذ أصبح من حقي أن أنهي الحداد وأصبح في حل من الحدود • أ أدع نقودي وأمضي ؟ ماذا تكون المئة الف لير تجاه حياتي ؟ ان الطبيب الذي يعتني بي ويتفحص صحتي يوميا ، يقول

لي دائما ، اذا لم تعد الى سيرتك الاولى الطبيعية في الحياة فسوف تنتقل الى العالم الاخر · لم أعرف في حياتي سوى زوجتي · واستطيع ان أقول لكم ان هذه (يشير الى ريتا) هي الوحيدة التي أثارت اعجابي ، ورغبت بها حقا بعد المرحومة ·

رودولفو : (يشب) ولكن ، ماذا تريد أن تقول يا عزيزي ؟

اتيليو : أنت تعرف ماذا أريد أن أقول · وزوجتك تعرف فلقد أمسكتني من هذه الشرفة وكانت تساوم رجلا آخر قبلي على الثمن ·

رودولفو : ولكن ذلك كان مجرد مشهد تمثيلي كما قلنا لك !

بيتينا : أوضحنا لك كل شيء ·

اتيليو : ولكنها تعرت ! وأنت تعرف أكثر كيف تبدو زوجتك حين تتعرى · أيجب أن أصاب بأزمة عقلية من أجل مشهد تمثيلي جميل دبرتموه؟ لا أريد أن أموت · لي سبعة أولاد وكلهم متزوجون · ولي عشرون حفيدا ! وحين تجتمع العائلة ـ وهي جمهرة ـ أفرح ! حياتي بين أيديكم : لا تقتلوني · أضيف الى المئة الف لير مئتي الف لير أخرى· وهكذا سوف تسددون ما عليكم وتبقون في المنزل وسأبقى في كنف أسرتي ·

أغوستينو : (ذاهلا) ثلاثمئة الف لير ··· (يسأل بيتينا بعينيه) ·

بيتينا : (غير مصدقة) ثلاثمئة الف لير ·· تنظر بدورها الى أغوستينو)

اتيليو : مئة الف عدا و « شيك » بمئتي الف أحرره وأكتب عليه « يصرف لحامله » فيستطيع أي منكم أن يذهب ويقبض المبلغ (يوقع الشيك الذي أخرجه من حقيبة نقوده ويضعه فوق النقود)

(حل صمت ثقيل · أغوستينو وبيتينا مشدوهان وقد ظهرت دهشتهما بجلاء من هذا المبلغ ، تعض ريتا قفا يدها اليسرى الى حد الادماء وتنظر الى زوجها جاهدة أن تحزر كيف سيتصرف) ·

رودولفو : (وقد أدرك المعنى الحقيقي لهذا الصمت ، وعلى الاخص ، صمت

أغوستينو وبيتينا ، يلتفت ويقول من بين أسنانه ببرود) أي ؟ يا دون أغوستينو ؟٠٠ أي ؟ يا دونا بيتينا ؟ قولا شيئاً !

أغوستينو : (دون أن يحيد نظره عن النقود) ماذا نستطيع أن نقول ٠٠٠

بيتينا : (متمسة صدرها بيدها ثم متلمسة قفازهـا) الامر مفزع يجب عليك ٠٠٠ طبعـ ٠٠٠

رودولفو : (يقفز كالملسوع ويتمشى عبر الغرفة وقد أصيب بنوبة عصابية) ألستم مجانين جميعاً ؟ ما الذي يجب أن أقرره ؟ مـاذا يجب أن أفعل ؟ أ أمسك زوجتي من يدها وأرسلها لتنام مع هذا ؟ أيهـا الملعونون القذرون المقرفون ! أراك ساكتا يا دون أغوستينو ! والدونا بيتينا صامتة ! طبعا ! لان الدون أغوستينو يعرف أن عدد خمسة عشر مشكوك فيه قليلا ولان الدونا بيتينا تعرف جيداً أن من الممكن أن تبدأ بواحد ثم عليكم الثمانون بسكون ماذا تنتظرون لترموا هذا الى الحرج ؟ ان لم ترموه فسأرميه مهشم الرأس ! (يدفع اثنان أو ثلاثة من سكن الشارع باب الشرفة ومعهم بعض المارة ويوصوصون الى الغرفة) ٠

امرأة : ماذا يحدث يا دونا بيتينا ؟

رجـل : يا دون أغوستينو

بيتينـا : لا شيء لا شيء٠٠لا يحدث شيء ٠ اغلق باب الشرفة ياأغوستينو٠

رودولفو : لا ، لا تغلقه ٠ بل على العكس افتحه ٠ يجب أن يعرف الجميع ما يحدث هنا في الداخل ٠ (يركض الى المدخل ويفتح الباب على مصراعيه) ها هو ذا المدخل حرا ؟ هذه الامر لا يقرر خلف أبواب مغلقة ٠ من السهل أن تلطخ امرأة طاهرة وأن تسود صفحة زوج فيما لو سرت شائعة (نحو الشرفة) تعالوا ، ادخلوا لتروا هذا العجوز المجنون الذي يريد أن يضاجع زوجتي ٠

أتيليـو : لم أدخل عبر الشرفة وانما عبر الباب الذي فتحته لي زوجتك بعد أن ذكرت لي المبلغ الذي تريده كي تدعني أدخل ٠ ولقد رضتفي

عرض أمرك أمام الناس وهذا أسوأ بالنسبة لك أما بالنسبة لي فالامر سواء (تجمعت جماعة صغيرة أخرى من الجيران في الفسحة وعند المدخل وزاد عدد الذين على الشرفة) لقد قلت الحقيقة ، فقط ، حين قلت « تعالوا وانظروا الى هذا العجوز المجنون » هذا صحيح جدا : لقد جننت ! جننت فعلا .

الحشـد : (على الشرفة وعند المدخل يصيحون ويضحكون بفظاظـة) جـن العجوز .. جن العجوز !

أتيليـو : لكل مسرة ثمنها . وصل المبلغ الذي عرضته الى ثلاثمئة الف لير وأنا مستعد الان لان أدفع نصف مليون .

(كف الذين على الشرفة وعند المدخل عن الضحك ، ارتبك دور الثياب الرثة لهذا الرقم ، غير المتناسب مع الغاية التي يدفع من أجلها ، ثم هيمنت شجاعة العجوز واللهجة الواثقة التي قدم بها تحديه ، على الحاضرين ، ثم سرى الهمس عبر الصمت المخيم على الغرفة من فم الى فم ، من المدخل حتى الشرفة . « نصف مليون ، نصف مليون » .. أشعل هذا الهمس المتصاعد قوة خيال العقول المتوفرة وأرغمها على أن تلزم جانب هذا الذي أصبح بالنسبة لهم بطلا حقيقيا لهذه الحادثة ، فجأة وتلقائيا انفجر التصفيق على شرف أتيليو . أعقب ذلك صمت مزعج وقد حـدق الجميع الى رودولفو . تعالى ، بعد فترة صمت وجيزة ، صوت أبح عن الشرفة « أتريدون الدفع مقدما ! » ثم تلاه صوت فتى أكثر رنينا « الدفع سلفا » ثم اختلطت الصيحات ممن على الشرفة وعند المدخل وكلها من نوع الصيحتين الاوليين .

أتيليـو : اسمي اتيليو ساموبلي . وأنا انسان شريف . اليكم شيكاً آخـر بمئتي الف لير : أوقعه وأضعه قرب الثلاثمائة الف التي على الطاولة (تصفيق جديد لاتيليو يستمر حتى يكمل توقيع « الشيك » ويضعه فوق الاول) اعلموني حين تقررون .

(يخلع سترته ، يضعها فوق كرسي ويسرع نحو السرير ثم يشد الستارة الى الوسط حتى تحجبه من عيون الجمهور ويسمع صوت ارتمائه على السرير) ٠

(تصفيق جديد بين الحشد وصرخات وصخب) ٠

رودولفو : (وقد هدأ الضجيج يحس بالاهتمام الغريب الذي يبديه الجميع بما سوف يفعله ، يبدو شاحباً مثل ميت ، مكسر القلب منسحقاً من التصرفات الفجة ، يبدأ الكلام بصوت خافت) لقد انتصر ٠ وأي نصر تريد أيها الاحمق ؟
انتصر بالابواق والاسهم النارية ٠٠٠ وحين ينتصر تماماً ستعلق لوحة رخامية تذكارية على هذا البيت ٠ وستقام طقوس سوية وخطب تذكارية وأكاليل مغار ٠ الخطبة الاولى سيلقيها دون اغوستينو والاسطوانة على رأسه ٠٠ حين يراك أهل الشارع والاسطوانة على رأسك وأوراق الخطبة في يدك ٠٠٠ لانك سترغمهم على كتابة خطبة لك ٠٠٠ ففي مناسبة كهذه لا يمكن أن تتكلم كما يخطر لك ٠٠ فان سكان الشارع ، الذين يرهبون الاسطوانة ، سيصفقون لك بشدة أكبر مما صفقوا للعجوز المجنون ٠٠ يمكنك أن تضعها الآن ٠٠٠

(يتناول الاسطوانة ويضعها على رأس اغوستينو الذي يقف دون حراك) خذ امرأتي من يدها وقدها اليه ٠٠٠
(يتناول يد ريتا اليسرى ويضعها في يد اغوستينو اليمنى)
سأدخن خلال ذلك سيجارة (يبتعد ويجلس وقد أدار ظهره للسرير) ٠
(تترك ريتا يد اغوستينو وتتجه نحو رودولفو) ٠

أغوستينو : (يشد الستارة بين الحين والحين ليبطر الى السرير ثم يقول بخوف) العجوز لا يتحرك يا بيتينا ٠٠ حتى انه لا يتنفس ٠٠٠ أمر رهيب!

ارتوريو : مــاذا جرى ؟

بيتينـا : يقول أن العجوز لا يتحرك ٠

أغوستينو : (يزداد اضطراباً . يزيح الستارة حتى آخرها ويشير الى بيتنيا ورودولفو وريتا الذين يقتربون .
جسد اتيليو ممدد على ظهره في السرير دون حراك) لا يتحرك (يدق برفق على لوح السرير) أيها السيد ! يا سيد ! (للآخرين)لايسمع.

بيتينـا : أليس ميتاً ؟

أغوستينو : أتظـن أن هذا غير ممكن ؟

صوت من المدخل : مـاذا حـدث ؟

أغوستينو : المجور لا يتحرك .
(يتناقل الحشد الخبر من المدخل الى الشرفة) .

الحشـد : مات المجور .. لا يتحرك .. لا يتنفس ..

أغوستينو : ولكن يجب أن تتحرك أو ستداس بشدة .

الحشـد : مات المجور .. مات المجوز

بيتينـا : (للحشد) هس ــ س ! اسكتوا !
(يصمت الجميع .

أغوستينو : (يدق بيده بمزيد من القوة على لوح السرير) أيها السيد ! أيها السيد ! (يتمتم بشيء غير مفهوم . يتثاءب اتيليو ويتقلب على الجانب الثاني ليصبح وضع جسمه مريحاً ويروح يشخر) نام !

بيتينـا : (ملتفتة نحو الناس الذين عند المدخل) نائم ..

الحشـد : (يتناقلون الخبر) انه نائم .. انه نائم .

(اغوستينو ، وقد خطرت له فكرة مفاجئة ، يشير لرودولفو وريتا وبيتينا ويستشيرهم ثم يذهب الى وسط الغرفة ويتبادل الرأي مع الحشد عند المدخل وعلى الشرفة ! يحصل على موافقـة اجماعية . يعتلي كرسيا ويقدم عقربي الساعة الجدارية ساعتين الى الامـام ويدير عقربي ساعة الجيب التي في جيب سترة ايتيلو ثم يتجه تحت نظرات الجميع الفضولية نحو السرير ويتناول الشمعة ويطلقهـا ويقصها بسكين من الاسـفل ويعيدها الى مكـانها على الشمعـدان

ويشملها ثانية . ثم يمسك ريتا من يدها ويقودها الى قرب السرير، يمتح معطفها ويشير لها أن تمثل ، ثم يتوجه هو وبيتيا وروودولفو نحو الناس مشيرين بأيديهم صامتين راجين اياهم أن يختبئوا ، وألا يثيروا أي ضجة . ومن ثم يصعد الى الفسحة . يغلق باب المسكن ويظل الناس منتظرين خارجاً . يختبيء الذيـن في الفسحة سريعاً يظهر على الشرفة ميكليلي .

ميكيلي : وعــام البطاطا !

(يشير له الجميع بحوف كي يصمت . يستيقظ اتيليو . تقف ريتا دون حراك وكما لو أن كل شيء قـد انتهى . يتمطى اتيليـو . ويتثاوب ، ثـم يتطلع . يبتسم لريتا تمسأ اذ يراها . يتنـاول يدها ويكلمهـا بود .

أتيليـو : هل استيقظت ؟ أنمت طويلا ؟ (يجبرها على الجلوس في السريـر ويدير وجهها لينظر الى عينيها) كنت رائعة . عرفت أنك كذلك مذ رأيتك ! (ريتا لا تفهم مطلقا ما يحدث ولكنها تبتسم مطمئنة الى النغمة الودود في صوت اتيليو الذي يضحك بدوره) ها،ها،ها! هل خفت من أثر الجرح الذي في عنقي من الخلف ؟ انه من جـراء عملية جراحية أجريت لي في شبابي ... كان ثمة دمل ... رأيتك تسحبين يدك في تقزز ... آسف ! .. وكذلك كانت المرحومة في البداية .. ثم اعتادت ..

ريتــا : (وقــد فهمت أن اتيليو يتحـدث عما رآه في الحلـم ، تتنهـد بارتيـاح) أجل .

أتيليـو : أتمنحينني متعة ؟

ريتــا : طبعــاً .

اتيليـو : أريد كأساً من الماء .. ظمآن ! فمي مر .. هل تعرفين أن ذلـك يحدث لي دائماً ؟ دائماً هكذا ...

ريتـــا : حالا ... (تتناول زجاجة وكاسا وتصب له الماء) .

أتيليو : (ينظر اليها مفتونا وبشيء من الاحتراز) أي امرأة أنت ! لقد ذكرتني أيتها الصغيرة بالمرحومة فعلا .

ريتـــا : (تقدم له الكأس) تفضل !

أتيليـو : (بعد أن يشرب) آح ! أي عطش !

ريتـــا : أتريد كأساً من النبيذ مع بيضتين مخفوقتين ؟ سترسل دون اغوستينو ليحضره .

أتيليـو : كلا ، لماذا ؟ أشعر بهمة ، لكأنني قلعة .. (ينهض) ولكن ، كم مضى من الوقت وأنا نائم ؟

ريتـــا : عشرون دقيقة أو ربع ساعة ...

أتيليو : (ينظر الى الساعة الجدارية) كم الساعة ؟ أو ، هو ، هو ! الثالثة والنصف ! عليّ أن أسرع .

ريتـــا : استرح قليــــلا .

أتيليـو : لا أشعر بالتعب ، فلماذا أرتاح .. قلت لك ان همتي كالقلعة . (يرتدي صديريه وسترته) كان الطبيب على صواب حين قال أنه يجب عليّ أن أعود الى سيرتي الاولى في الحياة (يضع قبعته على رأسه ، يقترب من ريتا ، ويقدم لها بطاقة زيارة) اليك عنواني ورقم هاتفي . اتصلي بي حين تشائين فأنا أعيش وحيدا ... أنت تعرفين أنني لن أستطيع المجيء الى هنا ثانية .

ريتـــا : أجل ، أنت على صواب (تدس البطاقة في صدارها) .

أتيليو : امنحيني قبلة صغيرة . (ترفع ريتا وجهها وتقبله ، يشد اتيليو رأسها الى صدره) هل ستتصلين بي هاتفياً ؟

ريتـــا : سأتصل بـك .

أتيليـو : (يبتعد ، يصل الى باب الخروج ، يلتفت ويرسل لها قبلة) أتمنى لك كل خير أيتها الصغيرة ! (ترسل ريتا له قبلة ، يخرج اتيليـو ويغلق الباب ، يستقبله الناس في الخارج بالهتاف) أبقيتم هنا ؟ (يتبعه قسم كبير من الحشد مصفقاً له . يبقى القسم الآخر يراقب الاربعة الباقين ، تنزل بيتينا ومعهـا وعـاء البطاطا ، يساعدهـا الآخرون في اعداد المائدة ويجلس الاربعة) .

بيتينـا : (تتكلم باستعلاء ووجهها مصعر الى الاعلى) ميكيلي !

(يقفز ميكيلي على الشرفة ويهبط مطيعاً راغباً في تلقي طلباتها).

ميكيلي : مـــري !

بيتينــا : (تعطيه ورقة من ذات عشرة آلاف) اذهب الى المطعم واحضر أربعة صحون من اللحم المقلي مع توابعهـا وزجاجة من خمـر كايستي « روفينـو » .

ميكيلي : فوراً (يأخذ النقود ويركض) .

أغوستينو : اجلب سيجارين توسكانيين .

ميكيلي : (من الخارج) حسنا !

بيتينـا : (تصب البطاطا المشوية للاربعـة ، تستدير بفرح نحو الحشـد) أمسرورون أنتم ؟

الحشـد : شـهية جيـدة !

ريتـــا : (بعد أن ذهب الجميع وبعد أن تناولت بضع لقمات) أمسـرور أنت يا دون اغوستينو ؟ سنعطي ثلاثمئة ألف لمالك الدار وستظل البقية لنا . من سبق له أن رأى ، دفعة واحدة ، مئتي ألف وستة وسبعين ألفاً ؟ سأصنع فستانا جديداً وسأشتري زوجي أحذيـة . (لرودولفو) وسنذهب الى فلورنسا لستة أو سبعة أيام .

أغوستينو . تستطيعان ، فعلا ، التصرف بستة وسبعين ألفا ومئة .

رودولفو : لا يادون اغوستينو ، بل بمئتين وستة وسبعين ألفاً ومئة .

اغوستينو : (بعداء) مساكل اولا وبعد ذلك تسوي الحساب ٠

ريتـــا : ولماذا بعد ذلك ؟ فتنسوه لأن ٠

بيتينــا : قال اغوستينو ان لستة والسبعين الفا ومئة هي من عملك فيالايام السابقة ٠ وهي لك ٠

ريتـــا : وما الذي تقوليه يا دونا بيتينا ؟ ألم ندفع بدل ايجار الغرفـة بانتظام منذ اليوم الاول الذي دخلنا فيه الى بيتكم ؟ ولئن وصلنا الى الحد الذي نهدد فيه بالرمي خارجاً فذلك لان دون اغوستينو لم يسدد ما عليه ٠

بيتينــا : لم يسدده ، اذ يتوجب أن يأكل ٠

أغوستينو : كنا نحن الاربعة في الحالة نفسها ٠

ريتـــا : وهل علينا أن ندفع بدل الايجار مرتين ؟

اغوستينو : النقود هناك ٠ أرى من المناسب أن ندفع ما يتوجب علينا ثـــم نستمر في العيش كما عشنا حتى الآن ٠ أما اذا بدأنا بالفساتــين والاحــذية ٠٠

رودولفو : هذا ما قالته ريتا يا دون اغوستينو ٠

ريتـــا : (باستهزاء) وبعد هذا سأنتعل حذائي الممزق وأرتدي فساتيني المقــرفة ٠٠٠

اغوستينو : لك كامل الحق في ان تحلمي بالاشياء التي لا تطال لانك شابةولانك جميلة ٠ وكما يقال ٠٠٠ فأنت معذورة اذا اهتممت بمظهـرك ، ولكنك لا تستطيعين الادعاء بأن كل المبلغ الذي في الداخل لـك ٠ فلو لم أقدم السلفة ، ولو لم أقص الشمعة ٠٠٠

ريتـــا : أو لم يترك العجوز نصف المليون لي لانك قصصت الشمعة ؟ كان سيصل الى المليون وحتى الى المليونين لو أردت ذلك ٠

اغوستينو : وما علاقة هذا بذلك ؟ انه لمجنون ٠

ريتــا : العالم مليء بالمجانين . ولو أن فتاة جميلة مثلي أعلنت في الصحف « أبحث عن مجانين من أصحاب الملايين المجانين » لتوافدوا بالمئات.

بيتينـا : فلنأكل أولا ثم نتكلم عن الحساب .

ريتــا : (تغادر المائدة) لم أعد أشعر بحاجة الى الطعام .

رودولفو : ريتــا ..

ريتــا : اسكت ، فأنت أيضاً ترهقني ...

رودولفو : يـا حلوتـــي ...

ريتــا : أبدأت تبعبق من جديد ! « يا حلوتي » (ترتدي معطفها وتنتعل حذاءها) ترك العجوز كامل المبلغ لكم .

رودولفو : أتمزحين يا ريتـا ؟

ريتــا : قلت لك اسكت ! دفع العجوز ثمنا لما لم ينله وليس لان هذا قص الشمعة ، وذلك لانه أغفى ، وهذا يعني ..

رودولفو : يعنـــي ؟

ريتــا : يعني ... لا شيء ! يعني أنك ستدخن سيجارة وأنت جالس هناك ثم سيدخل نصف المليون البيت ويطلبون تسوية الحساب « هذا لي وذلك لك » استمروا في فعل ما نفعله الآن .. قفي أنت يادونـا بيتينا على الشرفة مع الماء والصابون والبودرة وسنرى ان كانت الملايين سوف تأتي (تسير نحو الباب) .

رودولفو : ريتـــا ..

ريتــا : (تدفعه وتتابع المسير) ابق هنا مع هذين النتنين لتتظاهر بأنك ميت ، فهذا يناسبك كثيراً .

اغوستينو : (يضع الاسطوانة على رأسه ويقف أمام البــاب) قفي يا ريتـا !

ريتــا : (تزيحه عــن الباب) لا تخفني يا دون اغوستينو ... أنا غير

متقفة ، ولكنني عرفت أن العجوز هو الذي يحمل الاسطوانة الحقيقية .

(تخرج ثم تصعد وتجتاز الشارع الى الجهة اليمنى) .

رودولفو : يا دون اغوستينو .. يا دونا بيتينا ... لقد ذهبت ...

اغوستينو : هيا اركض ، أوقفها (يساعده على ارتداء بذلة عامل المطعم « الجارسون » .

بيتينا : (تركض الى الشرفة) ريتا ، ريتا !

رودولفو : (يصعد الدرجات ويذهب الى الشرفة ، يفطن الى أنه حافي القدمين) الحذاء .

بيتينا : (لاغوستينو الذي بقي في الاسفل) الحذاء .

اغوستينو : (يتناول فردة حذاء ويقذفها الى الاعلى) خذها .

رودولفو : (ناظراً الى الاتجاه الذي اختفت فيه ريتا) ريتا ! ريتا !

□■□

إنتفاضة نيسان عام ١٨٧٦

وأثرها في الأدب

بقلم : اميل جيورجييف
ترجمة : حسين راجي

لما كانت انتفاضة نيسان عام ١٨٧٦ من أضخم الأحداث في حياة الشعب البلغاري فقد انعكست آثارها العظيمة في صفحات كثيرة من أدب هذا الشعب ، كما كتب عنها أدباء وشعراء أجانب •

كان ذلك الأثر على شكل ملاحم وقصائد وقصص ومذكرات ودراسات وملاحظات ومسرحيات استلهمت روح تلك الانتفاضة الجبارة، وصورت أبطالها الميامين الذين ضربوا أمثلة خارقة في الفداء ونكران الذات •

واذا كان الشاعر الخالد « خريستو بوتيف » قد عبر بصورة لا مثيل لها عن الروح الثورية البلغارية ، فان الأديب والشاعر الكبير « ايفان فازوف » قد غنّى في دواوينه المبكرة : « آلام بلغاريا » و « ملحمة للمنسيين »وغيرها انتفاضة شعبه ، ممجداً لهب الحرية الذي كان يتّقد في نفوس كل الاشخاص الذين اشتركوا في تلك الانتفاضة ، ولاقوا مصائرهم المختلفة من أجل تحرير وطنهم ، وقد عكس في شعره روح التمرد ضد العبودية ، كما صوّر النضال العظيم الذي خاضه الشعب البلغاري في سبيل تحرره من النير العثماني :

•• وينهمر وابل من الرصاص على الصخور والاشجار ••
ويتقدم رجالنا البواسل مضرجين بدمائهم ••
كل واحد منهم يرغب في ان يكون في الطليعة ••
معرّضاً صدره لنيران الموت ••
كي يرى جندياً آخر من الأعداء يسقط !!

أما الكاتب الفذ « زاخاري ستويانوف » فقد صور في مؤلفه « ملاحظات من الانتفاضات البلغارية » أسمى مظاهر البطولة التي تميزت بها تلك الانتفاضات ، لا سيما انتفاضة نيسان المجيدة •

وأبدع « ايفان فازوف » روايته الخالدة « تحت النير » التي تحدث فيها عن تلك المرحلة الحالكة من حياة الشعب البلغاري ، مرحلة العبودية والنضال من أجل التحرر ، فأصبح هذا الكتاب جزءاً لا يتجزأ من تاريخ وأدب ولغة الانسان البلغاري، وقد ربّى ، ولا يزال يربي الاجيال البلغارية على حب الوطن ، والتضحية من أجل الشعب •

أما « بينتشو سلافييكوف » فقد أبدع ملحمته « الأغنية الدموية » على غرار الياذة هوميروس ، تحت تأثير ظروف الانتفاضة ، وما أحاط بها من مدّ ثوري عظيم شمل البلاد بأسرها ، فجاءت أفكاره العميقة، وصوره النابضة بالحياة ، تعبيراً صادقاً عن ذلك الحدث الضخم في حياة وتاريخ الشعب البلغاري •

لقد استطاع البلغار الذين نهضوا من ليل القرون الجائرة مضرّجين بدمائهم ، متعطشين لحريتهم ، مستبسلين من أجلها ، أن يلفتوا اليهم أنظار العالم ، لا سيما الاوربي منه ، وأن يحوزوا على تقديره واعجابه ، وقد هب عدد كبير من الكتاب والشعراء الاحرار من مختلف الشعوب لينتصروا لقضية الحرية في بلغاريا ، فكتب كل من : ايفان سيرغييفتش تورغينيف ، وفودور ميخائيلوفتش دوستويفسكي ، وياكوف بيتروفيتش بولونسكي ، وسفاتوبلوك تشيخ ، واليشكاكرا ستوخورسكا ، وأنطون اشكيرتس ، وزيغموند ميلكوفسكي •• بالاضافة الى « فيكتور هوغو »

و « أوسكار وايلد » ·· كتب كل هؤلاء الادباء والشعراء كثيراً من الصفحات والقصائد التي عبروا فيها عن عواطفهم تجاه كفاح الشعب البلغاري ·

ولا بد لنا ، ونحن نعالج انعكاسات انتفاضة نيسان في المجال الأدبي من أن نلاحظ ثلاث مراحل هي :

١ ـ مرحلة الآثار الأدبية التي كتبت أثناء انتفاضة نيسان وبعدها مباشرة·
٢ ـ مرحلة الثلاثين سنة التي تلت الانتفاضة ، والتي كان فيها الأدباء لا يزالون يقبسون جمرها لهبا لكتاباتهم ·
٣ ـ المرحلة المعاصرة ·· حيث يعود كثير من الكتاب والشعراء الى سنوات الانتفاضة ليكتبوا عنها ·

في المرحلة الاولى كان الكتاب والشعراء يعتمدون في ابداعاتهم على معايشتهم للانتفاضة ذاتها وقد مثلت معظم كتاباتهم نداءات تمجد الصمود والتضحية ، كما أحاطت الثوار بهالة من التقديس والاحترام ، وألهبت حماس الشعب ، ورفعت معنويات المحاربين ، ولا بد لنا في هذا المجال من الاشارة الى بعض قصائد « ايفان فازوف » التي اشتملت عليها دواوينه الاولى مثل : « ثوار باناغوريشتا » ، « الموت او الحرية » ، « قيثارتي » ·· هذه القصائد التي كانت تنضح بمشاعر الاعتزاز التي استلهمها الشاعر من انتفاضة نيسان المجيدة ·· وقد تابع ايفان فازوف نضاله القومي ، من خلال أدبه ، حتى بعد انتهاء الانتفاضة ، إذ كان يشن حملات رائعة على أعداء الشعوب في كل مكان ، معبرا عن ايمانه الذي لا يتزعزع بحق الانسان في أن يعيش سعيداً ، وينعم بالحرية ·

كان « ايفان فازوف » في ديوانه « آلام بلغاريا » لا يزال شاعراً شاباً ، لم يستطع صوته أن يعم القارة الاوربية ، غير أن أصوات عدد من الكتاب والشعراء الاوربيين الذين تحمسوا للقضية البلغارية ما لبثت أن رافقت ذلك الصوت ، وساعدته على بلوغ اسماع القارة التي بدأت تنصت الى صدقه وعمقه ومأسويته ·

وكان الكتاب والشعراء السلافيون في طليعة هؤلاء الكتاب والشعراء الاجانب

الذين شاركوا الشعب البلغاري آلامه وآماله ، اذ كانوا يتابعون أخبار الانتفاضة البلغارية باهتمام شديد ، وقد انعكس ذلك في أدبهم الذي عبروا فيه عن اخوّتهم الحقيقية للشعب البلغاري ، واخلاصهم للحقيقة ، وانتصارهم للحرية ، واعجابهم بالثائرين البلغار ، وتقديرهم البالغ لبطولة وصمود شعب صغير أمام جيش ضخم من الغزاة ، تسانده جهات استعمارية شريرة •

وقد عبر كل من « تورغينيف » و « دوستويفسكي » و « بولونسكي » في كثير من الصفحات المشرقة ، والقصائد الرائعة ، عن تلك المشاعر الاخوية التي يكنها الشعب الروسي للشعب البلغاري • وظهر (البلغاري) بطلاً لرواية كتبها « تورغينيف » قبل الانتفاضة باكثر من عشر سنوات ، فكانت تلك البادرة رمز اهتمام عظيم بالوطنيين البلغار في ذلك العصر •

وعندما نشبت انتفاضة نيسان عام ١٨٧٦ ، حفزت أخبار المعارك في « باناغوريشته » و « كليسورا » و « بيروشتينا » الأديب الكبير ـ تورغينيف ـ لكي يعود الى ريشته من جديد ، فيكتب قصيدة رائعة عن « لعبة الكرات في قصر وندسور » يهاجم فيها الاستعمار الانكليزي الذي كان يساعد العثمانيين على ارتكاب جرائمهم في بلغاريا ، وقد تحولت تلك القصيدة الى سيف في يد الأحرار ، اذ صور فيها الشاعر الكبير ملكة بريطانيا في قصرها ـ قصر وندسور ـ تلعب لعبة الكرات الصغيرة التي تتحول في القصيدة الى رؤوس بشرية لشيوخ وشباب ونساء وأطفال •• تسيل منها الدماء •• انها رؤوس الضحايا البلغار !!•• لكن الملكة لا تهتم بكل ذلك •• فالقضية بالنسبة لها مجرد لعبة للتسلية •• غير أن الدماء الغزيرة لا تلبث أن تملأ القصر •• فيجن جنون الملكة •• وتصدر أوامرها لكل أنهار الامبراطورية لتغسل تلك الدماء •• لكن الانهار تجيبها قائلة • كلا ، يا صاحبة الجلالة ، ليس باستطاعة كل مياهنا أن تزيل آثار هذه الدماء البريئة •

هذه القصيدة الرائعة التي عرّى فيها تورغينيف موقف الاستعمار الانكليزي من المأساة البلغارية هي احدى قصائد كثيرة كتبها الشعراء الروس لايقاظ ضمير

عصرهم ، ولفت انتباه الناس في أوربا الى ما كان يجري في بلغاريا من سفك للدماء البريئة ، وتدمير للحياة الانسانية ٠

أما « فيودور ميخائيلوفيتش دوستوييفسكي » فقد عبر في أكثر من موضع في ادبه عن تقديره العميق لانتفاضة نيسان ، كما هاجم صمت أوربا تجاه ما يجري في بلغاريا ، وفضح العلاقة بين الجلادين العثمانيين والاستعمار الانكليزي ، وكتب سلسلة من المقالات التي جمعها في كتابه « مذكرات الكاتب » ـ من نيسان ١٨٧٦ الى تموز ١٨٧٧ ـ وكانت (الجدة البلغارية) التي قتل الاعدام زوجها وأولادها وأحفادها احدى شخصيات تلك المذكرات ٠٠ فقد شاهدت تلك الانسانة المسكينة مصرع زوجها ، واغتصاب بناتها ، وبقر بطون أحفادها ، وحرق بيتها ٠٠ ولم تقو على احتمال كل ذلك ٠٠ وانهارت ٠٠ وفقدت عقلها ٠

كان « دوستوييفسكي » يدرك تماماً طبيعة الحلف المقدس الذي كان قائماً بين السلطان العثماني من جهة والاستعمار الانكليزي من جهة أخرى ، ذلك الحلف الموجّه ضد حرية الشعب البلغاري ، وقد كتب « دوستوييفسكي » يطلب من رئيس الوزراء البريطاني أن يدلي بتصريحاته الكاذبة أمام البرلمان الانكليزي ٠٠ « أن يقول أمام الجميع ، وفي جلسة رسمية ، ان اعدام ستين ألف بلغاري ، لم يتم على أيدي الاتراك ، بل على أيـدي اللاجئين السلافيين ، لكي يدرك العالم مدى سخف وحطة هذا الادعاء » ٠٠ كما أكد هذا الأديب الكبير أكثر من مرة على أن تحرير بلغاريا يجب أن يتم على يد روسيا ، وان روسيا هي الدولة المؤهلة لمثل ذلك العمل ، كما كان يعتقد بضرورة سعي روسيا لتوحيد جميع السلافيين حولها ، ليس من أجل استعمارهم بل من أجل التعاون وترسيخ دعائم الاخوة الانسانية ٠

ان عناوين كتاب « دوستوييفسكي » « مذكرات الكاتب » تدل دلالة قاطعة على آرائه حول القضية البلغارية ، وحول ضرورة خوض روسيا للحرب من أجل انقاذ الشعب البلغاري ، ومن تلك العناوين : « ليست الحرب دائماً عادة سيئة » ، « أما علينا أن ننتصر للدماء البريئة المهدورة ؟ » « ماهية الحرب الوقائية » ٠٠ الخ ٠

وقد أثرت أحـداث بلغاريا الرهيبة في أحـد أضخم أعمال دوستوييفسكي

الروائية : « الاخوة كاراماروف » •• ففي فصل « الانتفاضة » من هذه الرواية ، يتحدث أحد شخصياتها ، واسمه « ايفان » عن ذروة الوحشية التي تُقترف في بلغاريا ، وتجيبه « اليوشا » قائلة : « حدثني بلغاري تعرفت اليه في موسكو عما يجري في بلاده بالتفصيل ، قال ان الجيش العثماني يذبح الناس كالنعاج ، ويغتصب النساء ، ويحرق البيوت •• انهم يثقبون آذان من يلقون القبض عليهم بالمسامير ، ويربطونهم منها ، ليجري قتلهم في الصباح •• لقد حدثني عن أشياء رهيبة حقاً عما يسمى بهمجية الانسان •• قال ان جندياً عثمانياً أحب أن (يمازح) طفلاً رضيعاً ، كان في حضن أمه ، بمسدسه •• فما كان منه الا أن وضع فوهة المسدس على رأس الطفل الذي ظنه لعبة فمدّ يده ليمسكها • •فثارت ثائرة الرجل الشرس •• وضغط باصبعه على الزناد •• وأردى الرضيع وأمه قتيلين !! »

قبيل الانتفاضة بسنوات كان الشاعر لروسي « ياكوف بيتروفيتش بولونسكي » قد كتب ملحمة شعرية بعنوان « الباشا » تحدث فيها عن متنفذ عثماني غرر بفتاة بلغارية ، ودفع رجاله الى قتل أبيها الذي كان يمانع في زواج ابنته منه، وأجبر أخاها على ترك البلاد •• واللجوء الى أحد الأديرة •• حيث أصبح راهباً •

جرت أحداث هذه الملحمة قبل انتفاضة نيسان بسنوات •• وعندما نشبت الانتفاضة •• عاد الشاعر الى معالجة هذا الموضوع من جديد وكتب ملحمة ثانية بعنوان « الكفاح القديم » تحدث فيها عن عودة الاخ ــ الراهب ــ الى البلاد ، واشتراكه في الانتفاضة ضد الطغاة ، ليأخذ بثأره من قتلة أبيه ، وخاطفي أخته ، ومشرديه •

وبعد انتفاضة نيسان كتب هذا الشاعر نفسه قصيدة طويلة عنونها «هناك!» •• تحدث فيها عن فتاة روسية ، سمعت بما يجري في بلغاريا ، وقررت أن تهب لمساعدة المظلومين ، انتصاراً للحق والحرية !!

ولهذا الشاعر قصيدة أخرى بعنوان « البلغارية » تحدث فيها عن مأساة صبية بلغارية فقدت كل أقاربها في الانتفاضة ، وأسرها الاتراك ، ووضعوها في الحريم ، لتعيش حياة بائسة قاسية •• يسألها الناس عن موطنها ، فتحدثهم عن بلغاريا

لجميلة ، وعن مأساة شعبها ، وتقص عليهم كيف أحرق الجنود قريتها .. ويكمل المؤلف نفسه حديثها .. ليقرر أن مساعدة البلغار واجب انساني .. وان روسيا هي الدولة التي يجب أن تمد اليهم يد العون ، وتنقذهم من وضعهم المؤلم .

لقد كان هذا الشاعر الروسي ـ ياكوف بيتروفيتش بولونسكي ـ صديقاً مخلصاً للشعب البلغاري ، حتى انه كان يشعر بتأنيب ضميره لانه لم يذهب بنفسه ، كي ينخرط في صفوف الثوار ، ويحارب معهم .. وقد كان سعيداً جداً عندما رأى الجيوش الروسية متوجهة الى (الدانوب) في طريقها الى بلغاريا ، لتقديم مساعدتها للشعب البلغاري .

لم يقتصر اثر انتفاضة نيسان على الادباء الروس وحدهم ، بل اننا نجد عدداً كبيراً من الادباء والشعراء التشيك والسلوفاك قد أبدوا اهتمامهم بانتفاضة الشعب البلغاري ضد مستعبديه العثمانيين . فكتب الأديب السلوفاكي « بروكوب خوخولوشك » يقول : « هل بقي هنالك من لم يسمع عن بلغاريا ؟.. أو من لم يسكب دموع الحزن على هذا الشعب البطل ؟! » .. وقد هاجم « خوخولوشك » الاساليب غير الانسانية التي اتبعها العثمانيون لقهر الروح الثورية البلغارية ، كما كتب الشيء الكثير عن بطولات « الهايدوت » أي الثوار البلغار .

أما زميله الشاعر التشيكي المعروف « سفاتوبلوك تشيخ » فقد كرس العديد من قصائده الرائعة لبلغاريا ، ولانتفاضة نيسان بصورة خاصة ، وصور الدمار والآلام والحرائق والدموع وادان موقف بريطانيا في قصيدة شهيرة عنوانها « لكل مخلوق طبعه » .. تحدث فيها عن طبيعة الاستعمار الانكليزي .

وقد انعكست آلام الشعب البلغاري في قصيدة رائعة أخرى لهذا الشاعر التشيكي الكبير .. عنوانها « خنجر » .. فقد ألهب تصور الخنجر الذي يقطر دماً خيال الشاعر .. فتحدث عن أطفال ذبحوا بواسطته .. ورجال طعنوا به .. ووصفه بالغدر والضعة .. وكان « سفاتوبلوك تشيخ » يرى في انتفاضة نيسان بداية الطريق نحو الحرية والنصر .

أما الشاعرة التشيكية « ايليشكا كراسوخورسكا » فقد كتبت قصائد وملاحم عديدة جمعتها في ديوان بعنوان « نحو الجنوب السلافي » أهدته للشعب البلغاري، معبّرة بذلك عن حبها لبلغاريا ، واعجابها بنضال أبنائها ، وكانت تطلق على رجال الانتفاضة اسم « مدعي الحرية » أحياناً و « معلمي الشعوب » أحياناً أخرى ٠٠ وقد نشرت كثيراً من انتاجها الادبي المكرس لبلغاريا في الصحف التشيكية وألهبت نفوس مواطنيها لتأييد ومساعدة الشعب البلغاري ٠

ليس الكتاب والشعراء السلافيون وحدهم هم الذين تأثروا لظروف الشعب البلغاري القاسية وأيّدوا نضاله الطولي من أجل التحرير ٠ بل شاركهم في ذلك أدباء وشعراء كبار من أوربا الغربية ، كان على رأسهم الاديب الفرنسي العظيم « فيكتور هوغو » الذي عبر عن سخطه واستنكاره لما يجري في بلغاريا ، واعتبر تلك الاعمال الوحشية موجهة ليس ضد البلغار وحدهم ، بل ضد الكيان الانساني والحضارة العالمية ٠

أما « أوسكار وايلد » الذي كان في ذلك الوقت شاعراً شاباً ، فقد كتب قصيدة « سوناتا للضحايا في بلغاريا » توجه فيها الى الرب يطلب منه الرحمة بهؤلاء المعذبين

كان لكل تلك الآثار وقعها الطيب والمشجع في نفوس المناضلين البلغار ، وأثرها في الرأي العام الاوربي الذي بدأ يتحسس المشكلة ويتألم لها ٠٠ وقد ساهم كل ذلك في خلق الجو الذي نشبت فيه الحرب الروسية ـ التركية (١٨٧٧ـ١٨٧٨)٠

أما المرحلة الثانية من مراحل تأثير انتفاضة نيسان على الادب ، فقد انحصرت في مدى ثلاثين سنة أعقبت الانتفاضة ، وهي تشتمل على انتاج أدباء بلغار وسلافيين٠

كان الادباء البلغار في هذه المرحلة يعيشون في بلد محرر ، وباستطاعتهم أن يعودوا بذاكرتهم الى سنوات الانتفاضة ، ليسبروا أعماقها ، ويحللوا دوافعها وظروفها ، ويدققوا في شخصياتها ٠٠ ومن أشهر الآثار الادبية المتعلقة بهذا الموضوع التي ظهرت في هذه المرحلة « ملحمة للمنسيين » ورواية « تحت النير » لايفان فازوف ، و « ملاحظات عن الانتفاضات البلغارية لزاخاري ستويانوف » ،

وملحمة « الاغنية الدموية » لبينتشو سلافييكوف ، بالاضافة الى كتابة المؤلفين السلافيين أمثال « انتون اشكيرتز » و « سيمموند ميلكوفسكي » .

وتعتبر كل من « الاغنية الدموية » ورواية « تحت النير » و « ملاحظات على الانتفاضات البلغارية » و « ملحمة للمنسيين » من الانجازات الادبية الرائعة في مرحلة ما بعد الانتفاضة .

كيف يمكننا أن نشرح ظهور تلك الابداعات الضخمة في الأدب البلغاري في تلك السنوات بالذات ؟!

بعد أن تحرر الشعب البلغاري من النير العثماني الذي استمر خمسة قرون ، بدأ ببناء دولته ، وكان همه الوحيد هو الوصول الى مستوى الشعوب الاوروبية الاخرى التي كانت قد سبقته الى تأسيس دولها وتدعيم كياناتها ، وقد عمل هذا الشعب الصغير والطموح كل ما في وسعه من أجل أن يثبت للعالم انه جدير بالاستقلال والحرية .

وقد كان موضوع انتفاضة نيسان على رأس تلك المواضيع التي تناولها الكتاب والشعراء البلغار ليلهبوا بها حماس الشعب ، فيندفع في البناء والعطاء . فكأنهم كانوا بحديثهم عن تلك الانتفاضة يريدون القول بأن الشعب الذي حقق تلك البطولات من حقه أن ينعم بثمار الاستقلال ، وباستطاعته أن يلحق بالأمم المتقدمة ، ويشارك في مسيرة الحضارة العالمية .. وهكذا تحولت تلك المؤلفات الى حوافز معنوية دفعت الشعب البلغاري للتفاني في بناء دولته الفتية .

ولما كانت كل أمة تنال استقلالها بحاجة الى أدباء يخلّدون أبطالها الذين ناضلوا وضحوا في سبيل ذلك الاستقلال ، فقد كان ايفان فازوف بالنسبة للامة البلغارية ذلك الأديب الذي قام بتلك المهمة من خلال ملحمته « ملحمة للمنسيين » التي خلد فيها أبطال الانتفاضة البلغارية .

لقد صور ايفان فازوف هؤلاء الابطال كما عرفهم وأحبهم الشعب ، وقدمهم على حقيقتهم نماذج قومية وانسانية رائعة تنبض بالحب والارادة والايثار . ولم ينس الكاتب والشاعر الكبير أن يقول لشعبه أن هؤلاء الرجال الخالدين انما يريدون منه أن يتابع مسيرته على طريق التقدم بمزيد من الوعي والاصرار .

أما مؤلفات « ملاحظات عـلى الانتفاضات البلغاريـة » و « تحت النـير » و « الاغنية الدموية » فانها قد تعمقت تاريخ ونضال ومشاعر الشعب البلغاري في مرحلة من أدق مراحل حياته وأعظمها في تفكيره وتكوين شخصيته ، وقد كان الشعب البلغاري بطل هذه الآثار الادبية جميعاً ٠

لقد شرح ايفان فازوف في روايته « تحت النير » الظروف الاقتصادية والثقافية والروحية التي كان يعيشها الانسان البلغاري في تلك القرون القاسية من تاريخه ، كما تطرق الى التحولات العميقة التي حدثت في نفوس الناس المسالمين من حرفيين وفلاحين مالبثوا أن انخرطوا في صفوف الانتفاضة ٠ لقد كان الكاتب في الحقيقة يتحدث عن نهضة شعب بأسره ، وعن استعداد أبناء هذا الشعب لتقديم أرواحهم من أجل تحقيق هدفهم الاسمى : الحرية ٠

وقد حققت الآثار الادبية التي تحدثت عن انتفضة نيسان هدفاً اجتماعياً آخر ، ففي الفترة التي ظهرت فيها هذه المؤلفات كانت البورجوازية البلغارية هي التي تقود الحياة الاجتماعية في البلاد ، ولم تكن تلك القيادة بطبيعة الحال الحلم الحقيقي الذي ناضل الثوار من أجله ، فقد شرع هؤلاء البورجواريون بادارة البلاد بالطريقة التي ترضي قناعاتهم ومصالحهم ، ولم يكن ذلك منسجماً مـع الدوافع الصافية التي حدّتْ بالثـوار الى خوض المعارك وتقديم التضحيات من أجـل الاستقلال والحرية ٠

ولما كان الأدباء والشعراء هم الضمير الحي لمصرهم ، والابناء البررةلشعبهم، فانهم ما لبثوا أن شعروا باختلافهم مع الطبقة البورجوازية ، وقد كان ايفانفزوف في طليعتهم ، اذ خيبت البورجوازية ظنه ، ورأى أن أحوال شعبه الذي تحرر من النير العثماني لم تتحسن في ظل الاستقلال ٠٠ فعاد الى قلمه ليبدأ نضالاً جديداً ، ليس ضد المستعبدين الاجانب في هذه المرة ، بل ضد المتحكمين البورجواريين ٠ وكتب العديد من القصائد التي من بينها قصيدة بعنوان « تعالوا ٠٠ انظروا حالتنا » :

هموم .. وحياة بلا مسرات
عمل شاق ودائب وليس غير الحرمان
أمراض .. وموت يهدد بالفناء
هنا الفقر قديم .. وضيف دائم
تعالوا .. انظروا حالتنا !!

هكذا انتقل هـذا الاديب الكبير الى صفوف الفقراء من شعبه ، يدافع عنهم بحرارة ، ويرفـع صوت الاحتجاج ضد الحكم البورجوازي ، وكتب العديد مـن القصص والقصائد التي دان فيها نظام حكم « ستامبولوف » ، وأصبح أحد عمالقة الادب الواقعي التقدمي في عصره .

ليس ايفان فازوف وحده هو الذي تبنى ذلك الموقف ، بل ان أدباء آخرين أمثال زاحاري ستويانوف وبيتشو سلاميكوف وغيرهم قد ساروا على منواله وقرروا مواصلة النضال من أجل خير الشعب .

واذا كانت مقولة « ارسطو » . ان الأدب أصدق من التاريخ ، لانه لا يكتفي بسرد الوقائع ، بل يسبر أعماق الافراد والجماعات في مرحلة معينة من التاريخ .. اذا كانت هذه المقولة صحيحة فان رواية ايفان فازوف « تحت النير » قد أنجزت هذه المهمة على خير ما يرام .

ينقلنا أبطال رواية « تحت النير » بأحاديثهم وتعليقاتهم الى أعماق عصرهم ، ويمثلون لنا الفترة التي عاشوها أصدق تمثيل ، ويكوّنون لدينا فكرة واضحة عن الحياة والكفاح والآمال في ذلك العصر .

لقد استطاع ايفان فازوف بهذه الرواية ــ الموسوعة أن يحول انتفاضة نيسان من حدث تاريخي الى ملحمة حياتية مفعمة بالروح الوطنية ، وأن يصور حب الانسان البلغاري لكل ماهو نبيل وشريف ، وكرهه لكل ماهو دنيء وغير انساني .

أما « الاغنية الدموية » فانها الملحمة الشعرية الكبيرة والوحيدة في الأدب البلغاري ، وقد كانت هذه الملحمة نتاج فكرة ضخمة لدى الشاعر نفسه ، ألا وهي

ابداع « الياذة » بلغارية ، اذ أدرك بينتشو سلافييكوف ان انتفاضة نيسان عام ١٨٧٦ لا يمكن أن يشملها غير عمل أدبي كبير هو الملحمة الشعرية ·

ان الشعب البلغاري يعتز بهذا الأثر الأدبي الرائع ، وقد نالت هذه الملحمة شهرة ضخمة ، حتى انها رشحت كاتبها لنيل جائزة « نوبل » في الأدب ·

وفي هذه المرحلة الثانية التي نتحدث عنها ـ أي مرحلة الثلاثين سنة التي تلت الانتفاضة ـ شارك كتاب وشعراء أجانب ـ لا سيما من السلافيين ـ زملاءهم البلغار في العودة الى معالجة مواضيع الانتفاضة ، ومن أشهر هؤلاء الادباء الشاعر السلوفاكي انتون اشكيرتر ، والكاتب البولوني زيغموند ميلكوفسكي المشهور باسم : تودور توماش بيج ·

كتب انتون اشكيرتر مجموعة من القصائد التي يتحدث فيها عن الابطال البلغار : فاسيل ليفسكي ، وخريستو بوتيف ، وتونكا أوبريتينوفا ، وغيرهم ·

يروي « أنتون اشكيرتر » في احدى قصائده قصة صبية بلغارية اسمها «راداء» من قرية « براتسي كوفو » خطفها جنود عثمانيون وقدموها هدية لأحمد باشا ، لتصبح جارية في قصره ، لكنها لم تستسلم لواقعها المرير ، بل كانت تناقش اعداءها، وتسخر من الباشا الذي كان يتباهى أمامها بانتصارات العثمانيين على بني قومها ، ولما تحدثوا في القصر عن مدفع بلغاري ، وأبدى الباشا استغرابه من أن يملك البلغار مدفعاً ، علّقت الفتاة بقولها :

نعم ·· أيها الباشا ·· نعم
انه مدفعنا ·· مدفعنا نحن
مدفع ثورتنا عليكم
قد يكون صغيراً
بل قد يكون من خشب
كما تعرفون
لكنه مدفعنا على أية حال !

وقد بلغت حماسة هذا الشاعر السلوفاكي ذروتها في قصيدة له كتبها عن

الانتفاضة البلغارية بعنوان « المعركة قرب بيتريش » ، وأهداها للشاعر البلغاري الثائر خريستو بوتيف :

ها قد بدأت المعركة
وانهمر الرصاص من كل صوب
مثل قبلات من نار
وتقدم المناضلون الشجعان
حاملين علم الانتفاضة
يغنون نشيد .. الى الأمام !!
طلقة بعد طلقة
وتلاحم تلو تلاحم !
أيهـا الاخوة الثائرون
اهووا بقضباتكم على رؤوس الطغيان !
وانت أيها البلقان
ابشر بأبنائك البررة المتقدمين
لقد كسروا أغلالهم
ونهضوا كالعمالقة !!

أما الكاتب البولوني « ريغموند ميلكوفسكي » فقد كرس لانتفاضة الشعب البلغاري رواية ضخمة عنوانها « الشروق » تكاد تشبه رواية ايفان فازوف « تحت النير » ، يقدم لنا فيها نماذج رائعة من الثائرين البلغار .. من بينهم .. « الجدة موكرا » التي فقدت أبناءها لكنها صمدت وشاركت في الانتفاضـة .. والشاب « ستويان » الذي ترك التدخين ليشتري كتاباً ومسدساً .. والثائر « نيقولا » الذي يتعلم اللغة الفرنسية ليطلع من خلالها على ما جرى هنالك يوماً ما من أجـل الحرية .. ولم ينس المؤلف أن يحدثنا عن مواقف « الشوربجيين » الاقطاعيين البلغار ـ المؤسفة .. كما تميزت روايتـه بتفاؤلها .. وبايمان كاتبها الذي لا يتزعزع بالمستقبل .. وبانتصار الحرية .

عندما بدأ البورجوازيون بتكبيل حرية الشعب البلغاري ، والحؤول دون تقدم البلاد ، عرفت بلغاريا جيلا جديداً من مناضليها ، الذين هم أحفاد أبطال انتفاضة نيسان عام ١٨٧٦ ، والذين قادوا نضالا عنيفاً ضد الطبقة المستثمرة التي جنحت الى اتباع أساليب فاشية ضد الشعب .

نستطيع أن نعتبر هذه الفترة بمثابة مرحلة ثالثة من مراحل تأثير انتفاضة نيسان على الادب البلغاري ، فقد تألقت في أذهان الشعب البلغاري من جديد صور أبطاله الخالدين « خريستو برتيف » و « فاسيل ليفسكي » وغيرهم ، ورفع راية نضاله ضد البورجوازيين باسم هؤلاء الذين سقطوا من أجل حريته وسعادته . أما في المجال الأدبي فقد كتب الشاعر « خريستو سميرننسكي » قصة حياة « ليفسكي » ونشر « يوردان يوفكوف » مجموعة من قصصه بعنوان « رجال أبطال » ، ووضع « ليودميل ستويانوف » روايته الشهيرة « بنكوفسكي » .

وفي الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن صدر في بلغاريا انتاج أدبي غزير تناول تلك الفترة الخالدة من تاريخ الشعب البلغاري ، فترة الانتفاضة المجيدة ، فكتب « نيقولا فابتزاروف » قصيدة عن « بوتيف » يقول فيها :

أما ترى « بوتيف »
يلتمع في عيوننا
نعم .. انه معنا
أنت اذ تسقط
يقول لنا بوتيف

احملوه .. وضعوا في يده الراية
فامدُّ إليك يدي
لتنهض
ولنتقدم كتفاً الى كتف
هذا هو بوتيف !!

وكتب شاعر الثوار « خريستو كرباتشيف » قصائد كثيرة رائعة ، تحدث فيها عن الانتفاضة ، وتطرق الى الظروف القاسية التي يعيشها الشعب تحت وطأة البورجوازية الفاشية .

أرض بوتيف وليفسكي
تعود الى العبودية
ويرسل البلقان
اغنية الثوار الغاضبة
من جديد !
آلام الشعب
تلهب في نفسي نيران الثورة
وأعود مع الرفاق
لنحمل راية الكفاح
من جديد !
شعلة بوتيف في ارواحنا
ونبض ليفسكي في صدورنا
نسير على طريقهم
ونكسر القيود !
توجه نداءنا
الى كل من أحب الشعب
كي يحمل راية ليفسكي
وينضم الينا

وفي أواخر الثلاثينات كتب « ايفان بورين » قصيدته « اوبوريشته » التي يذكر فيها الفاشيين بأن الطغيان العثماني قبلهم ، قد عجز عن اخماد ثورة الشعب. وابـدع الشاعر « بوعدان أوفيسيانين » قصيدته الرائعة انتفاضة نيسان » التي يقول فيهـا :

وتنبسط السهول الزرقاء
ويطلق الفتى « نيسان » نيرانه
ويشعر الناس المجتمعون في الساحات
بولادة أملهم : النضال !
أما القائد ..
فهو بنكوفسكي ..
هاهو ذا يتكلم :
يا شعبنا الحبيب .. انهض !!

لكن التوفيق لم يحالف كل من كتب عن انتفاضة نيسان في الأدب البلغـاري الحديث ، وذلك بسبب جهل البعض بطبيعة تلك الانتفاضة ، أو بدافع من التزوير والمغالطة لدى البعض الآخر ، ونذكر على سبيل المثال مسرحية « فلاديمير بولياتوف »

« الآباء والبنون » التي كتبها عـــام ١٩٢٨ ، والتي ستند في تأليفها الى وثائق الانتفاضة ، لكنه فشل في تحليل كثير من الامور ، وعجز عن ربط الانتفاضة بمجمل مسيرة التاريخ البلغاري ٠

أما في المرحلة الاشتراكية التي بدأت في التاسع من ايلول عام ١٩٤٤ ، فقد أبدع الكتاب والشعراء البلغار كثيراً من الآثـــار الأدبية الرائعة المكرسة لانتفاضة نيسان ، والتي نذكر مــن بينها مسـرحية « نداء الواجب » للكاتب « آســين رارتسيفتسيكوف » التي مُثّلت عام ١٩٤٦ ورواية « ستيفان ديتشيف » الضحمة « من أجــل الحرية » ، وملحمة « فاسيل ليفسكي » للشاعر لامار ، وقال الشاعر « داميان داميانوف » :

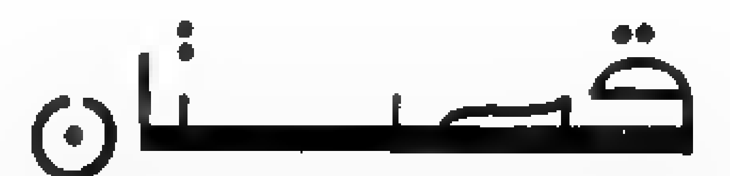
نحسُ نبض نيسان في قلوبنا
وفي دمائنا التي لا تموت
انه يرفع راياته الخضراء
ويأتلق في ذكرياتنا كاللهب الخالد !

وعندما يذكر الشاعر « داميانوف » علم الانتفاضة الذي كان يحمل شعار الموت أو الحرية ٠٠ يقول .

نصف هذا العلم لم يعد موجوداً
لقد تمزقت كلمة الموت
وأصبحنا نقرأ على العلم
كلمة الحرية وحدها

□ ● □

پاول أرنست



ترجمة : د . أحمد الحمو

باول أرنست

ولد عام ١٨٦٦ في منطقة جبال الهارز في شرقي المانيا واشتهر في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى بكتابة المسرحية والقصة • درس اللاهوت ثم الفلسفة وانضم فيما بعد الى الحركة العمالية الاشتراكية • كان في البداية متأثراً بالنزعة الطبيعية في الادب لكنه تحول عنها فيما بعد واتخذ موقفاً مثالياً معادياً للسياسة ووقف موقفاً سلبياً من الطبقة الحاكمة انطلاقاً من قناعته بان عصره عاجز عن صنع الحضارة وتقديم الحقائق الكبرى • لذلك فقد لجأ في أعماله الأدبية الى اختيار ابطاله من التاريخ الالماني القديم والى الاعتماد على الميثولوجيا • كذلك فقد صور في قصصه الأهوال التي عانى منها الناس العاديون أيام حرب الثلاثين عامة • أخيراً اهتم أرنست بالشكل على حساب المضمون انطلاقة من موقفه المثالي وتوفي في النمسا عام ١٩٣٣ •

باول أرنست

قاتل أمـه

شهدت مرة تنفيذ حكم الاعدام • كنا مجتمعين في فناء السجن الذي تحيط به من جوانبه الأربعة جدران من الطوب الأحمر وقد أقيمت في أحـد أركانه منصة الاعدام حيث وقف الجلاد مع اثنين من مساعديه في انتظار المحكوم عليه • كنا في الأسفل خمسة أشخاص . اثنين من القضاة وقاضيا متدربا شاباً واياي بصمتي المدعي العام وأخيراً مدير السجن • وكان أحد القضاة قد اعتذر عن المجيء متعللاً بالمرض•

كنا نقف في الزاوية المقابلة من فناء السجن وكان الطقس بارداً • وعلى الرغم من أن الارض كانت خالية من الثلج فقد تكونت في بعض أرجاءها طبقة رقيقة من الصقيع فوق البلاط الحجري • كانت أرض الفناء قد رصفت رصفاً تميل معه من جهاتها الأربع باتجاه الوسط حيث يوجد ثقب دائري يصب فيه ماء المطر • وقـد خطر في ذهني أنه عندما يسيل الدم من المنصة فانه سوف يصب أيضاً في هذه الفتحة • وعند هذه الخاطرة كدت أبتسم لهذه الفكرة الصبيانية لولا أنني تذكرت فجأة ان إنساناً سيعدم هنا •

فتح الباب وخرج منه المحكوم عليه حاسر الرأس حليق القفا يرتدي قميصاً بدون ياقة ويداه مقيدتان الى الخلف • وقد سار الى جانبه حارس بالزي الرسمي كما سار على الجانب الآخر كاهن السجن الذي كان يتلو الصلوات بصوت عال • وأثناء مرورهم ألقى المحكوم عليه نظرة سريعة نحونا وأومأ برأسه محييا • وهنا توقف الكاهن عن تلاوة الصلوات بينما رفعنا نحن قبعات « السيلندر » بارتباك لنرد التحية • وقد ترك في نفسي موقف التحية السخيف هذا الذي لم يكن احـد يتوقعه أثرا أعمق من كل ما تلاه فيما بعد • وقد أحسست ان الكاهن كان يتلو

صلواته بشكل آلي مجرد • وفجأة جذب القفا الحليق كامل انتباهي اليه دون أي شيء آخر •

كان المجرم يسير بخطى سريعة وواسعة باتجاه المنصة مما اضطر مرافقيه الى أن يسيروا بجانبه بخطوات أقرب الى الجري • وعند السلم توقف فجأة لكن مساعدي الجلاد نزلوا الى الأسفل وأمسكوا به • وهنا سحبت ورقة الحكم من جيب سترتي الداخلي وأشرت بنظرة سريعة الى الجلاد الذي أجاب بمثلها • لكن المجرم انتبه الى ذلك وبدأ فجأة بالصراخ : « أمي ، أمي ، إنهم يريدون قتلي ، ساعديني يا أمي ! » وأمام هذا الصراخ كانت أقدامنا جميعاً ترتجف تحتنا وقد استدار القاضي المتدرب الشاب نحوي وعلى وجهه صفرة شديدة وهمس في أذني : « لقد قتل أمه كما أعلم » وأجبت بشكل آلي هامساً . « أعرف ذلك » • وبشكل من الأشكال توقف الرجل عن الصراخ وسمعنا فجأة الكاهن وهو يرتل بصوت عال من الخوف : « وهكذا أذهب ، أنا المذنب الفقير وكل أملي في دم ربي ومخلصي ••• » •

« أمي ، أم ••• » ، هكذا كان ينوح المحكوم عليه عندما بدأت أسنانه تصطك دون أن يستطيع لفظ الكلام وصار يصرخ لذلك صراخاً عالياً دون كلمات • لكنه كان مقيداً ، وقد هوت البلطة فوق رقبته محدثة صوتاً عميقاً •

لقد كنت أنا الذي طلبت إنزال عقوبة الاعدام به وكنت على قناعة كاملة بهذا الحكم أمام ضميري لأن هذا الانسان كان أكثر المجرمين شناعة • فقد قام أولاً بعملية قتل عندما فوجىء أثناء سرقة أحد البيوت ثم قتل أمه بعد ذلك لمجرد غضبه منها • ولكن عندما كان الآن يتادي في يأسه أمه التي قتلها ، عندما أحسست فجأة في نفسي بأنه أنا •

لا أستطيع أن أقول أكثر من هذا . لقد أحسست بأنه أنا •

سأسرد قصته كاملة لأظهر كيف أن هذا الانسان لا يمكن له أن يمت الى رجل مثلي بأية صلة ومع ذلك فقد شعرت آنذاك : إنه أنا • وعندما أتذكر الآن جيداً وأتصور كل شيء أمامي من جديد فانني أشعر ثانية : إنه أنا •

كانت والدته امرأة مستقيمة ومجدة وقد توفي زوجها الذي كان يشغل وظيفة صغيرة عندما بلغ ابنها الوحيد سن السادسة . . وكما يروى عنه فقد كان بدوره أيضاً رجلا مستقيما . كانت الأرملة واحدة من نساء الطبقة المتوسطة الفقيرةاللواتي يتذمرن ويشتكين باستمرار ويتشبثن بالأمور الصغيرة مما يشغلهن عن كل هدف رئيسي ويستهلك حياتهن بأكملها في عمل دائم ولكن بدون نتيجة لأنه يفتقر الى التوجيه الهادف.لقد كانت تعطي الصبي نقوداً في سن مبكرة لكنها كانت تؤنبه اذا أنفقها . وكانت تحيك الجوارب لأحد الممولين المستغلين دون أن تحصل لقاء عملها اليدوي على أجر أكبر من أجر العمل الآلي لكنها كانت تظن نفسها رابحة لأنها كانت تسلم كل ثلاثة أزواج معاً وتأخذ مقابل ذلك قطعة نقود أكبر بنفس الوقت الذي كانت تشتري فيه الخيوط بكميات قليلة . وكانت تكنس كل يوم الغرفة الوحيدة التي لها وكانت مضطرة لذلك الى قضاء معظم الوقت مع ابنها في المطبخ . ولكي توفر على نفسها أجر السكن المرتفع فقد سكنت في حي سيء السمعة وكانت تترك الصبي يلعب في الشارع معظم الوقت لكنها كانت تعاقبه اذا لعب مع أطفال لا ترضى عنهم .

كانت تسكن في البيت المجاور امرأة مسنة غير متزوجة وتدير شؤونها لوحدها وكان الناس يعتبرونها غنية لكنها بخيلة . وكما يحدث عادة بين الناس فقد عقدت مع الأرملة منذ أمد بعيد نوعاً من الصداقة حيث كانتا تلتقيان في الشارع وتثرثران ببعض القصص أو تقومان بزيارات متبادلة متعللتان ببعض الأمور كاستعارة بعض الادوات المنزلية أو إحضار بعض قطع الحلوى البسيطة .

عندما كبر الصبي أخذته أمه الى أحد الجزارين ليتعلم مهنة الجزارة . وبعد أن أنهى فترة التدريب عمل عند عدد من الجزارين في البلدة الصغيرة دون أن يستقر عند واحد منهم وفي النهاية لازم البيت عند والدته لعدة أسابيع دون عمل .

في ضحى أحد الأيام استعارت الجارة من والدته قالباً لصنع الحلوى . وعند الظهر أعادته لها مع قطعتين من الحلوى صنعتها بنفسها وأخبرتها بأنها تريد أن تستقل باص البريد لزيارة شقيقتها المتزوجة في البلدة المجاورة . وبما أنها ستعود

في اليوم التالي فقد رجت الأرملة لأن تقبل ايداع مفتاح الباب الامامي لمنزلها عندها كي يمكن دخول المنزل فيما لو شب حريق مثلا في فترة غيابها عنه • وقد أخذت الأرملة المفتاح ووضعته على حافة النافذة ، ثم ذهبت الجارة وتحت إبطها صرة الحلوى التي أرادت إحضارها معها من أجل أطفال شقيقتها •

كان الوقت في أواخر الخريف وحوالي الساعة الثامنة مساء يكون الظلام قد أسدل ستاره • وعندما حل المساء أخذ الان المفتاح خلسة وعبر الشارع بعد أن تلفت حوله للتأكد من أن أحدا لا يراه ثم دخل بسرعة الى البيت المجاور • وكانت الآنسة العجوز تسكن الطابق الأرضي ففتح الباب ودخل الى المسكن الخالي بهدوء وأغلق الباب وراءه ثانية • لقد كان يعلم بأن النقود موضوعة في الدرج العلوي من الخزانة الصغيرة التي لا يعمل قفلها بشكل جيد • لذلك فقد أدخل سكين الجزارة التي يحملها معه بين اللوح الخشبي والباب وحاول أن يضغط بهـا لسـان القفل الضعيف ليفتح الخزانة بدون استخدام العنف الذي قد يترك آثاراً واضحة فيما بعد• لكن السكين انزلقت عدة مرات لذلك فقد حل لوح الخزانة من طرفيه قليلا وأعاد المحاولة من جديد وفي النهاية استطاع أن يسحب الدرج من قبضتيه • وفي أثناء ذلك كان الظلام قد خيم تماماً على الغرفة لكنه كان لا يستطيع إشعال أي ضوء خيفة أن يراه أحد من الشارع • لذلك أخذ يبحث متحسسا بين الثياب وقد وجد بعض الدفاتر التي حسبها دفاتر توفير كما وجد في واحد منها بعض الاوراق التي بدا أنها أوراق مالية • وفي النهاية وجد كيسا صغيراً مطرزاً باللؤلؤ يحتوي على نقود معدنية • وقد أخذ الاوراق والكيس وأعاد ترتيب محتويات الدرج بالقدر الذي سمح لـه به الظلام المخيم ثم دفعه الى الداخل كما أعاد القفل الى وضعه السابق • بعد ذلك وضع السكين داخل قميصه وألقى نظرة من خلال النافذة على الشارع المظلم دون أن يلمح أحدا هناك وبدا كل شيء في البيت هادئاً •

في أثناء ذلك لم تكن الآنسة العجوز قد وجدت لدى شقيقتها الاستقبال اللائق الذي انتظرته • فقد كان صهرها سكيراً وكان يبدي لها في بعض الأحيان كثيراً من اللطف والحفاوة على أمل أن تترك له ثروتها بعد وفاتها وأحياناً أخرى كان يعاملها بفظاظة وقساوة • وعندما دخلت الغرفة هذه المرة قابلها بقوله :

« تريدين مرة أخرى اشباع معدتك على نفقتنا ؟ »

وهنا بكت أختها وأخذتها من ذراعها وقادتها خارج الغرفة ثم أخبرتها بأنه جاء الى البيت مخموراً ولأنه خجل من نفسه أمامها عندما رآها تبكي فقد أقسم على ضربها وهو يبحث الآن عن أي مبرر ليتابع شراسته · لذلك فانها ترجو شقيقتها بألا تزورها هذه المرة · وهنا أعطتها الآنسة العجوز صرة الحلوى التي معها من أجل الأطفال وقبلتها وخرجت حيث تمكنت من اللحاق بباص البريد الذي بدأ لتوه يتحرك للعودة · وهكذا شاءت الظروف أن تعود الى بيتها على غير قصد منها في نفس المساء · وعندما وصلت الى الشارع الذي تقيم فيه تطلعت الى الاعلى ورأت أن نافذة جارتها مظلمة · وقد فكرت في نفسها أن الأرملة قد أوت الى فراشها حيث كان الوقت يقترب من التاسعة ولذلك لم ترغب في استعادة المفتاح كي لا تزعجها بل أخرجت من جيبها مفتاح الباب الخلفي ودخلت الى مسكنها · وقد وصلت الى داخل الغرفة في اللحظة التي كان فيها السارق على وشك أن يفتح الباب الأمامي ليخرج من البيت ·

وعندما وقف الاثنان وجهاً لوجه لم يكن ذعر أحدهما يقل عن ذعر الآخر · ثم بدأت الآنسة العجوز بالصراخ · وبسرعة أمسك بها الشاب وضغط على حنجرتها لكنها قاومت وسقطت فألقى بنفسه عليها وفتش عن السكين التي سقطت بجانبه وقتلها · ثم خرج بحذر من الباب بعد أن أغلقه وراءه وصعد الى أمه وأعاد المفتاح الى مكانه ·

كانت أمه تجلس في ظلام الغرفة وقد أخذت تبكي · فقد لاحظت اختفاءالمفتاح من مكانه وخمنت أن ابنها قد أخذه · أما الآن فقد سمعت كيف أنه أعاده الى حافة النافذة ·

« لو أني عرفت ذلك لكان أفضل لي أن أخنق أنفاسك عندما ولدتك » ، قالت له عندما رأته ·

لكنه أجابها : « ألا يوجد ضوء هنا ، أريد بعض الطعام » ·

« ليس عندي نقود من أجل الزيت ، إن لي ولدا سيء الطباع » ، قالت له

ثانية ثم وضعت له في الظلام الصحن الذي يحتوي على قطعتي الحلوى التي أحضرتها القتيلة عند الظهر • وفي الظلام مدّ يده ليجد قطع الحلوى أمامه • ثم سألته أمه : « ما بك ؟ » ، لكنه خاف أن يفشي سره فلم يجب بشيء وعكف على تناول الحلوى•

فيما بعد قال أثناء التحقيق : « هكذا تناولت العشاء » • وعندما ذكره القاضي بأن هذا تعبيراً دينياً ينطبق على الذين يسيئون الى العشاء الرباني كرر كلامه متحدياً : « هكذا تناولت العشاء » •

أوت الوالدة الى فراشها بينما صعد هو السلم الى السقف حيث نام هناك فوق القش • وفي الحال كان يغط في نوم عميق وعليه ثيابه الملطخة بالدم •

في البناء الذي يقع فيه بيت القتيلة كان يسكن إثنان من العمال اللذين يشتغلان في مصنع السكر وكانا هذه المرة من وردية الليل وتوجب عليهما لذلك مغادرة البيت في الساعة الثانية ليلاً • وكان كل من الرجلين قد أشعل مصباحه وهبطا سلم البيت • لكنهما شاهدا الباب الخلفي لمنزل القتيلة مفتوحاً وهنا قال أحدهم : « يبدو أن العجوز في انتظار عشيقها » • وقد راق هذا المزاح لزميله فأجاب : « لنذهب الى سريرها ، فلا بد لها أن تقدم لنا قدحا » • ثم دخلا الى المطبخ ووجدا الباب المؤدي الى غرفتها مفتوحا أيضا • وفجأة أحس الاثنان ببعض الخوف فقال احدهم : « لن أدخل أكثر من هذا » • لكن زميله قال . « لابد وأنه قد حصل شيء هنا ، فاذا خرجنا حلسة فسوف تقع الشبهة علينا » • وهكذا دخلا الى الغرفة ووجدا القتيلة •

في الحال أيقظا بقية سكان البيت وذهب أحد الرجال الى عمدة البلدة بينما استيقظ الناس في البيوت المجاورة • وقد سمعت والدته الحركة الغريبة في الشارع كما سمعت الحديث والصراخ • وعندما أطلت من النافذة أخبرها الناس بما جرى •

وبما أن خوفا مفاجئا قد اعتراها فقد صرخت من النافذة : إنه ليس ابني ، إنه لا يفعل مثل ذلك » • وهنا صرخ واحد من العمال · « هذا هو القاتل ، إنها تكشف نفسها بنفسها » • وبسرعة فتح الباب وصعد كلا العاملين بمصابيحهم فوق سلم البيت بنفس الوقت الذي هبط فيه القاتل من فوق السقف ، فقد كان الضجيج

في الشارع قد أيقظه أيضا . وهنا صرخ العامل الثاني . « أمسكوا به » ، بينما أمسك به الاول وهو ما يزال فوق السلم بحيث لم يستطع ابعاده عنه . وفي أثناء ذلك كان قد تبعهم أناس آخرون وصرخ بعضهم . « إن ثيابه مليئة بالدم ، هاتوا حبلا ! » أما والدته فقد كانت لا تزال في ثياب النوم وهي تنادي : « إنه ليس هو ، إنه لا يفعل مثل ذلك ، إن والده كان موظفا » . وقد استطاع الشاب أن يحرر يديه من الرجل الذي أمسك به ثم أسند ظهره الى الحائط وأخرج السكين من قميصه وصار يصرخ : « من يريد ستة بوصات حديد في بطنه ؟ »

تراجع الجميع الى الخلف ما عدا والدته التي وقفت أمامه تنظر الى يديه الملطختين بالدماء والى وجهه وثيابه وعليهما آثار الدم والى السكين الطويلة والعينين اللتين تدوران هنا وهناك ، وقد تجمد فكها السفلي بحيث لم تستطع ان تنطق كلمة واحدة . وفجأة التقت عيناها بعينيه . « لقد أفشيت سري أيتها الرمة » ، صرخ في وجهها والقى بنفسه عليها ثم غرس السكين في صدرها فسقطت الى الارض وجذبته معها من خلال قوة الضربة وعدم اتزانها فتعثر ووقع الى الارض . وقد كان أحد الحاضرين ممسكاً بقطعة غليظة من الخشب فهوى بها على رأسه مما جعله يفقد وعيه . في أثناء ذلك كان رجال الشرطة قد وصلوا فرفعوه ووضعوا القيود في يديه لكنه كان لا يزال يترنح تحت تأثير الضربة الشديدة .

أثناء المحاكمة طرح الدفاع بالطبع قضية صحة المتهم العقلية . إن إنسانا يقوم بمثل هذه الجرائم وينفذها دون هدف واضح لا بد وأن يكون مختل العقل . لكن مثل هذه الافكار لا تؤدي الى نتيجة . ولحسن الحظ تم تكليف خبير جريء بفحص الشاب وقد قدم تقريره الذي تضمن أن المتهم بكامل قواه العقلية . وقد أتيح لي أن أتحدث طويلا الى هذا الخبير حول الشعور الذي انتابني : « إنه أنا » . وقد أجابني : « إنني أحس بنفس الاحساس وأعتقد أن على كل إنسان شريف أن يعترف بأن لديه نفس الشعور . اننا لا نعرف شيئاً عن أنفسنا . إن معرفتنا بهذه الامور مجرد سفسطة فارغة . ما الذي نشترك به نحن الاثنين مع هذا الانسان ، نحن الذين فوق كل شبهة ؟ في الظاهر لا شيء وفي الحقيقة في كل شيء » .

□ **باول ارنست**

الورد الأبيض

يشكل المكان الذي دارت فوق أرضه معركة ييبا سهلاً مرتفعاً يحتاج المرء لعدة ساعات كي يدور حوله . وقد تناثر في هذا السهل عدد كبير من المنخفضات المستديرة التي نشأت في الأزمنة السحيقة عن اندفاع مياه حارة الى السطح . وتقع في هذه المنخفضات قرى ومزارع تخلع من ضيق أفقها على سكانها في حين لا يستطيع المسافر عبر هذا السهل أن يرى شيئاً من البيوت والناس قبل أن يصل الى مشارف أحد هذه المنخفضات .

في عشية المعركة عندما قام قائد الجيش الالماني بحركته المشؤومة من أطراف السهل باتجاه الخلف كان ضابط بروسي برتبة ملازم يمتطي جواده ويتجه برفقة خادمه الى أحد هذه المنخفضات حيث يقبع بيت وحيد بين أشجار الكستناء القاتمة الهرمة . وبما أنهم كانوا يريدون اختصار الطريق المتعرج فقد وجهوا جيادهم عبر الحقل بخط مستقيم . لكن رجلا ما زال في ريعان الشباب كان يسير خلف محراثه وقف في طريقهم ونادى عليهم بأنه ليس هناك طريق عام يمر داخل حقله ، فسأله الضابط : « أأنت صاحب هذه المزرعة ؟ » وعندما أجاب بنعم تابع الضابط كلامه : « يعجبني تمسكك بحقلك ، لا بد أنك إنسان مستقيم . خذنا الى بيتك . » وهنا أمسك الفلاح بعنان الجواد وقاده الى الطريق بينما تبعهم الخادم حتى وصلوا الى البيت . وقد ترجل الضابط وتقدم الى داخل البيت وسار الفلاح وراءه . وبعد برهة دخل الخادم أيضا بعد أن ربط الجياد الى حلقة الباب .

بعد أن نادى الفلاح على زوجته بناء على طلب الضابط دخلت الزوجة وهي تجفف يديها بوزرتها الزرقاء ثم بدأ الضابط الحديث .

« غداً ستدور المعركة ولا أحد يعرف نتيجتها . وقد شاءت الصدف أن أحمل ثروتي معي وهي ألف قطعة ذهبية . » ، وهنا أخرج كيساً ووضعه على الطاولة .

« واذا سقطت في المعركة أووقعت في الأسر فان أسرتي ستخسر هذا المال • إنني على ثقة كبيرة بأنك لن تسلب عائلة جندي ألماني يقاتل من أجلك أيضاً من ثروته المتواضعة هذه • احفظ لي هذا المال عندك واحرص عليه بقدر ما تستطيع • فان بقيت حياً فسوف أحضر بنفسي لاستعادته واذا سقطت في المعركة فبامكانك تسليمه لخادمي • أما اذا لم يحضر خادمي أيضاً فخذه مع هذه الرسالة الى زوجتي في غورليتز حالما تصبح الطرق آمنة • »

بعد هذه الكلمات صافح الضابط الفلاح وحيى زوجته بأدب ثم غادر الغرفة مع خادمه • نزل الفلاح مع زوجته الى قبو البيت وسحب الغطاء المثقل بقطعة حجر من أكبر إناء للكرنب الكبيس ثم أفرغه في اناء آخر يستعمله عادة لحفظ اللحم المملح وأخفى كيس الذهب فيه وصب فوقه الكرنب الكبيس من جديد • وبعد أن أعاد الغطاء والحجر كما كانا فوق الاناء أمر زوجته بأن تحمل ما تبقى من الكرنب الى المطبخ وصعد هو الى الاعلى •

وفي الليل وبينما كان نابليون يصعد بمدافعه عبر الطريق الضيقة الى السهل المرتفع وبينما كان المارشال دافو يقود فرق المشاة على الجانب الآخر الى الاعلى استيقظ الفلاح من أحلام مزعجة بسبب خوفه على النقود • وعندما تلمس جانبه في الفراش وجد مكان زوجته خالياً • ثم نهض على مهل وارتدى ثيابه ونزل الى القبو • وهنا رأى زوجته وقد جلست القرفصاء أمام الاناء الخالي وهي تعد القطع الذهبية في حجرها • وعندما أحست به وراءها غطت الكنز بوزرتها بحركة مذعورة، لكنه لم يقل شيئاً • وبعد صمت طويل قالت له : « إنه مبلغ كبير من المال ونستطيع به أن نترك بعد مماتنا مزرعة لكل واحد من أبنائنا • » الا أنه رد عليها ، «أعيدي النقود الى الأناء • لو أنك وضعت طفلنا الثاني أنني لما احتجت الى مثل هـــذه الأفكار • » وهنا مسحت بظهر يدها دمعة من عينيها لأن يديها كانتا ملوثتين بماء الكرنب وأعادت كل شيء الى مكانه •

دوت طلقات المدافع ونيران البنادق وانتشر المنهزمون وحفهم المطار دون بينما أصيبت حقول الشوفان بدمار شديد وانتشرت فوقها جثث القتلى والجرحى •

وفي الليلة التالية كان كثيرون يجوبون أرض المعركة ليبحثوا عن النقود والساعات والخواتم في جثث القتلى أو ليخلعوا عنهم ثيابهم فقط ·

في مساء اليوم الثاني للمعركة حضر الخادم في حالة من البؤس والاعياء الشديدين، وقد قدم له الفلاح قطعة من الدهن وخبزاً وزجاجة من الخمر · وبعد أن أكل الجندي طلب بعض ثياب الفلاح القديمة إذ أنه يريد أن يأخذ المال الى غورليتس · وهنا هز الفلاح رأسه · لكن الجندي الذي أساء فهم الفلاح أجاب بسرعة : « أنا لا أهرب من المعركة ، ولكن اذا بقيت في لباسي الرسمي فسوف أقع في الأسر وحالما أسلم النقود فسوف أعود الى فرقتي · إنني رجل شريف وعما قريب سوف أصبح برتبة صف ضابط · » أما الفلاح فأجاب بهدوء « إنني مسؤول عن هذا المال والطرق ما زالت غير آمنة ، لذلك سآخذ المال بنفسي الى غورليتز حالما يصبح الطرف مناسباً · »

أخذ الجندي يشتم ويلعن ثم تقدم من الفلاح وصرخ به «هل تظنني محتالا ؟» لكن الفلاح اكتفى بهز كتفيه وقال « إنها مسؤوليتي » · وهنا رفع الجندي يده وضرب وجه الفلاح بقبضته وصاح به « أيها الكلب ، هل تريد أن تقول لي بأني أسرق نقود أرملة رئيسي ؟ » · وكانت بالقرب من الفلاح فأس مسنودة الى الجدار كان قد صنع لها ساقاً جديدة من خشب الزان بدلا من الساق القديمة التي تلفت · وهنا امسك بالفأس وضرب بها رأس الجندي · وعلى الفور سقط الرجل الى الارض دون أن ينطق بصوت واحد · ثم انحنى الفلاح الى الارض وأمسك بيده رأس القتيل · وفي هذه الأثناء كانت زوجته تقف بالباب وهي تضرب على رأسها بكلتا يديه وقد خانها النطق · وعندما شاهدها صاح بها : « أمسكي معي ! » فحملت الجسد الطري من القدمين بينما امسك هو به من جهة الصدر الى أن وصلا به الى البئر القديم الذي لم يعد يستعمل لأن والديه قد مرضا بعد أن شربا من مائه وتوفيا على إثر ذلك عندما كان هو ما يزال يعمل أجيراً في مزرعة أخرى · ثم وضع رأس الجثة عند حافة البئر ودفعها الى داخله · وكانت ما تزال في زاوية الفناء بقايا أحجار ورمال خلفتها بعض أعمال البناء من السنة السابقة ، فأخذ ينقل منها الى البئر حتى منتصف الليل · وفي هذه الاثناء كانت زوجته تغسل أرض الغرفة من اثار الدماء وهي تبكي بينها وبين نفسها وتؤكد بصوت مرتجف على براءتها ·

في السنوات التالية تعاقبت على المنطقة مواسم رديئة بحيث ساءت حالة معظم المزارعين بالرغم من لاسعار المرتفعة • وبعد انتهاء حروب التحرير جاءت سنوات الاسعار المنخفضة وجلبت معها ضيقاً شديداً لأصحاب الاراضي والفلاحين • وفي هذه الفترة بأكملها التي ستمرت ما يقارب جيلا بشرياً اضطر كثير من الملاك أن يبيعوا أراضيهم بأسعار زهيدة وأن يحملوا عصاهم ويرحلوا من مزارع آبائهم وأجدادهم بينما استطاع من كان ماكراً أن يحقق ثراء اذا كان يملك أموالا نقدية• وهكذا كان صديقنا الفلاح يشتري حقلا بعد حقل وأرضاً بعد أرض كلما لاحت أمامه فرصة سانحة حتى أنه اشترى بثمن بخس مزرعة بأكملها • وعندما توفي في النصف الثاني من الخمسينيات تقريباً كان يملك أكثر بقليل من اقطاع متوسط المساحة تركه لأرملته وولديه الذين أصبحا في مطلع الثلاثين من العمر • وبعد وفاته بقليل تزوجا بفتاتين من أسرتين ثريتين تسكنان في نفس المنطقة •

عندما قدم الكاهن الذي تسلم الأبرشية حديثاً بزيارة الارملة دعته سيدة المزرعة مع زوجته الى جولة في المنطقه يوم الاحد التالي ليطوفوا بعربتها السريعة على مختلف الحقول • وقد قاد العربة ابن الارملة الاكبر وكان طول الطريق يشير بسوطه الى الحقول و المراعي التي تخص العائلة أو تخص عائلةزوجتهوزوجةأخيه•وقد تجولوا على هذه الحال لعدة ساعات مما جعل الارملة تعي لأول مرة مدى اتساع أملاكها • وكانت تفخر أمام زوجة الكاهن بغناها الطائل وتتحدث عنزوجها المتوفي وكيف أنه كان يذهب الى الكنيسة بانتظام وأنه كان على الحكومة أن تجعله عمدة للقرية وان الله قد غمره ببركته • ولكن حالما جرت هذه الكلمة على لسانها تذكرت جريمة زوجها التي كاد النسيان أن يطويها وصمتت فجأة•وبعد برهة تنهدت وقالت بأن ابنها البكر شاب سريع الغضب وأنه يشبه والده تماماً في هـذا الجانب من شخصيته وأن الخوف يعتريها أحيانا من أن يعاقبها الله فيه • وعندما نطقت بالجملة الاخيرة سالت بعض العبرات من عينيها • لكن ابنها التفت اليهـا ونهرها بقسوة فابتسمت مرتبكة وتابعت حديثها مع الكاهن وزوجته . « إنه يعاملني معاملة جيدة ولا يقصد سوءاً » • لكن الشاب ضرب الجياد بسوطه • فانطلقت فجأة وهي تسحب العربة وراءها بسرعة كبيرة •

في ذلك الوقت كان أحد الرعاة المسنين قد أصيب بمرض مضحيء اضطره لان يلازم الفراش بعد أن كان يرعى مواشي القرية منذ سنوات طويلة • وعندما احس ان نهايته قد اقتربت أرسل الى الكاهن ليعترف له بأمر خطير ويريح ضميره •

في اليوم التالي لنهاية المعركة ذهب الراعي مع ما تبقى له من الماشية الىحقول الشوفان التي داستها أقدام الخيل والمقاتلين ليسرح بغنمه هناك • وعند احدىالتلال الصغيرة المكسوة بالشوك وجد أمامه جثة ضابط بروسي وقد غطتها الاشواك بحيث لم يرها أحد من قبل • وقد دفعه الطمع الى أن يفتش ثياب القتيل لكنه لم يعثر سوى على محفظة وجد فيها بعض الرسائل والمدونات الاخرى • وعلى الرغم من أن القتيل كان يحمل بيده خاتم زواج ذهبي فان الراعي لم يجرؤ على سحبه من إصبع الجثة لأن اليدين كانتا قد انتفختا قليلاً • على أن خوفه دفعه في الليلة التالية الى أن يعود الى نفس المكان حاملا معولا ورفشاً حيث وارى الجثة في التراب وصنع على القبر • وكانت تقوم في حديقته شجيرة من الورد الأبيض فانزع منها غرسة قوية وزرعها في التراب الطري فوق القبر بعد أن اقتلع ساقات الشوك من حولها •

أما المحفظة فقد وضعها في خزانة بيته بدلاً من أن يسلمها الى مدير المنطقة على الرغم من أنها كانت عديمة الفائدة بالنسبة له • كذلك فانه لم يخبر أحداً بحكايته لعلمه أن قصده لم يكن سليماً عندما فتش جيوب القتيل •

وهكذا انقضت السنون والمحفظة لا تزال في مكانها من الخزانة وقد لفها بالورق • ولكن الآن وهو على فراش الموت فقد غلب تأنيب الضمير على خوفه من العقاب أو من العار لذلك فقد اعترف للكاهن الشاب بكل شيء وسلمه المحفظة التي صنعت من الجلد المتمسحي ورصع عليها بالفضة خاتم الاسرة كما اغلقت بقفل حديدي أتى عليه الصدأ •

قام الكاهن بتسليم المحفظة الى السلطة القضائيـة في المنطقة بعد أن روى الحكاية بأكملها • وقد بدأت السلطات باجراء التحريات وتوصلت بعد وقت قصير الى العثور على أرملة الضابط الذي سقط قبل ثلاثين سنة • وكانت تسكن غرفتين صغيرتين من نفس المسكن الكبير الذي كانت تقيم فيه مع زوجها في مدينة غورلبتز •

في تلك الفترة كانت الأرملة قد تسلمت من زوجها رسالة خطها لها في اليوم السابق للمعركة • وقد عبّر الضابط في رسالته عن مخاوفه الشديدة حول النتيجة التي ستتمخض عنها المعركة والحرب بشكل عام • ولكي يكون مطمئناً على أسرته في حال وفاته فقد تخلى عن حقه في إرث متنازع عليه لقاء مبلغ من المال نظراً لأن أرملة وحيدة لن تستطيع بعد موته الحصول على حقها خاصة في الأوقات العصيبة التي توقع قدومها • وقد تسلم المبلغ قبل عدة أيام بالعملة الذهبية وهو مبلغ يمثل حسب تقديراتنا ثروة لا يستهان بها في الظروف التي التي كانت قائمة آنذاك • كذلك فانه لم يشأ تسليمه الى إحدى البيوتات المالية كما امتنع عن ارساله مع أحد السعاة الى موطنه وكتب لذلك الى زوجته بأنه سوف يسلم المبلغ طوال فترة المعركة الى أحد الاشخاص الموثوقين الذي سيوصله لها فيما اذا سقط في المعركة •

منذ تلك الرسالة انقطعت أخبار زوجها نهائياً بعد أن كانا قد تزوجا منذ أقل من خمسة أشهر • وكانت تخيط وتطرز الثياب للوليد المنتظر وهي تجلس أمام نافذة غرفتها الصغيرة التي ضمت أكواباً قديمة وأقداحاً زجاجية رسم عليها بالحمر وقد رتبت فوق خزانة خشبية صغيرة كما ضمت بعض الكراسي التي يبدو أنها عوملت بعناية فائقة وكان زوجها قد ورثها عن والديه • ولما انقطعت جميع الأخبار بعد المعركة وأعلن عن اسم زوجها بين المفقودين لبست ثوباً أسود وراحت الدموع تملأ عينيها بحيث كانت تضطرها للتوقف عن الخياطة وكثيراً ما كانت الدموع تسقط من أهدابها الجميلة فوق القميص الصغير •

ثم وضعت طفلتها التي ملأت الغرفة الهادئة بصراخها وتناست مصابها الكبير أمام الهموم الصغيرة من أجل الطفلة • وبينما كانت الطفلة تترعرع كانت الثورة تتهيأ للانقضاض على المحتلين الفرنسيين • ولذلك فقد تبرعت الأم المسكينة بخاتم زواجها الذهبي من أجل تحرير الوطن واستعاضت عنه بخاتم حديدي • وكان خاتم زواجها القطعة الذهبية الوحيدة التي بقيت لها لأنها قد باعت كل ماعداه بعد ولادة الطفلة مباشرة كي تزيد قليلا من الرأسمال الصغير الذي بقي لها • كذلك فانها قد قصت شعرها الأشقر الجميل وباعته وسلمت ثمنه الى مركز التبرعات • وعندما

زحمت الجيوش الى ميدان القتال كانت يداها ويدا طفلتها تصنع القطن اللازم لاسعاف الجرحى كما تصنع المطرزات التي كانت تتبرع بريعها الضئيل للمجهود الحربي ٠

وعندما أصبحت ابنتها شابة ممشوقة القوام وأخذ ظهرها هي يزداد انحناء دخلت حياتها سعادة جديدة وغطت على تجاعيد وجهها ٠ فقد تزوجت ابنتها من ضابط شاب نشيط كان والده زميلا لزوجها في الجيش ٠ وبعد وقت قصير أنجبا أطفالا ملأوا بيت الجدة السعيدة بضجيجهم ٠ وهكذا انقضى عمر جيل كامل منذ المصاب الذي حل بتلك المرأة ٠

عندما تسلمت فيما بعد من السلطات القضائية في مدينة يينا طرداً بريدياً يتضمن الاعتراف الذي أدلى به الراعي بالاضافة الى المحفظة القديمة التي كانت قد أهدتها الى زوجها أصيبت بصدمة قوية بحيث لزمت فراشها أياماً عديدة ٠ وبعد أن استعادت قوتها أخبرت الزوجين الشابين بالقصة كلها وطلبت منهما إرشادها لما ينبغي عليها فعله لأنها كانت تحس برغبة شديدة في زيارة قبر زوجها على الاقل حيث أن الراعي قد حدده بدقة في اعترافاته ٠ وكانت المحفظة ما تزال تحتوي على رسائلها الخمس الاخيرة لزوجها وعلى خصلة من شعرها كما كانت تضم قطعتين من الرق التي يمكن للمرء أن يسجل عليها بالقلم الرصاص بعض الكتابات السريعة والتي يمكن مسحها فيما بعد بقطعة من الخبز إذا لم يعد هناك حاجة لها ٠ وكانت معظم الكتابات تتألف من كلمات مجتزأة بشكل غير مفهوم ومن بعض الارقام ٠ لكن السطر الأخير كان عبارة عن عنوان – عنوان الفلاح الذي سلمه الضابط النقود ليلة المعركة وقد كتب تحت الاسم الرقم ألف وبجانبه كلمة لويسدور(١) ٠

وبعد أن تأمل الضابط الشاب طويلا في هذه الكتابة أوضح للسيدة العجوز بأنه سيرافقها في هذه الرحلة التي يعتبرها أمرا طبيعياً ومشروعاً كما كشف لها عن عزمه على القيام معها ببعض التحريات عن الرجل الذي كان اسمه مكتوباً داخل المحفظة خاصة وأنه لا يستبعد أن يكون الضابط القتيل قد أودع ثروته عند هذا الرجل ٠

(١) عملة ذهبية كانت تستعمل في تلك الأيام ٠

وحالما برئت السيدة وحصل الضابط على إجازة خاصة سافروا الى يينا وحصلا هناك من المراجع القضائية على جميع المعلومات اللازمة • لكن الراعي كان قد توفي في هذه الاثناء كما انه كان في جميع الاحوال لن يستطيع أن يضيف أموراً جوهرية الى اعترافاته السابقة • وعندما أعاد الضابط الشاب بظنونه أمام القاضي تعرف هذا الاخير فوراً على العنوان المكتوب على الرقاقة لأن اسم الفلاح الغني كان معروفاً لدى المحكمة من خلال صفقات شراء الاراضي الكثيرة التي قام بها • كذلك فقد صرح القاضي للضابط الشاب بأنه كان أمراً ملفتاً للنظر لدى كثير من الناس كيف أن الرجل قد وصل الى ذلك الغنى الكبير دون أسباب واضحة • وقد أثارت القضية اهتمامه بحيث انه طلب من الضابط والسيدة أن يصطحباه مع كاتبه وأن يذهبوا جميعهم أولا الى أرملة الفلاح قبل أن يرشدهم الى القبر لعله يستطيع تحت تأثير المفاجأة أن يفوز باعتراف من تلك الارملة • أما من الناحية القانونية فقد أعلمهم انه لم يعد بالامكان طبعاً فعل أي شيء بسبب تقادم الزمن

لذلك فقد استأجروا عربة من الفندق الذي كانا يقيمان فيه ، وقد صعد الكاتب الى جانب الحوذي بينما جلس القاضي الى السادة داخل العربة وفي أقل من ساعتين كانا قد وصلا الى مزرعة أرملة الفلاح •

وعندما دخلوا البيت كانت الارملة وولديها يقفون في المناء وكان الاخ الاكبر قد عاد بعربة مليئة بالعشب لاطعام الماشية وقد غرس المنجل في كومة من أكوام العشب فوق العربة وفك وثاق الخيل • أما الاخ الاصغر فقد كان يكيل الحبوب على الأرض • وقد أدخلت الارملة القادمين الغرباء الى الغرفة وتبعها الشقيقان لمعرفة سبب هذه الزيارة •

وبعد أن وزع الكاتب أوراقه على الطاولة أمامه وجه القاضي الى المرأة هذا السؤال : « هل جاء اليكم بعد المعركة خادم الضابط البروسي الذي أودع لديكم الف لويسدور ؟ »

وقد بدا أن المرأة تكاد تسقط من هول المفاجأة وبدون تفكير أجابت بماكانت

تردده بينها وبين نفسها في السنوات الاولى بعد الحادثة : « لا يمكن أن يكون أحد قد رآه قادماً » .

« وقد دفنتموه في القبو ؟ »

« في البئر » ، أجابت وهي ما زالت مذهولة .

« ماذا ، أنتم قتلتم إذن إنساناً بالفعل ؟ » صرخ الأخ الأصغر . فقد أثار في حينه الغنى المفاجيء الذي ظهر على أبيه كثيراً من الاشاعات وكما هي الامور عادة فانها لم تكن جميعها بعيدة عن الحقيقة وكانت تتردد على أسماع الشقيقين منذ الصغر .

ثم انتصبت المرأة وقالت وهي تجهد نفسـها في إخفاء الرجفة على شفتيها « ولكن ماهذا ؟ ماذا يريد السادة ؟ »

« لا تثرثري اذا كنت تعلمين شيئاً أيتها الأم » قال الابن الاكبر غاضباً .

« اسكت » ، نهره القاضي بنبرة حازمة .

« إن العجوز خرفة وكان ينبغي وضعها تحت الوصاية منذ زمن طويل » أجاب الابن ثانية .

لكن القاضي أمر الشقيقين بمغادرة الغرفة كي يستطيع استجواب المرأةالمهارة دون معوقات .

وفي فناء البيت وقف الشقيقان أمام بعضهما البعض .

« إنني لا أريد شيئاً من المال الحرام » قال الأخ الأصغر .

« لعلك تريد أن تعمل أجيراً لدي ؟ أجاب الآخر .

« سأذهب الى أمريكا حيث لا يعرفني أحد » .

لكن الآخر وقد أعمته ثورة الغضب أمسك بالمنجل وهوى به على الأخ الأصغر الذي سقط الى الارض بصرخة هائلة . وهنا ترك الأخر المنجل يسقط من يده ومسح جبينه . وعندما نظر اليه ثانية وجده ميتاً .

في هذه الاثناء كان الاجراء يعملون بعيداً في الحقل ولم يكن منهم في البيت

سوى خادمة الاصطبل التي اندفعت مذعورة الى مصدر الصرخة . كذلك فقد خرج الزوار الغرباء الى الفناء ومعهم الأم المرتجفة وقد قادها القاضي من يدها . وعندما وقفت أمام ابنها الذي بقي على قيــد الحياة ونظرت اليه ساهمة قال لها : « هــذا ثمن الدم » . ثم سار بهدوء بين الواقفين الذين أذهلهم الحادث واتجه نحو باب الاصطبل وصعد الدرج بخطوات ثابتة . وعندما أفاق الواقفون من ذهولهم ولحقوا به كان قد فات الوقت . فقد شنق نفسه على احدى العوارض الخشبية في السقف .

أما الأم فانها لم تسترجع وعيها بعد ذلك أبداً .

وكما يروي بعض المسنين فقد وجــدوا فيما بعد في فناء البيت المكان الذي كان فيه البئر . وبعد أن تم فتحه من جديد وجدوا في أسفله عظام وبقايا ثياب وأزرار وحذاءالجندي المغدور .

وقد تأثرت السيدة بهذه الأحداث الى درجة أنها لازمت الفراش لمدة أسبوع كان صهرها أثناءه يعتني بها . وقــد سرت قصتها بين الناس في المدينة وأثارت تعاطفاً عاماً . فقد أمر عمدة البلدة بفرش الشارع الذي يقع فيه النزل الذيتقيم فيه بالقش كي لا تزعجها أصوات العربات التي تمر من هناك . وكذلك فقد أرسل لها أناس لم يشأوا ذكر أسماءهم الورود والفاكهة وحضر كثير من الاهالي شخصياً الى النزل للاستفسار عن صحتها .

وحالما شعرت بتحسن حالتها الصحية طلبت ان تزور قبر زوجها . وقد كان رأي الطبيب أن رفض رغبة المريضة بالقلب او تأجيل تلبيتها سيكون خطراً على صحتها ولذلك فقد أذن لها بأن تقوم بالرحلة مع صهرها منذ الآن .

في تورنيجيا درج الناس على غرس شجيرات الورد الأبيض في المقابر حتى أن هذه الوردة تسمى هناك وردة المقابر . وكان غصن الورد الأبيض الذي غرسه الراعي قد نما طوال تلك السنين بحيث أصبح شجيرة كبيرة في غاية الجمال تتمتع بشهرة كبيرة في جميع أنحاء تلك المنطقة . وقد توقفت عربة السيدة على الطريق العام عند النقطة التي يتفرع منها طريق ضيقة تؤدي الى حدود الحقل ثم تسير بمحاذاتها .

وكان الحقل قد زرع بالشعير الذي بدأ ينضج الآن ويكتسي لوناً أصفر بالرغم من أن نموه كان ضعيفا بسبب قلة خصوبة الارض ، لكن شقائق النعمان وزهوراً برية أخرى قد أكسبت الحقل مظهراً بهيجاً وجذاباً • أما شجيرة الورد فقد بدت في أبهى حللها • فقد انبثقت منها مئات الورود البيضاء الصغيرة التي كان بعضها في بداية تفتحه بينما كان بعضها الآخر قد تفتح بشكل كامل عند نهايات الأغصان وكانت السيدة تحس ببعض التعب ولذلك فقد أجلسها الضابط بعناية فوق صخرة منبسطة تحت شجيرة الورد مباشرة •

وبصوت هادىء قالت السيدة المسنة : « هنا يستطيع المرء أن يرتاح بهدوء »• وفجأة أحس صهرها الذي كان يمسك بها أنها أصبحت ثقيلة في يده وكان وجهها الطيب قد غمرته سكينة وديعة ، فقد أصابتها سكتة قلبية •

وقد دفنت تحت شجيرة الورد الأبيض بجانب زوجها الذي سبقها الى هنا قبل ثلاثين عاماً كما وضع على القبر تخليداً لذكراهما شاهدة قليلة الارتفاع وقد رسمت عليها يدان ممسكتان بعضهما ببعض •

وحتى اليوم ما زالت الورود البيضاء تتفتح فوق هذا القبر وما زال الناس يتذكرون أن هذا القبر يضم عاشقين مخلصين اجتمعا بعد سنين طويلة كما أصبح من عادة العشاق أن يذهبوا الى القبر ويأخذوا وردة ليحتفظوا بها في كتاب الأناشيد الدينية اعتقاداً منهم أن حبهم سيدوم طالما تدوم الوردة داخل الكتاب •

* * *

زيـــارة

ولمحة عن الأدب البولوني عبر التاريـخ

مهاة فرج الخوري

بدعوة من اتحـاد الكتاب العرب في سوريا ، زار الجمهوريـة العربية السورية بدءاً من التاسع من شهر أيار المنصرم ولمدة خمسة عشر يوماً ، الأديبان البولونيان زوفيا بستشيتسكا وفيتولد زالفسكي• كانت زيارتهما تهدف الى توقيع اتفاقية التعاون بين الاتحادين العربي السوري والبولوني •

الأديبة زوفيا ، وإن اختصت بالاخراج السينمائي ، الا أنها لم تمارس هذا الفن • وبدأت حياتها العملية كصحفية ، ثم راحت تكتب تحقيقات ومحاولات أدبية وقصص قصيرة • وأنتجت أربع مسرحيات ثم مسلسلات نقدة ساخرة ثم روايات منها « الانعزالية » التي حولتها الى سيناريو و « الشباب الحديد » و «ثلاثة وجوه» • تتحدث هذه الاخيرة عن بعض الحوادث المفجعة في حياتها • وتقول زوفيا بصددها •

« استغرقت كتابة روايتي هذه حوالي ثلاث سنوات من حياتي •• لا يسهل على الانسان التحدث عن نفسه •• « حاولت أن أبقى موضوعية ، وهي تجربة جديدة بالنسبة لي » •

تعمل الأديبة المذكورة منذ ثمانية عشر عاماً في محلة أسمتها منذ تأسيسها

« المرأة » ويحتل قلمها زاوية أسبوعية « حوار مع القارىء » تتناول المواقف الانسانية والحياة الاجتماعية ٠

استحقت الأديبة كتاب شكر وتقدير من السكرتير الأول لحزب العمال البولوني الموحد ٠

أما فيتولد زالمسكي فيتمي ، كما قال ، الى الجيل الذي قيّضت له الحرب أهم فترة في حياته ، فترة تكوين الوجدان الوطني واتخاذ موقف ازاء الحياة ٠ وبهذا فتجارب الحرب تشكل موضوع كتبه الرئيسي ، وهو يعترف انه لا يستطيع وضع مؤلف ما دون أن يدخل عليه ذكريات الحرب الأليمة ٠٠

وقال عنه أحد النقاد « ان ذاكرة فيتولد أشبه ما يمكن بالجرح الفاغر الذي لم يندمل بعد » ٠

وغالبة مايعالج فيتولد قضايا الاخلاص والتفاني والثقة والتضامن في النضال ٠ له خمسة عشر مؤلفاً منها « الأسلحة » و « أرض بلا سماء » و « جريح في الغابة » واستحق على هذا الاخير جائزة وزارة الدفاع الوطنية ٠ ومن أشهر مؤلفاته أيضاً كتاب « مكنة » و « توت السياج » ونال على هذا الاخير أيضاً في شهر أيار ١٩٧٦ جائزة مجلة « الثقافة » التي تصدر في بولونيا ٠

بالاضافة الى الزيارات التي قام بها الاديبان الى المواقع الأثرية والسياحية ، منها معلولا وتدمر وقلعة الحصن ودير مار جرجس (تلكلخ) وحمص وحماه وحلب وسد الفرات ، نظم لهما اتحاد الكتاب العرب في سوريا لقاءات أدبية في كل من حمص وحلب ودمشق ٠

ومن خلال أكثر من حوار مع الأديبين المذكورين ، ومن دراسة حول الحركة الأدبية في مجال النثر بصورة خاصة ، رأيت أن أعطي لمحة عن مدارسها واتجاهاتها المعاصرة مع العودة بايجاز الى تاريخ الأدب ونشئه ٠

اذا ما عدنا الى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، نرى انه لم يكن هناك أدب يمكن أن يطلق عليه اسم الأدب البولوني ، فكان مقتصراً على أدب ديني بحت كتب باللاتينية ثم باللغتين البولونية واللاتينية معاً ٠ هذا الى جانب الدساتير الملكية وكل ما يتعلق بالبلاط ٠

أما القرن الرابع عشر فيمكن أن يطلق عليه « عصر ولادة الثقافة الوطنية »• ويبدأ البولونيون يستوحون من الأدب الايطالي في القرن الخامس عشر ، وأقبل المفكرون على ترجمة الآثار الايطالية • وما صدر من الأدب البولوني في تلك الأونة كان متأثراً بشكل واضح بالأدب الايطالي •

ثم يأتي عصر النهضة ، في أواخر القرن الخامس عشر وفي السادس عشر ، الذي رافق عصر النهضة في فرنسا وايطاليا ، ويمكن تسميته بالنسبة لبولونيا بالعصر الذهبي • اشتهر فيه اثنا عشر كاتبا وأديباً وشاعراً ، وبرزت فيه مؤلفات مسرح البلاط • وأكتفي بذكر « ميكوواي ري » الذي لم تزل مسرحياته تمثل اليوم في بولونيا وفرنسا وفي غيرهما من أنحاء العالم •

ثم يأتي عصر الباروك وفيه احياء أدبي للعادات والتقاليد البولونية •
وفي أواخر القرن السابع عشر تظهر الكلاسيكية المتأثرة بشكل واضح بالكلاسيكية الفرنسية خاصة بـ « كورنيي » •

وما لبثت أن قامت ثورة ضد الكلاسيكية ، تحارب كل ما هو تقليدي وتقاوم فكرة أسلاف هذه الحركة الثورية الذين كانوا يستوحون من باخوس ومن آلهة اليونان • وكان شعار الحركة :
« لماذا نفتش عما هو بعيد عنا ولدينا هذه الطبيعة الجميلة الخلابة ، ولدينا حقول ولدينا كل ما هو جميل ؟ »

أثر هذا النداء في الكتاب والشعراء ، وانصرف أغلبيتهم الى كتابة الروايات الغرامية ووصف حياة الفلاح ، والى نظم القصائد الوطنية والغزلية •
وفي القرن الثامن عشر ظهرت الرومانسية الثورية مع ظهور بولونيا الشابة ، ثم الواقعية كردّ على الثورات الفاشلة • ومن أشهر أدباء هذا العصر : «سووفاتسكي» الذي أحب « جورج صاند » ولقب بفكتور هوغو بولونيا •

وظهر أيضاً « كراشينسكي » الملقب بـ « شاتوبريان » بولونيا و « بروس » ، الـ « بالزاك البولوني » ، مؤلف كتاب « فرعون » • وشيينكيفتش ، مؤلف

« كوفاديس » ، ومؤلفات هذا الاخير تاريخية أدبية تدخل فيها روايات غرامية ومن أهمها ثلاث : « بالنار وبالسيف » و « الطوفان » و « ميسير فولوديوفسكي » • ومن أشهر مؤلفاته أيضا « في الغابات وفي الصحراء » وهي رواية تجري وقائعها في مصر ، وأخرجت كفيلم سينمائي •

وظهر الشاعر الكبير « ميتسكييفتش » الذي نقل عنه قولــه : « لا يمكننا أن نشد الا بتأثير ما نعمل » وكان قلقاً على مصير العالم اذ بعد أن عبر عن اعجابه الشديد بمعجزات الصناعة وقدرتها الهائلة على اجتياح الكرة الارضية قال

« علينا أن نعرف كيف سيكون الفكر الذي سيستخدم كل هذه الوسائل الصنعية الضخمة وما هي الروح التي ستحكم الكرة •• ليس لمعامل الاسلحة رأي يؤخذ به ، فهي تستخدم من قبل الغالب ضد المغلوب » •

وبحنينه وبعواطفه وبأسلوبه ، ميتسكييفتش ، يشبه الى حد بعيد ما أنشده شعراء المهجر السوريون واللبنانيون وبصورة خاصة ايليا أبو ماضي •

وفي أدب ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، اشتهرت لسيدة «كوساك» التي ألفت اثني عشر كتاباً أشهرها : « الصليبيون » اعتمدت هذه الرواية على أعمال الصليبيين في سوريا مع وصف دقيق معارك حمص وقلعة الحصن• ترجم الأثر المذكور الى لغات عديدة ، ولم نعلم انه ترجم الى اللغة العربية • وعرف الكتب « ستانسواف ايغناتسي فيتكييفتش » الذي قدم نوعاً من الشمولية التي قلما ظهرت في تلك الفترة، واشتهر بمؤلفاته المسرحية بالاضافة الى كونه مصوراً وروائياً ، وله نظريات في الفلسفة والفن •• حاول الكاتب أن يتطرق أكثر ما يمكن الى لقضايا الملحة في العالم المعاصر ، ومسرحياته مأساوية روائية تهدف الى تحليل المدنية المعاصرة بشكل روحاني وهزلي ، وهي واقعية قاسية ، أما نظرياتــه ، فقريبة من الوجوديــة ، وكتاباته السياسية تعبّر عن تشاؤمه من المدنية الغربية التي يتخيل سقوطها بكارثة، ويعتبر أن التقدم التقني وانتشار المجتمع الجماهيري عوامل رئيسية لذبول الشخصية الفردية ولأزمة الفن والثقافة •

ترجمت مؤلفاته الى لغات عديدة ومثلت مسرحياته في مختلف مسارح العالم · واعتبر أحد مؤسسي مسرح اللامعقول ·

أما بالنسبة لأدب ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد نشط نشاطاً ملحوظاً ، اذ صدر في عام ١٩٦٣ ما ينوف عن ١٢٢٧ مؤلفاً أدبياً ترجم ربعها الى الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية ·

ويتصف أدب ما بعد الحرب بالجدية والواقعية مع ميل الى الرومانسية والعاطفية ، أما ما يسمى بالعبث أو اللهو الادبي فنادر للغاية · ومجمل المؤلفات المعاصرة مليء بالتغيرات ومتأثر بالتحولات الاشتراكية وبالتفاؤل وبالايمان بمستقبل البلاد ·

ومن أبرز الكتاب المعاصرين « ياروسلاف ايفاشكيفيتش » · بموهبة كبيرة يمارس هذا الكاتب أنواع الابداع الادبي جميعها : الشعر والرواية والقصة والمأساة والمذكرات وغيرها · وهو مؤلف « أم الملائكة جان » و « القصص الايطالية » و « الممرات المظلمة » · وتعتبر كتاباته أجمل ما في الأدب البولوني على الاطلاق ·

وظهر جيل جديد من الأدباء ، عالجوا أوضاع شبان الريف الذين انتقلوا الى المدن ، ومن منهم تابع دراسة عليا وبقي متأثراً من تراث الأدباء والأجداد الفلاحين · فظهر بطل روائي جديد هو « المثقف المتأثر بعقلية الأجداد القرويين فيشعر بغربته عن مجتمع المدينة وبالذنب لتركه آبائه وأجداده » ·

سعى الأدب البولوني المعاصر لوصف الفترة الانتقالية فيما بين المجتمع الزراعي وبين المجتمع الصناعي · ومن هذه المؤلفات · « القديم والحديث » تأليف « رودنيتسكي » و « نجم الصباح » لـ « ماريا دامبروفسكا » ·

واهتم الادب المعاصر بحياة العاملين والعاطلين عن العمل ، وبالتقاليد وبالفولكلور الأدبي ، وبجمع الاغاني الشعبية · منها كتاب « الفلاح » لـ «ريمونت» الذي استحق جائزة نوبل ·

كما ظهرت روايات سميّت بـ « الخيال العلمي » تبحث المواضيع المستقبية

والانسانية التي ستتعرض لها المجتمعات المقبلة · اشهر من كتب في هـــذا المجال « ستانسواف ليم » ·

وظهر عدد من الكتاب الهواة ، شغفوا بالمذكرات اليومية · وتطور هذا اللون الأدبي في مختلف الاوساط خاصة في الريف ، وصدر خلال عشر سنوات من عام ١٩٦٠ لغاية عام ١٩٧٠ حوالي مئتي الف كتاب مذكرات ، لها قيمة أدبية واعلامية معاً · من أشهر هـــذه الكتب مؤلف لـ « الويسي كوفالسكي » ، كتبه ولم يتجاوز الثلاثين من عمره · ومسرحيات « تاديوش روجيفتش » تصف الخلاف فيما بين الفرد وبين المجتمع أثناء الحركات الاجتماعية الجماعية وتنتقد التحولات خلال السنوات العشرين التي تلت الحرب · وما فيها من ظلم القوانين ومخالفاتها ، وتصف الشعور العام السلبي حيالها ·

الى جانب ألـــوان الادب المذكورة ، هنـــاك الادب الديني وخاصـــة الادب الكاثوليكي · روايـــات ومذكرات ومســـرحيات تظهر فيها بشـــكل واضـــح الروح الكاثوليكية · ظهر مؤلف بعنوان « الفاتيكان » وهـــو نقد مهذب للفاتيكان كدولة لا ككنيسة ، وينتقد بطء التطور ويصف جبهة المؤمنين ضد اللا مؤمنين ·

ومن الجدير بالذكر أن مؤلفات فلسفية اسلامية عديدة ترجمت الى اللغة البولونية ·

وظهر كتـــاب يهتمون بالعالم الثالث منهم « جيرومسكي » الذي وضع كتاب « منذ اسرائيل » وهـــو نقد لاذع لاسرائيل الهادفة الى السيطرة · لا يكتفي الاثر بوصف موقفها من الدول العربية بل يتطرق الى عنف فكرة الســيطرة عندها والى المشاكل التي تعترض اسرائيل في حياتها اليومية ·

واذا ما استعرضنا أعمال السنوات الخمس الاخيرة ، نلاحظ بوادر انتعاش ازاء المواضيع المعاصرة · فالادب الذي عالج في معالجة قضايا التحولات الاجتماعية والذي كتب في سبيل قضاياها المتنوعة ، وفي حقب مختلفة منـــذ الثلاثينات لغاية النصف الثاني من الستينات ، وظهر بأعمال نثرية أسميت بـ « الواقعية الصغيرة » ، ذلك الأدب بدأ بالخروج شيئاً فشيئاً من الحلقة الضيقة التي أحاطت به ·

وصدرت في السنوات الاخيرة مؤلفات ضخمة من الروايات والقصص القصيرة تتصل بالحياة الاجتماعية المعاصرة من حيث الموضوع والمشكلة ، وأبطالها ينتمون الى طبقات اجتماعية مختلفة ٠

وظهر كتاب شباب مبتدئون وجدوا بتطرقهم الى الحياة اليومية حظهم الادبي الرئيسي ، وبنفس الوقت ، فتحوا حظاً للأدب الذي غدا بمثابة الخبز اليومي لاغلبية قرائه ٠

فظهرت المؤلفات النثرية المهتمة بالمشاكل الناشئة من السلوك الخلقي الحالي وما فيها من تعبير حي عن الصراعات الاخلاقية الكامنة في أساس تحولات البنية الاجتماعية والبنية الوجدانية ٠ ويتمتع هذا الادب بمقدرته على اثارة حوار فيما بين وقائع الحياة ومواقف القراء ، من هنا جاءت صفته الابداعية ٠

ومن الجدير بالذكر ان عام ١٩٧٥ كان أكثر مواسم الادب النثري اثارة في السنوات الاخيرة ٠

ثمة عشرون موقفاً مختلفاً من حيث المناخ والجو الفني تسترعي الانتباه ، ويتوقع لهذه المواقف مقام مرموق بين المكاسب الادبية لفترة ما بعد الحرب ٠

ثمة مؤلفات تتضمن محاولات لنظرة جديدة في التاريخ الحديث من وجهة نظر اشتراكية اليوم ونشاطها الاجتماعي الظاهر ٠

ثمة مؤلفات غيرها تبحث مباشرة المشاكل العصرية وتتناول علم الاجتماع الخاص بالسلوك الخلقي من الناحيتين النفسية والاخلاقية ٠

وهناك مؤلفات تعالج العمل والمطامح والنجاحات والفشل الذي انتاب الطبقات الاجتماعية المختلفة والاختبارات الشخصية عن الحياة الخاصة والعامة ٠

تكلم أيضاً المؤلفون النثريون في مؤلفات نشرت في العام نفسه عن أزمة الثقافة العربية ومن منظور الاحداث الجديدة ٠ وقد ركزوا فيها على حركات الرفض وعلى أزمة تقاليد الثقافة البورجوازية وعلى تصرفاتها ومواقفها وتشويهاتها ٠

وصدرت مؤلفات تسير على منحى تقاليد الثقافة البولونية وتمثل التيار للنثر الاختباري الذي يبحث عن وسائل جديدة للتعبير الفني ٠

يصعب سرد كافة أعمال السنة الماضية التي تستحق الاهتمام• هناك مثلا «المملكة الثالثة » لـ « آنجي كوشنييفتش » و « خيوط العنكبوت في عيد القديس مارتان » لـ « هالينا آودرسكا » و « الاثنا عشر » لـ « تاديوش نوفاك » و « العقد الكبير » لـ « زبيغنييف كوبيكوفسكي » والاجنحة الدامية » لـ « ليسلاف بارتلسكي » وغيرها عديدة •••

وتتغرف هذه الاعمال من مناهل الحاضر ، بأساليب متنوعة ، فهي تظهر جزئيات من حياة البولونيين المعاصرة والمسببات النفسية والحقيقية لمواقف الانسان وأفكاره• ومن هذه الزاوية ليس مهماً معرفة المدى الذي يبلغه الكاتب من تاريخ القرن العشرين ولا الموقع الذي تجري فيه الاحداث •

منها جرت خلال عشرين سنة ما بين الحربين ، مؤلف « بارتلسكي » ومنها خلال الحرب وفي السنوات الاولى التي تلت التحرير ، في مؤلفات « آودرسكا » و « نوفاك » ومنها على الاراضي اليونانية في مؤلفات « بوترامنت » ومنها في ايطاليا في مؤلفات « كرباتس » ومنها في المانيا الغربية أو في مدينة صغيرة أو قرية ، وفي مواقع عديدة بنفس الوقت وعلى مستويات مختلفة من حيث المواقع والتوقيت ، في مؤلفات « ايفاشكييفتش » و « زالفسكي » •

تكمن الناحية المهمة في الأدب البولوني في علائق الكتّاب بالوقت الذي يؤلفون خلاله وبالواقع الذي يعبرون عنه • ولقد طمح الخلاقون الكبار في الأدب الى معرفة العصر وتفهمه والتعبير عنه بأبسط طريقة تكون في متناول الخبرة الادبية الفردية البولونية • ويمكن تمحيص اتجاهات النثر البولوني الحديث بما يلي .

الطموح المتزايد ، والجرأة التي يعالج بها الكتاب قضايا الواقع وتجسيد العصر الحديث •

هذا الاتجاه اكد عليه الجرد الاولي للسنة المنقضية ، فقد أتى ايجابياً بالنسبة للنوعية ولقيمة النشاط الادبي •

ظهرت في مؤلفات السنة الماضية أيضا باكورات نثرية تميزت بغنى وسائل التعبير وبالجوهر وبالقيمة العامة ، ومن هذه النوعية يصح ذكر الباكورة غير

الاعتيادية للمهندس الناضج لمدينة « تارنوبنيف » الذي استحق جائزة اتحاد الكتاب البولونيين على رواية ذات ثلاثة أجزاء : « الجسود » و « الانتصار » و «الحسادون» • وهو مؤلف ضخم يصور حياة أسرة خلال بضع عشرات السنين • وهو بمثابة رد على ادب « القواعد المكرية » لانه يعبر عن راي الشعب حول تاريخ البلاد الجديد وخاصة سنوات الحرب الاخيرة والمعارك الهادفة لاقامة نظام اجتماعي جديد ، وأسلوب سياسي جديد ، وتشكيل السلطة الجديدة ، ونجاحاتها واخطاؤها • ويعد هذا الاثر أحسن باكورة نثرية نشرت خلال العام على الرغم من كون الكاتب تقليدياً في وسائل التعبير •

اما باكورة « ياروش فينفييلك » بعنوان «القصص القصيرة المعاصرة» فلم تلتفت اليها الانظار كثيراً على الرغم من قيمتها السيكولوجية الكبيرة ، ومن جودتها من حيث الاسلوب •

وأخيراً تجدر الاشارة الى أن بعض المؤلفين انصرفوا الى محاولة تسجيل التجارب الاجتماعية الاولى لسلوك أبطالهم الشباب الذين يمثلون عدة أوساط ، منهم « هنريك لوتان » في مؤلفه « لماذا نعم ولماذا لا ؟ » و « باول كراسوديسكي » في مؤلفه « أعشاب طبية لمعتوه » و « غريغوار فالتشاك » في مؤلفه « يوميات زوجية » • وقد تميّز هؤلاء كلهم بمهارة الريشة بيد انهم لم يتوصلوا الى احكام التعبير عن مشاكلهم •

هذه خلاصة سريعة لتطور الادب البولوني عبر العصور وللمجهودات الكتاب المعاصرين في معالجة قضايا الساعة في مجتمعهم وطموح الكتاب الشبان منهم لايجاد ادب جديد ،ووسائل تعبيرية جديدة • وقد تشكل دراسة هذا التطور مصدر الهام لكتابنا من ناضجين وشباب •

مهاة فرح الخوري

في المجلات الأدبية

إعداد : أديب عزت

مجلة فرنسية جديدة و .. متميزة

صدرت في باريس مجلة فرنسية جديدة ، وتحمل المجلة اسم LIRE اقرأ وهي كما تقول على غلافها الأول LE MAGZINE DES LIVRES مجلة الكتب .. وهذه المجلة تستحق أن تسمى جديدة فعلا اذ أنها تعتمد على اسلوب جديد في الصحافة الفرنسية وغير الفرنسية ، وهو أسلوب التكليف .. تكليف مجموعة من الكتاب والمحررين الصحفيين البارزين برصد وقراءة الكتب التي صدرت حديثا ، وحققت نجاحا واسعا وانتشارا كبيرا بين جماهير القراء في باريس وفرنسا والعالم وكتابة ملخصات لها ودارسات نقدية وتحليلية مع دراسة عن حياة مؤلف الكتاب المستعرض وتطوره والظروف التي بدأ فيها التفكير بكتابة كتابه الناجح والذي حقق له الشهرة والنجاح ، وارفاق ذلك بصور ورسوم له ، للمؤلف والكتاب وكتابة حوار مع المؤلف عن أفكاره وآرائه في الكتب والناس وشؤون الادب والحياة .

وليست مجلة « اقرأ » هذه مختصة بتكليف الكتاب والمحررين بالكتابة عن الكتب الثقافية أو الادبية فقط ، بل أنها متنوعة المواضيع في هذا المجال تنوع أزهار الحدائق فثمة على صفحاتها دراسة وتلخيص عن كتاب أدبي ، تتبعها دراسة ثانية عن كتاب فني فثالثة عن كتاب طبي ورابعة عن كتاب زراعي أو صناعي .. الشرط

الاول والرئيسي لظهور أية دراسة أو حوار عن أي كتاب ومع أي مؤلف هو أن يكون الكتاب قد حقق نجاحا ما ، في مجال ما ، من مجالات الادب أو الفن أو الصناعة او الطب أو الزراعة وسائر ما يتعلق بالمجتمع والحياة ‥ وفي أي بلد من بلدان العالم .

وثمن العدد الواحد من هذه المجلة هو عشرة فرنكات فرنسية ‥

وفي عددها الاول الذي صدر حديثا دراسة واسعة عن كتاب بيبي كابام « عصر بيكاسو » الى جانب دراسة ثانية عن كتاب طبي من تأليف د . ج ب اسكاد وهي كما ذكرت وكما يقول غلاف عددها الأول هذا ليست مجلة مختصة في مجال واحد ‥ انها مجلة الكتب .

كواندرو ومسؤوليات الترجمة

أجرت صحيفة « لوموند » حوارا مطولا مع المترجم الفرنسي المعروف على نطاق واسع في الأوساط الثقافية الفرنسية والعالمية موريس كواندرو تحدث فيه عن الترجمة وصعوباتها وعن أهم الاعمال الادبية التي ترجمها . وعن طريقته في الترجمة ‥

وقد اشتهر كواندرو بأنه أول من نقل الى اللغة الفرنسية الاعمال الأدبية الهامة لادباء الولايات المتحدة الامريكية ، اذ ترجم أعمال وليم فولكنر وأرنست هيمنغواي وأرسكين كالدويل ، وغيرهم ونظراً لدقة وأمانة كواندرو في الترجمة فقد سبق للصحف والاوساط الثقافية الفرنسية أن أطلقت عليه اسم خالق الادب الامريكي في فرنسا ويقول كواندرو في حواره مع محرر اللوموند :

« لم أترجم أي كتاب قبل أن أقرأه قراءة تامة ومن أول صفحة الى آخر صفحة وأحيانا اقرأ الكتاب أكثر من مرة لاعيش مع جو الكاتب وأفكاره وقد قرأت أعمال وليم فولكنر أكثر من مرة حيث كنت أنا في الولايات المتحدة الامريكية آنذاك ، ووضعت أمامه الكثير من الصفحات التي وجدت صعوبة في ترجمتها من كتابه « الصخب والعنف » ، ولست أدري كيف طلب مني أن أقيم معه واستغربت ذلك منه خاصة وان

كل الذي كان معروفاً عنه أنه يجد صعوبة في التلاؤم مع الآخرين وأنه يحب الوحدة والعزلة باستمرار الى درجة أنني اذكر أنه كان قد كتب في وصيته بضرورة منع الصحفيين من حضور جنازته ..

ويقول كواندرو أيضا :

« الامور التي تساعدني كثيرا في عملي بالترجمة وأحتفظ بها باستمرار قاموس ليتري المؤلف من خمسة مجلدات بالفرنسية وقاموس ويبستر بالانجليزية الذي اهترأت الآن أطرافه وبعض صفحاته من كثرة استعمالي له ، وكذلك قاموس فرنسي انجليزي وقاموس صعوبات اللغة الفرنسية وعندما أجد صعوبة في ترجمة كلمة ما ليس لها مرادف في اللغة الفرنسية أعرضها على أصدقائي من الاختصاصيين أو من الذين زاروا البلد الذي أترجم عنه ، ويجب على المترجم أن يتعب من أجل العثور على أسلوب لا يناقض النص وأنا أرى بأنه ليس على المترجم الجيد أن يكون له أسلوب خاص في الترجمة المترجم الجيد هو الذي تأتي ترجمته مطابقة ومقابلة تماماً للنص المترجم ولروح هذا النص .

ارغوان ودكس و .. صداقة الاعوام

صدر حديثاً في باريس كتاب جديد من تاليف بيير دكس ويحمل الكتاب اسم أرغوان حياة للتعبير ، منشورات دار لوسوي ..

و .. بيير دكس رفيق نضال وحياة لارغوان ، عاش معه وبرفقته سنوات عديدة ، وعمل معه طويلا في مجلة « الآداب الفرنسية » التي كان ارغوان مديراً لتحريرها ، وفي هذا الكتاب الجديد عن ارغوان يتحدث المؤلف عن حياة الشاعر الفرنسي الكبير . بشكل موسع ، وعن كافة المراحل التي قطعها الشاعر الفرنسي الكبير في مسيرته الحياتية والادبية والسياسية بدءاً من كتاباته الاولى واختياره للشعر وسيلة نضال ولقاء مع الناس والعالم . الى تحوله نحو الحركة السوريالية، ثم اشتراكه في حركة المقاومة الفرنسية فتحوله نحو الواقعية الاشتراكية وحتى

مراحله الاخيرة وكتاباته الاخيرة ووصوله الان الى الشيخوخة وقد نشر الملحـق الأدبي لصحيفة لوموند حواراً مع بيير دكس تحدث فيه عن كتابه هذا وعن علاقته بأرغوان ويقول في هذا الحوار :

« فكرت طويلا بكتابة هذه السيرة الذاتية ، هذا الكتاب الذي حاولت أن يكون شاملا عن أرغوان ، وقد تبلورت الفكرة في ذهني بشكل تام بعد صدور كتابي عن بابلو بيكاسو وقد التقيت بأرغوان كثيراً خلال مراحل اعداد الكتاب وتحدث لي عن حياته الخاصة وأعماله الادبية ، وقد ساهمت أنا فيما مضى من السنوات بعدد كبير من نشاطات أرغوان وهذا ما جعلني لاأجد أية صعوبة تذكر في كتابة هذا الكتاب ٠٠

ويقول أرغوان عن هذا الكتاب :

« لا أستطيع ان أقرر أنا مدى اهمية أو قيمة هذا الكتاب ٠٠ الذي أعرفه أنني قدمت لصديقي المؤلف بيير دكس كل المعلومات التي طلبها مني وأجبتـــه على كافة أسئلته ٠

والى جانب هذا الكتاب عن الشاعر الفرنسي لويس أرغوان ، صدر أيضاً في باريس الجزء الخامس من مجموعة الاعمال الشعرية الكاملة لارغوان ويضم هـذا الجزء كافة القصائد التي كتبها الشاعر خلال أعوام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣ مع مقدمة كبيرة بقلم الشاعر يتحدث فيها عن حياته وحياة فرنسا وعن الحركة الثقافية في باريس خلال تلك الاعوام المذكورة ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣ ٠

ساغان والسينما ومناخات المحبة

فرانسوز ساغان ٠٠ الكاتبة الفرنسية المعروفة والتي بدأت الكتابة ودخول الاوساط الادبية عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها ٠ حيث نشرت أول رواية لها « صباح الخير أيها الحزن » والتي تجاوزت الآن الاربعين من العمر ٠ وقدمت خلال هذا العمر عدداً كبيراً من الروايات والمسرحيات ، تحولت الآن الى العمـل في السينما ، وهي على وشك أن تحمل الكاميرا وتبدأ باخراج فيلمها الاول الذي كتبت قصته ولم تضع لها عنواناً سينمائياً أو غير سينمائي بعد ٠٠

وقد نشرت مجلة « نيوزويك » الامريكية حواراً مع فرانسوز ساغان عن فيلمها الاول هذا ، وعن حياتها الادبية والذاتية ، وتقول فرانسوز في هذا الحوار:

« شجعني كثيراً المنتج الفرنسي جورج بوريغارد على الدخول الى عالم السينما كمخرجة وقبلت وفيلمي الاول هذا ، انما هو قصة حب ، غير أني وأقول لك بصراحة انظر الى عملي في السينما على أنه عبارة عن تسلية ؟! وترفيه ؟! وتبقى الكتابة هي عملي الوحيد الذي أحبه تماماً وهو أغلى وأهم عندي من أي شيء آخر ..

نعم .. كتبت كثيراً عن الحب ، كما تقولين عن الحياة العاطفية وسأواصل ذلك ، لانني أشعر تماماً بأن ذلك هام جداً بالنسبة لي ولكل الناس ، ان الانسان ضعيف وهو باستمرار بحاجة ماسة الى العطف والرقة والحنان والحب ..

عندما أنظر الى حياتي الماضية لا أندم ، لا ينتابني أي احساس بالحزن ، فلقد عشت حياة أعتبرها رائعة وجد جميلة ، وفيها الكثير من البهجة والفرح ، وأنا الآن سعيدة جداً فما أجمل أن تكون للانسان في هذه الحياة مهنة يحبها كثيراً ، وأن يكون حراً سعيداً ، مسكوناً بمحبة كل الناس ، وأن يكون محاطاً وعلى الدوام بعدد جيد من الاصدقاء والصديقات المسكونين بالاخلاص والحنان والوفاء والمحبة-

سقطة ناقد انجليزي

صدر في لندن كتاب جديد للناقد الادبي الانجليزي المعروف جيمس سادرلند، ويحمل الكتاب اسم « كتاب أوكسفورد والطرائف الادبية » ويتألف من حوالي أربعمائة صفحة بالقطع العادي ، والمحور الذي يدور حوله هو محاولة المؤلف تجميع أكبر عدد ممكن من الحكايات الشخصية عن الادباء والشعراء الانجليز في مراحل تاريخية متفاوتة من وليم شكسبير الى ادغار والاس ووليم بليك وجيمس جويس وديلان توماس وغيرهم ، ويحاول المؤلف في هذا الكتاب وعبر ايراد تلك القصص عن حياة أولئك الكتاب والشعراء .. الحياة الخاصة جداً أن يخرج بنتيجة واحدة هي تبيان الهوة الفاصلة بين حياتهم الشخصية وبين كتاباتهم .

ويخلص الى القول بأن معظم أولئك الادباء والشعراء كان سلوكهم الشخصي

غير سلوكهم على الورق فهم ومن خلال الحكايات والقصص الخاصة جداً التي أوردها عنهم على درجة كبيرة من اللا اخلاقية وغرابة التصرفات ، وأن الادب بالنسبة لهم لا يعني أية قيمة ؟ ؟ وهم لا ينظرون اليه أية نظرة هامة ومسؤولة ••

ويمكن اعتبار هذا « الكتاب بمثابة السقطة لهذا الناقد الانجليزي الشهير بالعلمية والدقة والذي له مكانة بارزة في حركة النقد الادبي الانجليزي والذي تحول في كتابه هذا الى التشهير وإثارة ما يشبه افتعل الضجيج اللا مجدي •

اسبانيـا وأدب الاطفـال

يزداد الاهتمام بأدب الاطفال في اسبانيا يوما اثر يوم ، ويساهم عدد كبير من الشعراء والادباء الاسبان بالكتابة للاطفال ، ومن أبرز الشعراء والادبـاء الذين يهتمون اهتماماً ملحوظاً بأدب لاطفال ويكرسون جل عطاءاتهم له الشاعرة الاسبانية المعروفة غلوريا فورتس ••

ومما تقوله احصائيات الصحف ودور النشر الاسبانية واحصائية المؤسسة الاسبانية الوطنية لكتب الاطفال في هذا المجال أنه بينما كان عدد الكتب المنشورة للاطفال في الاعوام الماضية لا يتجاوز (١٥٠٠) كتاب فقد ارتفع الرقم وقبـل عامين الى (٢٢٠٠) كتاب وذلك في عام ١٩٧٤ فقط ••

هذا ويقام سنوياً في مدينه برشلونه المعرض السنوي لكتب الاطفال وتقام خلال ذلك مسابقة لافضل وأجمل كتاب للاطفال ، وفي العام الماضي فازت الكاتبة الاسبانية السيـدة كونسويلو ارمايخو بجائزة هذه المسابقـة •• وتختلف كتب الاطفال في اسبانيا من حيث التاليف والتوجه فهي ليست على وتيرة واحدة ، ثمة بعض الكتب لمن هم في سن السابعة ، وثمة بعض الكتب أيضاً تتوجه لمن تجاوزوا هذه السن ، وحتى سن العشرين ومثلما هي المسألة في اسبانيا كذلك في اكثر بلدان العالم التي بات الادب فيها يتوجه الى المستقبل القادم •• الى الاطفال •• رجـال العالم الآتي •

عن رواية كندية جميلة

صدرت في كندا رواية جديدة من تأليف الكاتبة الكندية مرغريت لورنس بعنوان « الرمل » وتتحدث المؤلفة في روايتها من الحياة اليومية والذاتية للناس في مدينة كندية صغيرة وعن أحزانهم وآمالهم وأحلامهم وتطلعاتهم ، وهذه المدينة الكندية الصغيرة يمكن أن تكون أية مدينة في العالم ، ويمكن أن يكون أناسها أي اناس في أي بلد آخر •• وتجري أحداث الرواية على لسان بطلة وشخصية رئيسية اطلقت عليها الكاتبة اسم موراك كان ، ومن المعتقد أن موراك كان وبرأي النقاد انما هي الكاتبة نفسها التي تسرد عبر الرواية قصة حياتها والحصار والوحدة التي تعانيها في الحياة ، وتلجأ الى الرفض الهادىء والرصين لكل أشكال الحياة الاجتماعية في مدينة ترحل عنها المحبة وتنأى أشكال التعاطف الانساني والود ، وكل ما هو جميل في الانسان والحياة ليسود سوء الفهم وتردي الانسانية وسقوط القيم النبيلة والجميلة ••

وقد رأى بعض النقاد أن هذه الرواية انما تعكس شريطاً من حياة ومعاناة المؤلفة في مراحل حياتها المختلفة وانها انما استعارت اسم موراك كان •• وانها قد أفلحت في تحويل ما هو ذاتي ، خاص الى انساني عام ، شامل ، وبأسلوب روائي شعري مكثف ومتقدم •• كما أكدت في روايتها أن ظروف الحياة المختلفة التي يعيشها الكاتب وسط الايام والناس والاحداث والحياة يمكن أن تكون في الكثير من الاحيان اذا كان الكاتب موهوباً وعلى درجة من الحساسية والمعاناة مخزوناً هاماً وأرضية صلبة وجيدة وموحية على طريق ابداع انساني متقدم ومتميز وله حضوره وشموله الانساني العميق •

اليونان ونشاط حركة النشر

في اليونان وبعد سنوات طويلة من الركود الادبي ، وتوقف حركة الادب والكتابة والنشر ، بدأت الامور الادبية تتحرك ، وبدأت دور النشر تتنافس في

اصدار الكتب الهامة والجميلة ، وستصدر دار (ايكاروس) للطباعة والتوزيع والنشر مجموعة الشاعر اليوناني آديساس ايلتياس « أصحاب الدم الواحد » ، كما أنها ستصدر الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر اليوناني هيورهاس سيفيرس الحائز على جائزة نوبل كما أنها ستعيد نشر روايته الاولى والوحيدة التي كتبها في مجال الرواية والتي تحمل اسم ليال ست في الاوكروبول ٠٠

وستصدر دار كيدروس ، مجموعة شعرية للشاعر ينيتس ، ريتساوش وتحمل المجموعة اسم الجدار ، كما ستصدر له كتاباً يتضمن دراسات أدبية عن الشاعر السوفيتي فلاديمير مياكوفسكي والفرنسي بول ايلوار ، والكاتب الروائي السوفيتي ايليا إهربنبورغ والشاعر التركي ناظم حكمت ٠

برتراند راسل و ٠٠ أصوات الذكريات

صدرت في لندن ثلاثة كتب عن الفيلسوف والكاتب البريطاني الراحل برتراند راسل وتتناول هذه الكتب أفكار وحياة راسل ، وهذه الكتب الثلاثة من تأليف . الكاتب البريطاني المعروف رونولد كلارك وكاترين راسل ابنة الفيلسوف الراحل ، والكتاب الثالث من تأليف الزوجة الثانية لراسل دورا راسل ٠

ولعل أهم هذه الكتب هو كتاب رونولد كلارك ٠٠ اذ أن كتاب كاترين انما هو عبارة عن سرد متواصل وبأسلوب صحفي عن حياة والدها طفولته ونشأته وبداياته وحياته في المنزل الى آخر ذلك مما لا يقدم أية اضاءة لافكاره وفلسفته ، وكذلك الامر بالنسبة لكتاب زوجته الثانية دور راسل التي تتحدث في كتابها عن حبه الكبير لها وكيف أنه انفصل عن زوجته الاولى من أجل أن يتزوجها وكيف كان يتصرف معها ويعاملها برقة وحنان وتتحدث في الكتاب عن حياتها معه أكثر مما تتحدث عن حياته معها ٠٠ بينما يتحدث رونولد كلارك في كتابه بدقة ووضوح وبشكل علمي ويحلل الفكر الفلسفي والمواقف الاخلاقية والانسانية لراسل ووقوفه المستمر وطيلة حياته التي بلغت ٩٨ عاماً الى جانب كفاح الشعوب والى جانب قيادته الشهيرة لحركة استنكار استعمال الاسلحة النووية ، ودفاعه الدائم عن

حرية الشعوب وعدالة كفاحها من أجل الحرية والتقدم ، ودخوله السجن مرات عديدة من أجل أفكاره ومواقفه الانسانية والاخلاقية الشجاعة ، ومن حبه الكبير للاطفال الى درجة أنه تزوج عدة مرات من أجل أن ينجب عدداً أكبر من الاطفال ٠

ويقول رونولد كلارك في كتابه :

« كان راسل محباً كبيراً لكل شيء ٠٠ كان قلباً يفيض بالنبل والمحبة ويأسر كل الذين حوله بالمحبة ورغم كل الاقوال التي تصفه بالشراسة وعدم الاكتراث بالآخرين ، فانه كان شرساً مع الناس الذين يستحقون تلك الشراسة ، وتلك اللا مبالاة والتي كانت تصل أحياناً الى درجة الاحتقار والاشمئزاز ، غير أنه كان قادراً الى جانب ذلك على منح الحب لكل الذين يحبهم ويحترمهم ويشعر بأنهم يستحقون الحب والاحترام ٠٠ لقد تزوج أربع نساء وبقين مخلصات له تماماً وحتى بعد أن انفصل منهن ٠٠ ظللن يعشن مع ذكرياتهن معه والى درجة أن زوجته الامريكية التي بلغت في آخر أيامها وأيامه الثمانين من العمر ، كانت تقضي ساعات طويلة وهي أمام المرآة وتضع الاشرطة الحمراء على رأسها عندما تعلم بأن راسل سيزورها ، وزوجته الثانية دورا وحتى بعد اربعين عاماً من انفصالهما لم تغير شيئاً في أثاث الغرفة التي كانا يعيشان فيها معاً ، ظلت الكتب والاوراق البيضاء مكانها كما لو أنهما ما يزالان يعيشان معاً ٠ ويبقى كتاب رونولد كلارك أجمل الكتب التي صدرت عن راسل ولربما يظل كذلك الى سنوات طويلة بما يحتويه من تحليل عميق ومن نفس انساني دافىء حنون ٠

توجه شعري أمريكي جديد

ثمة في نيويورك الآن تجمع أدبي صغير يتألف من عدد من الشعراء الامريكيين الطليعيين الشباب الذين يؤمنون بأن الشعر انما هو رسالة خير وجمال ومحبة الى العالم ، وأن على الشعر أن يذهب الى الناس في كل مكان ، أن يحاول الذهاب اليهم في المعامل - في المصانع والساحات وعلى نحو ما كان الشاعر السوفيتي فلاديمير ماياكوفسكي ، ومن هؤلاء الشعراء الامريكيين الشباب ٠

روبنا دل بايري
لندر باساتان
كونراد هليبري
ارماند شوبرنز
نورمان بوستون
فيرنا جيلنز

ولقد عمل هذا التجمع الشعري في الاشهر الماضية – على اجراء مسابقة شعرية وكان من شروط المسابقة أن تكون القصائد قصيرة جداً ومفهومة ، وفي خدمة الانسان في كل مكان وتقدم الى هذه المسابقة أكثر من خمسة آلاف شاعرة وشاعر من سائر أنحاء الولايات المتحدة الامريكية • وفاز في هذه المسابقةعدد من الشعراء ، وتمت كتابة قصائدهم على لوحات مضاءة تشبه لوحات الاعلانات عن أجهزة التسجيل والسجائر والساعات والسيارات وسائر اللافتات الاعلانية المضاءة، ووضعت هذه اللوحات •• القصائد في عدد كبير من محطات الاوتوبيس وأماكن انتظار وسائط النقل ، كما تم وضع بعضها داخل الاوتوبيسات والقطارات ••

والشعراء الذين اقترحوا الفكرة وقاموا بتنفيذها بعد اجراء المسابقة انما وضعوا في اعتبارهم أنهم بهذا العمل يمكن لهم التوجه بالشعر الى مخاطبة حوالي النصف مليون رجل وامرأة من شتى المستويات الاجتماعية يستعملون وسائط النقل العامة وينفقون بعض الوقت يومياً في انتظار وصولها ولجلوس فيها في انتظار وصولهم الى حيث يقصدون وتقول احدى هذه القصائد وهي للشاعرة ليندا باساتان وعنوان القصيدة : الى ابنتي •• وهذا هو نصها الكامل :

« من شتى الهموم اليومية ••
الحزينة منها والقاسية
اصنع لنفسي معطفا
من أجل أن تنعمي بالدفء انت وبالفرح
وباستمرار متأهبة للموت أنا ، للفناء
اذا •• دعت ظروف الحياة أن افعل ذلك من اجلك • »

كما أن النص الكامل لقصيدة ثانية لنورمان دوسان هو :

« تنهمر مياه شلال اصطناعي ••
على جدار بناء ••
وعلى غصن ما ثمة عصفور يرتعش ••
لانه لا يستطيع أن يغني • »

وثمة قصيدة ثالثة لجريحوري أوار تقول :

« طيلة النهار
يسير العلم
يتعثر
و •• ينكسر
و :
أظل انا عشبة حزينة في حقل
مكسواً بالظل ••
بينما الشمس في أوج سطوعها • »

وان السؤال الذي يطرحه هذا التوجه الشعري الطموح هو . هل يفلح هذا الشعر في تحقيق أهدافه والتوجه الى الناس ، وهل هذه الطريقة ناجحة ويمكن أن تؤدي مايريده له أصحابها ، غير أنه وبعيداً عن السؤال أيضاً يبقى العمل جديراً بالذكر واحترام طموح التوجه وتعب الجهد والتنقيد •

احـــزان نرويجيـــة

في النرويج صدرت مجموعة قصصية جديدة من تأليف الكاتب النرويجي الشاب اينكفلد سيتينتس وقد أثارت المجموعة ردود فعل جيدة في الاوساط الثقافية النرويجية ••

وتحمل المجموعة اسم « نظرة الى الماضي » وتدور قصصها حول معاناة الكاتب في مدينة ميلدرال حيث ولد وعاش طفولته ويفاعته ، وتتحدث عن معاناة وحياة وكفاح عمال المناجم وجماهير الفلاحين وبسطاء الناس في تلك البلاد البعيدة، فعمال المناجم يلجأون الى قضاء أوقات الفراغ في الحانات ، في محاولات فاشلة للهروب من الحزن والقهر وصعوبة الحياة ، وبعض هؤلاء العمال يرحلون عن الحياة وهم لم يحققوا فيها أي شيء شخصي يتمنون تحقيقه بعضهم يحلم برحلة ما الى بلد اخر ، بعضهم يحلم بأن تتحسن ظروف الحياة ويستطيع بعدها أن يشتري شيئاً لاطفاله ، دمى جديدة وملابس جديدة ، البعض الآخر طموحه أكبر ، يحلم بشراء منزل صغير ٠٠ لكن هذه الاحلام تتكسر عندما ينهار فوقهم المنجم ويتحولون بكل ما كان فيهم من تعب وطموح وآمال الى جثث مدماة ٠٠ وكذلك العمال الذين يأتون من أماكن بعيدة في الريف من أجل خبز الاطفال وفرح الحياة ولا يكون حالهم أسعد من حال عمال المنجم و ٠٠ تضم المجموعة الى جانب هذه القصص قصصاً مستمدة من التراث الشعبي النرويجي ، ومن الاساطير والعادات النرويجية القديمة حيث يرفض المؤلف بعض تلك القصص من التراث والاساطير بألم وحزن وتفاؤل بأن الجيل المعاصر سيتجاوز كل ما هو معوق وغير حضاري ولا انساني ، ليحتفظ بكل ما هو انساني وجميل في ذلك التراث ٠

□ ■ □

في المكتبات

مسز غاسكل وشارلوت برونتي

بقلم : ولتر الن
ترجمة وتقديم : محمود منقذ الهاشمي

لا يقتصر ما تقدمه لنا الابحاث التي تعالج الروائيات الفيكتوريات على التنوير النقدي وتوفير قدر من الثقافة وحسب ، وانما تعيننا كذلك على دراسة الروائيات العربيات في هذا العصر • وانه ليتعذر أن تقوم على الدوام دراسات متكاملة لروائياتنا المعاصرات بعيداً عن هذه الابحاث • فالعلاقات الاجتماعية والاحوال الاقتصادية ، والظروف الثقافية ، التي عاشتها الفيكتوريات وتعيشها العربيات المعاصرات تتلاقى في عدد من النقاط التي تخلف آثارها في الادب • وما من نتيجة الا هي اجابة عن سؤال ما • ونحن نستفيد من أبحاث النقاد عن الفيكتوريات ، على الاقل ، في التقاط عدد من الاسئلة التي أجابت عنها تلك الابحاث ، وطرحها على روايات الكاتبات العربيات ، ثم البحث عن الاجابات في تلك الروايات سواء أكانت مطابقة أو مختلفة في قليل او كثير • ولا ريب أن الاهمية الاولى في النقد التطبيقي انما هي في معرفة الاسئلة التي تجب اثارتها في معالجة نص من النصوص •

وهذا البحث الخاص بالروائيتين الفيكتوريتين مسز غاسكل وشارلوت برونتي ، هو من الابحاث التي نفتقر اليها في هذا الصدد ، ويحتوي على بعض من الملاحظات النقدية والتاريخية المختلفة · وهو للناقد الروائي « ولتر الن » Walter Allen ، وقد ترجمناه من كتابه « الرواية الانكليزية » ، ومن فصل خاص بالفيكتوريين الاوائل ·

ولولتر ألن المولود في برمنغهام بانكلترا سنة ١٩١١ ، عدد من الكتب في نقد الرواية جعلته في طليعة نقاد الرواية الانكليز ، منها « ستة روائيين عظام » (١٩٥٥) ، « قراءة الرواية » (١٩٥٦) ، « الموروث والحلم » (١٩٦٣) · ويعتبر هذا الاخير تتمة مطولة لكتابة « الرواية الانكليزية » وفيه بحث الرواية الحديثة في انكلترا وأمريكا من جيمس جويس الى أيريس ميردوك ومن ويلاكاثر الى برنارد مالامد ·

أما كتابه « الرواية الانكليزية » The English Novel ، فهو تاريخ نقدي، تناول فيه الرواية الانكليزية منذ البدايات حتى التاريخ المعروف بـ (١٩١٤ وبعدها) ·

ولولتر ألن عدد من الروايات ، آخرها « كل شيء في العمر » ، وقد وصفها بيتر غرين في « الديلي تلغراف » بقوله : « لقد قطّر مستر ألن جوهر عمر ، وبلور ذلك العمر في صورة من أروع الصور الادبية التي حققها أي روائي حديث » · ومن رواياته قبلها « الطهارة عارقة » ، « الفيل المتشرد » ، « الرجل الميت فوق كل شيء » ·

ليس من اليسر في شيء أن نحكم على روائية من مثل « مسز غاسكل » Mrs Gaskell · فان أول دوافع المرء نحوها انما هو الاسراف في الثناء عليها، ذلك بأن في عملها تتألق شخصية امرأة تامة الروعة وعلى وفاق مع المجتمع الذي وجدت نفسها فيه · ولو نحّينا كتابتها جانباً ، فقد عاشت حياة مليئة وهي زوجة كاهن موحد في مانتشستر ، وأم لاسرة كبيرة ؛ وكان لها الى حد بعيد ، ما يمكن

أن تدعوه صفاء الاشياء المتحققة ؛ وفي كتابتها تبدو خاصيتاها التوأمان وهما الحنو والدعابة سمتين من سمات صفائها ·

واشد ما يبين هذا في أكثر أعمالها نجاحا ، وهما رواية « كرانفورد » Cranford (١٨٥٣) ورواية « الزوجات والبنات » Wives and Daughters (١٨٦٤ ـ ٦) · وقد قنعت فيهما أن تفعل ما تستطيع فعله بيسر ، فأتت بالثمار الفاتنة · ويبدو في « كرانفورد » أن الفكاهات الرصينة ، وما يساويها من الكوارث الهادئة في حيوات سيدات الطبقة الوسطى في حاضرة صغيرة لاحد الاقاليم ، قد التقطت كاملة · ويكاد تصوير المجتمع يكون تصويراً أنثوياً تماماً ، والعمل انما هو انتصار صغير للدوق الادبي · والرواية هي من المجتمع الموصوف في الرواية وخارجه في آن معاً ، ومستقلة بالقدر الذي يؤهلها لان تعلم أن ذلك كوميدي وان تستمتع بالكوميديا ، على أن تعلقها بهما كان من القوة بحيث لم تعد أية كوميديا أقل هجاء منها ؛ فالفكاهة تعبير عن الحب ، ذلك الحب الخالي من الهدف الذي تبدل تبدلا مضحكاً على أية حال ، وقد يبدو للعالم خارجاً عنه ·

ولم تكن مسز غاسكل أقل نجاحاً في « الزوجات والبنات » الا لانها كانت تعمل على مدى واسع · ف « الزوجات والبنات » معالجة تعليمية جداً للبنية الطبقية في مجتمع ريفي كما تبدو من مركز ابنة دكتور · وهي ، بكلمات أخرى ، نوع من الكوميديا الاجتماعية التي تبرع الروائيات تقليدياً فيها · وتشتمل على شخصية « سينثياكيركباتريك » ، احدى أبرز الشابات الجذابات في الرواية الانكليزية · وحيث تقصر مسز غاسكل فانها تقصّر فيما قصرت فيه كثيرات من الروائيات ؛ في التصوير المقنع للرجال · والقصور مطلق على أية حال ، إلا أن المرء مدرك أراء الثمرات في تقديم الرجال ، أنها لا تستطيع ، في خير الاحوال ، أن ترى كل ما يحيط بهم ·

ورغم أن مسز غاسكل قد لزمت حدود موهبتها في « كرانفورد » و « الزوجات والبنات » فان ما يرتاب به أن يبدو الشأن الذي تدعيه لنفسها في الرواية أهم

بكثير من شأن « مس ميتفورد » (١) Miss Mitford • وتلك كانت ، من بعض النواحي ، مزية في مسز غاسكل أنها لم تكن تعرف مكانتها الروائية ، فهي ناقصة كروايتيها « ماري بارتون » Mary Barton (١٨٤٨) و « الشمال والجنوب » North and South (١٨٥٥) ، وانه عـلى هاتين الروايتين تتركز سمعتهـا في الدرجة الاولى •

أما صفاؤها فقد عاش جنباً الى جنب مع ضمير اجتماعي ناشط وشجاع ، عبرت عنه هاتان الروايتان تعبيراً رائعاً • وانهما لروايتان مختلتان ، شأن عديد من الروايات الفيكتورية ، لان الكاتبة ألزمت نفسها أن تملأ ثلاثة أجزاء ، بقطع النظر عن إستطاعة موهبتها أن تؤيدها في ذلك • ولم تستطع موهبة مسز غاسكل ذلك ، فاضطرت أن تلجأ الى « أملاك » رواية اللغة المنمقة والى « الاثارية » (٢) Sensationalism حتى عدت القطع المقررة عـن العنف مرتقبة من الروائيـة وكأنها شيء متوقع ونتيجة طبيعية • لقـد قصرت مسز غاسكل حين أقبلت عـلى العنف ، ولكن روايتيها « ماري بارتون » و « الشمال والجنوب » تحملان في طياتهما عمق إشفاقها وفهمها • وكان موضوعها في هاتين الروايتين ما كان « يسمى الوضع الاجتماعي لانكلترا » ، وهو الصدام بين الرأسمالية والطبقة الكادحة • لماذا هناك بطالة ، وكيف سيتصرف العمال حين تموت أسرهم جوعاً : كانا سؤالين لم تستطع أن تقدم عنهما اجابة مقنعة ، بيد أنها علمت تمام العلم لم كان الوضع الاجتماعي في انكلترا متردياً ، ولم قادها في الواقع ، الى حروب طبقية • وفي « ماري بارتون »

(١) هي ماري رسل ميتفورد Mary Russel Mitford (١٧٨٧ ـ ١٨٥٥) قصصية ومسرحية انكليزيه . اشتهرت في حياتها بكتابها « قريتنا » وهو مجموعة اسكتشات صورت فيها مشاهد من القرية وأناسها الذين لا يرغم في طرقهم أحد • وتتميز كتابتها بالمرح المريح والفكاهة العفوية • وقد نظمت عن سؤال كولريدج وسكوت بعض الاشعار التي نشرتها في ١٨١٠ بعنوان « قصائد متنوعة » • ومن مسرحياتها « جوليان » (١٨٢٣) و « تشارلز الاول » (١٨٤٣) • (راجـع Encycloaedia Britanuca, Fourteenth Edition, Vol. 15, P. 618)

(٢) الاثارية هي كل ما من شأنه أن يسبب انطبـاعات مدهشة او صدمـة او أن يثير معنى التشويق ، كاللغة ، او الموضوع المعالج ، أو الاسلوب • (Grolier Webster International Dictionary, Vol. II, P. 877) .

يصبح جون بارتون ، والد الطفلة ، قاتلا ، وعمتها استر مومساً ، وتنجو ماري من هذا المصير بشق النفس ، والمسؤول عن كلتا الكارثتين انما هو فقدان الشعور بالمسؤولية لدى الانسان الرأسمالي • وحين قابل وفد العمال مالكي المصنع •

« ••• ارتد مستر هنري كارسون الى اعلى على نحو نابض ، وهو رأس الحزب العنيف وصوته بين الرؤساء ، متوجها الى رئيس المجلس ، وأمام العمال العابسين ، تقدم ببعض القرارات التي اعدها هو واولئك الذين اتفقوا معه خلال غيابهم عن الوفد •

قاموا اولا ، بسحب الاقتراح الذي صاغوه للتوهم ، معلنين أن كل المحادثات بين الرؤساء وبين ذلك الاتحاد المهني الخاص قد انتهت ؛ ومعلنين ثانيا انه ما من رئيس سوف يستخدم اي عامل في المستقبل ، الا اذا وقع بياناً بانه لم ينتسب الى اي اتحاد مهني ، وتعهد الا يحضر او يؤيد اي مجتمع هدفه التشويش على سلطات الرؤساء ؛ وثالثا سوف يتعهد الرؤساء بأن يصونوا ويرعوا كل العمال المستعدين لقبول العمل على هذه الشروط ، وعلى أن تؤدى ضريبة الاجور مقدماً •••

واستمر هنري كارسون يصور مسلك العمال في الشروط غير المتناسبة ؛ وقد جعلت كل كلمة من كلماته نظراتهم اكثر شحوبا ، وعيونهم المحمقة اشد ضراوة •

لقد كان في هذا اللقاء شيء من الحديث الجانبي ، لم تشر اليه صحف مانتشستر •

وعلى حين وقف الرجال متجمعين قرب الباب ، عند أول مدخل ، اخرج مستر هاري كارسون قلمه القصي ، ورسمهم رسما كاريكاتوريا رائعاً وهم على حال من الهزال والاكتئاب وقد تشعثت شعورهم ، وتهلهلت ثيابهم ، وبدت عليهم سيماء المجاعة • وكتب في الاسفل جملة اقتبسها سريعا من حديث معروف للفارس البدين (٣) في « هنري الرابع » •

وبعد أن يري الآخرين هذ الرسم ، يرميه في النار من غير اكتراث •

(٣) الفارس البدين هو السير جون فولستاف Sir John Falstaf في مسرحية « هنري الرابع » لشكسبير • ويبدو لي جليا ان العبارة التي اقتبسها هاري كارسون هي من عبارات فولستاف التي قالها في المشهد الثاني من الفصل الرابع في الجزء الاول من المسرحية • تلك العبارات التي وصف بها الجنود الهزيلين المهلهلين الذين سيقودهم في الحرب ضد أعداء الملك • أما العبارة على وجه التحديد • فلست أدري ماذا أستطع من رأسه على عجل • ولعل اكثر العبارات انطباقاً على الصورة التي رسمها وتلاؤماً مع غرضه هي • « أما عن فقرهم ، فعي الحق لست أدري من أين جاؤوا به ، اما عن هزالهم فأنا واثق من انهم لم يأخذوه عني » • أو « ماوقعت العين قط على امثال هذه الاشباح الهزيلة واقولها صريحة واسي لن أجتاز كوفنتري في صحبتهم » •

فيسقط دون أن يصيب الهدف ، وبعد المقابلة يعود أحد العمال ويقول للخادم « ان قطعة الصورة تطير هناك ، كما ضاع أحد السادة ؛ وان بي صبياً صغيراً يحب الصور كثيراً ، فاذا أذنت لي صعدت لآتي بها » وان صدمة العمال مما لاقوه من تبلد الشعور والوحشية ازاء الاناس الجائعين ، قد أوحت لهم في « الكاريكاتور » بعواقب جريمة القتل التي ارتكبها جون بارتون • وهذه الحادثة العرضية ــ وهي في هذه الناحية واحدة من عدة ــ ما زالت لها قوة تدفع على التحرك•

وكانت « ماري بارتون » رواية مسز غاسكل الاولى ؛ و « الشمال والجنوب » روايتها الرابعة ، وكانت أفضل منها بكثير ؛ فهي ذات شأن هذه الايام ، الا أن « ماري بارتون » تظل حية على نطاق واسع لانها وثيقة تاريخية تصور مواقف الانكليزي في بداية العصر الفيكتوري من المشكلة الاجتماعية ، وخوفه من الفقير ، ذلك الخوف الذي يصل في معظم الاحيان الى حد الهستريا - و « الشمال والجنوب » هي لسبب واحد ، عمل أكثر احكاماً بين ما أنتجته موهبة الكاتبة • وما زال الموضوع الهام هو الحرب الطبقية ، الا أنه يتاح لنا فيها أن نراه من وجهة نظر امرأة غير منتمية • تأتي مرغريت هيل ــ وهي احدى بطلات مسز غاسكل الجريئات ، والصورة المختارة للشابة الرصينة ــ الى ميلتون (مانتشستر) ، لان أبيها ، وقد قاده شكه الفكري الى التخلي عن رتبة الكهنوتية ، وقد وجد فيها من يعينه مدرساً خاصاً لمالك مصنع شاب ، هو جون ثورنتون • وههنا نموذج لحدود موهبة مسز غاسكل في الرواية ، اذ بينما تجيد نقل آثار الوخام المادي بلسان هيل الصادق لا تمنحنا المفتاح الى طبيعة شكه ، فيغدو ذلك الشك غير واقعي لك ، ويغدو هيل نفسه خالياً من البواعث• على أن سلوكه يأتي بمرغريت الى مانتشستر ، وفي الصدام بينها وبين ثورنتون تدرس الحالة الاولى ، وهي ما زالت وثيقة الصلة بالصدام بين الشمال والجنوب• والشمال عند مرغريت فظ بربري ، وهو نقيض الحضارة • ولن يتال المرء في أية رواية انكليزية أخرى ذلك الاحساس بوجود شعبين في انكلترا ، وما هما بشعبي الاغنياء والفقراء عند دزرائيلي Disraeli ، ولكنهما شعب الجنوب الزراعي الاقطاعي وشعب الشمال الصناعي عند ترولوب Trollope • وهذا الاقتراب الى الشمال من الخارج ، يمنح

رواياتها اعتباراً حقيمياً ؛ فنحن نكتشف الشمال حيث تكتشفه مرغريت هيل •

ونحن نكتشفه خاصة في صاحب المصنع القاسي الواثق بنفسه جون ثورنتون • وثورنتون انجح شخصية ذكر رسمتها مسز غاسكل ، وهو رجل أكثر اقناعاً من أي رجل صورته شارلوت برونتي في رواياتها • وهو ليس شخصية وهمية ؛ وانما كانت تراقبه امرأة تعرف الناس ،وحكمت عليه في الرواية فتاة ذات روح عالية ، وذكاء ، وقيم أكيدة • وقيمها ليست قيمه ، وخارج الصراع بينهما ينهض جزء بارز من حقيقة ثورنتون • وكانت مسز غاسكل ناجحة على وجه الخصوص حين رسمته في سماته العامة ، من خلال تلك الخصائص التي جعلته مالكاً لمصنع في مانتشستر بذلك العصر • وثمة على سبيل المثال ، ذلك المشهد الدقيق الملاحظة ، حين يقابل ثورنتون وقائد الاضراب هيغنز معاً ، بتوسط مرغريت ، في تودد وحذر على علم كل منهما أنهما عدوان :

(« لقد دعوتني وقحا ، وكذابا ، ومؤذيا ، وقد يكون فيما قلته شيء من الحقيقة ، حيث كنت وما أزال مدمنا على تناول الخمر • ودعوتك انا مستبدا ، وبلدغا غريبـــا (٤) ، ورئيساً متوحشا قاسيا ؛ فتلك ما كان الوقف بيننا • ولكن من أجل الاطفال • هل تعتقد يا سيدي ، اننا نستطيع ان نستمر معا ؟ » فقال مستر ثورنتون نصف ضاحك : « حسنا ، انني لم أقترح ان نلتقي • ولكن ثمة فائدة واحدة في رؤيتك • اذ لا يمكن لاحدنا أن يفكر في الآخر اسوأ مما يفكر الآن • »

قال هيغنز متاملا : « هذا صحيح ، ولقد فكرت منذ أن رأيتك ، انك لن تاخذني باية رحمة ، ولذلك فانني لم أر رجلا استطعت ان ابقى معه اقل من ذلك • ولعل تلك حكم صادق ؛ فالعمل هو العمل لانسان مثلي • ولذلك سوف آتي ، واكثر من ذلك اشكرك ؛ فتلك هي معاملتي • » قال ذلك بصراحة أشد ، وقد استدار فجاة ليواجه مستر ثورنتون بكليته لاول مرة •

« وتلك هي معاملتي » قال ثورنتون ذلك مصافحا هيغنز بيد ودودة • وتابع مستردا صفة الرئيس : « واذكرك أن تاتي الى عملك نشيطا ، فليس في مصنعي مكان للمتلكئين • وما أجمل ما نحن فيه الآن ، نحافظ على لطفنا برشاقة • وعند اول مرة اضبطك تقوم باي اذى ، سوف تغادر المصنع • وهكذا تعرف أين انت • »

« انت تتحدث عن حكمتي هـــذا الصباح مستردا • وقــد قدرت انني قــد احضرها معي ؟ ام تراني قد فقدت ذكائي ؟ • »

---

(٤) البلـــدغ Bulldog كلب قوي جريء ضخم الراس قصير الشعر • (المورد ص ١٣٤)•

« افقد ذكاءك اذا كنت ستستخدمه في التطفل على عملي • ويكفيك ان استطعت ان تحافظ عليه في عملك • »

« انني سوف أحتاج الى مقدار منه حين ينتهي عملي ويبدا عملك • »

وتكمن ميزة مسز غاسكل في ادراكها الوضع الحقيقي للعالم الذي عاشت فيه• فما عرفته ولمسته بنفسها استطاعت أن تصف أهميته وصفاً عذباً يمازجه الشعور بالواجب • وهذه ميزة جديرة بالاعتبار ، لم تكن في أي من آل برونتي Brontës الذين نقدرهم حق التقدير ، وقد نستثني « آن » Anne بدراستها لحياة مربية الاطفال في « آغنس غراي » Agnes Gray ، وبتصويرها لسكير ماجن في «مستأجر قاعة وايلدفل» The Tennant of Wildefell Hall وكانت تكتب في كلتا الروايتين بعيداً عن ملاحظتها الشخصية ؛ ولكن اذا لم يكن لها آنذاك سمعة أختيها المتفوقتين ، فان « آن » تكاد لا تقرأ في هذه الايام • أما أختاها ، فقد قصرت شارلوت Charlotte حين حاولت التشبه بمسز غاسكل ، كما في « شيرلي » Shirley ، على حين لم تحاول « املي » Emily ان تتشبه بأي أحد البتة • وتكمن عظمة شارلوت من بعض الوجوه في انحرافها عن مبادىء غاسكل • أما إملي ، وهي كاتبة أعظم منها بكثير ، فقد كانت قانوناً لنفسها •

ولو استثنينا ديكنز فقط ، لرأينا أن آل برونتي قد حققوا أوسع شعبية بين الروائيين لانكليز • ولا شك • أن سبب ذلك هو قصة حياتهم بما فيها من ظروف العزلة والفاجعة • ويمتاب الذاكرة منها كل ما يصدمها كأية رواية رومانتيكية عسمة ، ولكنها رواية لو كتبت لبدت رومانتيكية جداً مشبعة بالشدة البالغة ، مما ينأى بها عن الاقناع ؛ فأربعة من العباقرة وأربع من الفواجع والوفيات في رواية واحدة : ثلاثة أمور كل منها كثير بحد ذاته وكان آل برونتي محط اعجاب يبلغ حد العبادة ، ومن الطبيعي أن يكونوا كذلك ، رغم أن ذلك يزيد الصعوبة في تقدير القيمة الروائية لشارلوت ؛ هذا الى أن إملي لم تكن المفضلة على أختيها •

ونحن على علم بنصيب وافر من حياة آل برونتي العائلية المبكرة و لمستقمة ، والمنهمكة بأمورها في بيت القسيس المنعزل في « هاروث » Haurouth ؛ ونعلم

كيف نشؤوا في عوالم أحلام اليقظة ، والعوالم الخيالية لمدينة الزجاج الكبيرة «أنغريا» Angria التي كانت في الاصل ملكاً شائعاً بين الأولاد ثم غدت بعدئذ من نصيب شارلوت و « برانويل Branwell » و « الغوندال » الخاص بامللي وأن • فالكتيبات التي تحتويها ، وقد أبقى الزمان على مائة منها ، تعادل في الطول كامل النتاج المطبوع للاخوات الثلاثة ، ولها قيمة هائلة لما تلقيه من نور على سيكولوجية الخلق الادبي ؛ اضافة الى أن الروايات نفسها روايات الهامية Revelatory • وهي روايات أنتجتها العزلة العظيمة ، والخيال الذي اتجه الى داخل نفسه ، والجهل بالعالم البعيد عن « هاورث » والادب • ولا يهم هذا بالنسبة لـ إملي ، فـ « مرتفعات وذرنغ »Wuthering Heights عمل فني متميز وكامل، مثل القليل جداً من الروايات ، لا يملك المرء الا أن يقرأه وينشده • ولعل شارلوت، على أية حال ، لو عادت الى قائمة مؤلفاتها التي كانت تشعر بالحاجة الى قراءتها في سن المراهقة ، فقرأتها بعد ذلك ، لتطلب ذلك من خيالها أن يبذل جهداً كبيراً قبل أن تتمكن من اشراك وجدانها في القراءة •

ان العنصر الرئيسي لكل رواياتها هو علاقة التلميذة بالمعلم ، التي تسوغها الكاتبة وقد بنتها على تجربتها المحدودة في الحياة خارج نطاق هاورث ، وما هي الا حلم من الاحلام الجنسية للنساء : أن تقمع الشهوة ، ولكن أن تقمع مع رجل شديد الشموخ في احتقاره للنساء بحيث يغدو فعل الاخضاع عوناً قوياً للمرأة في احترامها لذاتها • انها ثمرة الخيال وبينها وبين قصة « سندريلا » Cinderella صلات بينّة : ان المرء يطل فيهما من مرتفع شاهق • ولكنها تذهب في التكلف أبعد من قصة « سندريلا » • وما هي غير انتصارات للمرأة لانها ترغم الرجل المتكبر على الخضوع • حاول « فيليس بنتلي » Phillis Bentley أن يبرهن على أن « جين أير » Jane Eyre هي أكثر من « مجرد رومانس هَرَب» A mere escape romance لان جين « لا تستمتع استمتاعاً كاملا بانتصار غير حقيقي » ؛ ولقد أسلمت نفسها لزوج نصف أعمى • وسيكون من السخف أن ندين « جين أير » كرواية هروب ، رغم أن نهاية الرواية حين يصبح روتشستر « نصف أعمى ودون معين تقريباً ، تشير الى طبيعة عميدة في خيال شارلوت برونتي :

ان الرجل المتكبر يصطدم في كبريائه بآلهة الانتقام « نمسيس » Nemesis واذ يتجرد من المعين تحين التفاتة المرأة الى احضعه ، وما تشوه روتشستر الا رمز لنصر جين في معركة الغريزة.

وما نكاد نختصر « جين آير » حتى تصبح هراء ، لقد ظل المستر روتشستر يحتفظ بزوجته المجنونة سنين في الطابق الثالث بمقره الريفي ، وهي في عهدة الخادم مدمنة « الجن » ؛ وليس لدى أحد من الخدم الآخرين ، أو لدى جين مربية النغلة (٥) التي هي في رعاية روتشستر ، أدنى شك في وجودها . والمنزل يدوي بضحك شيطاني ؛ فهي تحاول أن تحرق زوجها في سريره ؛ وهي تعض أخاها حين يزورها ؛ وفي اليوم السابق لزواج جين بروتشستر تأتي الى غرفة جين في جوف الليل البهيم وتمزق خمار زفافها شطرين . ومن ناحية ثانية لم تكن الشكوك تساور روتشستر حول « المضارة » Bigamy(٦) ؛ فهو يطلب يد جين للزواج ـ ويخطب ودها بزي عرافة غجرية عجوز في احدى حفلات البيت الخاصة ـ وهي البالغة من العمر ثماني عشرة سنة ، وعندما كف عن خداعها بزواج زائف أرادها أن تكون خليلته . وترفض وهي ما تزال تعبده وغير ممتعضة من سلوكه ، وتنفق آخر قطعة نقدية لديها على أجرة سفرها ، وتطوف في الاقليم على قدميها حتى تصاب بالارهاق ، وتكاد تموت جوعاً ، وقد تبلل جلدها ، فتسقط أمام باب منزل لابناء عمها الثلاثة الذين لم تكن تعلم بوجودهم من قبل . وثمة تجد أنها وارثة لعمها الذي خلف لها عشرين ألف جنيه ، فتوزعها فوراً بين أبناء عمها وبينها . وأحدهم الكاهن سانت جون ريفرز ، وقد اعتزم الذهاب الى الهند مبشراً ، يقرر أن على جين أن تصحبه وتتزوجه رغم أن أياً منهما لم يكن واقعاً في حب الآخر . وتوافق جين على الذهاب دون أن تكون مهتمة بالتبشير ، ولكنها لا توافق أن تذهب زوجة له . ويصر ريفرز على الزواج ، وما أن تصل الى نقطة الخضوع حتى تسمع صوت شبح ينادي في غمرة الليل من بعيد : « جين ! جين ! وتميز فيه صوت روتشستر

(٥) النغلة (بفتح النون وسكون الغين او كسرها) : بنت الزانية . (القاموس المحيط) .

(٦) المضارّة (بضم الميم وفتح الراء المشددة) هنا هي الجمع بين زوجتين وتسمى كل منهما ضرة للأخرى . (راجع القاموس المحيط) .

فتمدو في الحديقة وتصيح : « أين أنت ؟ » وما من جواب • وقالت لنفسها : « انزل أيها الوهم • ليس هذا خداعك ولا سحرك ، انه عمل الطبيعة • لقد كانت مستيقظة ، وقامت ـ لا بعمل معجزة ـ ولكن بأفضل ما لديها • » وتعود جين مسرعة الى ثورنفليد ، وتعلم أن مسز روتشستر قد أحرقت الدار من جديد ، وأن عارضة خشبية مشتعلة قد سقطت على روتشستر وأعمته ، وأن المرأة البائسة قد قتلت بوثبها من السطح • وتجد جين روتشستر وتتزوجه • ويستعيد بعض بصره ، ويرزقان طفلا •

ان « جين آير » رواية منافية للعقل في اتجاهها شأن رواية « قصر وترانتو »(٧) The Castle of Otranto أو أية رواية لـ « مسز رادكليف » (٨) Mrs Radcliff • هذا الى أن من يصفها بالحلم الرغبي بكل بساطة يغض في وصفه من شأن الحالة • فقد تكون الرواية حلماً ، ولكنها حلم شخص حقيقي هائل • وما من قصية حول جين آير أشد استحقاقاً بها من ذلك ؛ اذ انها لم تكن في الرواية من مبتداها الى منتهاها مجرد شابة ذات عاطفة وحسب ، وانما كانت لها خاصية أصيلة • وهي ليست بطلة جذابة بشكل بارز ؛ ولكنها شديدة الوعي بحلقها وتفوقها الذهني ، وكانت موهوبة الا في الفكاهة والنقد الذاتي ، وكانت خالقتها

(٧) ، (٨) ، (١٠) الرواية الموطية Gothic novel هي رواية الرعب المؤسسة على خوارق الطبيعة • وهي وجه من وجوه احياء الاهتمام بالخوارق ، الذي كان علامة من الملامح الاول لنهضة لمذهب العقلي في القرن الثامن عشر • فما من ريب ان ذلك الغلو اللاعقلي ، المتطرف في الاوهام والخرافة ، سوف يحدث ارتدادا أكيدا الى العقلانية • كان الشعر متجهاً الى إحياء القرون الوسطى والى الاغنية الشعبية ، أما التخيل فقد اتخذ شكل الرواية القوطية • وكانت رواية « قصر أوترنتو » (١٧٦٤) للكاتب البريطاني هوارس والبول Horace Walpole (١٧١٧ ـ ١٧٩٧) هي العمل الاصلي الذي أرسى هذا النوع من الرواية • قصور مسكونة ، غريبة ، وأبواب سرية تنفتح بصورة خفية وقبور وأشباح • وليس شأنها الا اثارة القلق والغم والرعب •

وتعد المسز آن رادكليف (١٧٦٤ ـ ١٨٢٣) من أشهر من كتب في الرواية القوطية • ولها خمس روايات أهمها « الايطالي » و « أسرار أدولفو » • (راجع على وجه الخصوص The Reader's Companion
.(The Reader's Companion To World Literature P. 224

غير مدركة لنقائصها مثلها • وليس غير هذا ما يدعونا الى القول ان « جين آير » رواية شديدة الذاتية شأن رواية « الطفل هارولد » لـ « بيرون » أو « الابناء والعشاق » لـ « لورنس » ، وجين هي اسقاط لكاتبتها قدر ماهما هارولد وبول مورل اسقاطان لكاتبيهما • وفي الحقيقة ، ان شبه شارلوت برونتي ببيرون متحقق تماماً؛ ويمكن للمرء أن يقول انها الاستجابة الانثوية لبيرون ، و « جين آير » بهذا المعنى هي اول رواية رومانتيكية في الأدب الانكليزي • وكل ما في الرواية معتمد على شرعية عاطفة الكاتبة ؛ واهتمام شارلوت برونتي بالحقيقة مرتبط بمشاعر ؛ وهي لا تشك بقيمة مشاعرها أبداً ، وتسلم بها لانها منها •

والرواية غارقة في هذه الذاتية العنيدة التي تتلازم فيها القوة الهائلة (٩) لرواية « جين آير » بالانسجام • وهي رواية تستمد مادتها من الادب قدر ماتستمدها من الحياة على أقل تقدير ، ولعل شارلوت لم تجد فرقاً واضحاً بين الاثنين • وفي كل تصورها وتصويرها لحجز مسز روتشستر المجنونة في « العلية » Attic في ثورنفليد اعادات ملخصة ، وهي أشد حيوية من تلك الامور المرعبة التي كانت مسز رادكليف تقدمها في الرواية القوطية(١٠) من قبل • ولولا انسجام النبرة ، لكانت « جين آير » رواية مفككة ، لان بنيتها خالية من الفن • هذا الى أنه بسبب انسجام النبرة ، لا تهمنا الشكوك الملودرامية الا نادراً ؛ لأنها وان تخطيء ملاحظة الواقع ولكنها لا تخطيء تشكيل حلم شارلوت برونتي ؛ وهي تمثل حقاً انتصار الحلم على الواقع • وانسجام النبرة ثابت على الصفحة الاولى من الرواية ، حين تقابل الفتاة الصغيرة « جين آير » عند آل ريد ، جين الطفلة المرهوبة الوحيدة

(٩) يعترض الناقد ليونل ترلنغ على استخدام كلمة « القوة » في وصف العمل الأدبي ، لان هذا الوصف غير دقيق • وهو محق في اعتراضه • الا ان ما يحسن بنا أن نشير اليه هو أن نمط القوة الذي أسبغه ولتر الن على رواية « جين اير » غير نمط القوة الذي اعترض ترلنغ على استخدامه ، والذي يعني الجودة • فالمقصود من القوة الهائلة لرواية « جين آير » هو ان كل ما فيها قوي شديد عنيف • فالعواطف متأججة ، والردود على التجارب والناس عنيفة ، والافكار متوهجة ملتهبة ، والاستجابة للحياة شديدة عارمة •

في الجو الغريب ، والثائرة في ذلك الحين ، والتي تتحدى العالم بقوة شعورها بالصواب والخطأ ، ووعيها الفطري للتفوق •

وهذا القسم الاول من « جين آير » هو أروع تصوير للطفولة الانعزالية المتكبرة وأشده حيوية لدينا ــ وهو قمة في الرواية الانكليزية : أما تلك الاحوال التي تجد جين نفسها بينهم ، تتحكم فيهم ، وهي على سجيتها ، فانها غير محتملة على أية حال ؛ فاذا غدونا داخل عقلها فهمنا أن الاحوال غير المحتملة انما هي تحريفات ذاتية للواقع • ومستر روتشستر انسان غير سوي ، والمحاورات بينه وبين جين غير معقولة ولكنها غير معقولة من جانبه فقط • لانه شخص احتلقه خيال شارلوت برونتي ، فهو شكل حلمي(١١) ، في حين أن الكاتبة نفسها ، أو نفسها التي أسقطتها في جين ، حقيقية تماماً • وهو ليس رمزاً قوياً جداً للرجولة • ولو أنه ، كما قيل ، حلم تلميذة بالرجل ، فلا يسع المرء الا أن يعقب بأن التلميذة التي حلمت به لم تكن لطيفة جداً ولكنها كانت رائعة دون شك •

و « شيرلي » Shirley رواية أكثر عرضة للنقد لان شارلوت برونتي وقد حاولت فيها أن تقدم صورة عن مجتمع معين في زمن معين قد تجاوزت حدود عبقريتها • وقد كتبت عملا وثيق الشبه بأعمال مسز غاسكل ، هو دراسة الصراع بين العمال وأرباب العمل في « الدائرة الغربية » ، مصورة وضع الصناعة خلال السنوات التي سبقت ١٨١٥ مباشرة • وضعف الرواية ناتج عن طبيعتها ، لان الكاتبة لم تستطع أن تعتمد على ذاتيتها كثيراً • ونجد في الاخوين مور اثنين من روتشستر ، يعوزهما التلاؤم مع الحدث والخلفية التي يجب أن تكون واقعية الى حد بعيد • وأكبر شخصياتها سناً ــ وهما المستر هلستون ، الكاهن الضيق الافق، والمستر يورك مالك مصنع يوركشير ــ قد رسما على نحو جيد ، الا أن رعاة الابرشية الثلاثة ، الذين كبحت شارلوت برونتي انطلاقهم باحتقار خاص ، كانوا ثقباً في الرواية يكشف للمرء كم هو الشعور الهزلي ضئيل عندها • والرواية

---

(١١) لقد باحت شارلوت برونتي بذلك ، على غير قصد منها ، حين قالت بلسان بطلتها جين آير لروتشستر : أنت يا سيدي أشبه الاشياء بالشبح • انك مجرد حلم • »

العاملة بكل شيء هي ثقب كذلك · فهي تشكو لنا ، وتتسمر عديما ، وتحاضر الى ما لا نهاية ومايبقى ـ وهو جدير بالاعتبار ـ انما هو تصوير بطلتي الرواية،كارولين هلستون وشيرلي كيلدر · ويفترض دائماً أن شيرلي كيلدر تمثل إملي برونتي ، ومن الممكن أن تكون كذلك ، وقد خلقت للثروة والمركز الاجتماعي · وهي في الحقيقة أشد البطلات الفيكتوريات حيوية وفتنة ؛ ولها كل مالجين آير ولوسي سنو من روح وكبرياء وفطنة ، وليس لها حسدهما وحقدهما · وقد جعلتها الثروة تتساوى مع أي رجل ، ولا تخشاه ، ولعلنا نستثني من الرجال لويس مور·

ورغم أن شيرلي فتاة ممتازة ، فانني أجد كارولين في التشويق أشد منها لطفاً· لم يكن لها مال ولا مركز ، وليست غير ابنة أخ لـ « هلستون » الذي وضعت تحت وصايته ، وانها نسل الزواج العاثر · وقد تأخذها على أنها صوت القلب لشارلوت برونتي في هذه الرواية · وهي ثائرة ، رغم أنها صامتة في الجزء الاعظم من الروايه ، ثائرة على الوضع المرسوم لنساء الطبقة الوسطى الفيكتوريات في المتزوجات · وهي تعي كذلك خرابها ، وتبحث من الحق في العمل ، الحق في الاستقلال الاقتصادي حتى ولو كان ذلك الاستقلال الذي تحظى به مربية الاطفال · ولكن ما ان تعود شيرلي الى القرية لتحيا فيها ، حتى تغدو عرلتها كأحلامها متمدرا قولها ، كما نرى حين تنبيء عمها عن رغبتها في أن تكون مربية للاطفال · يخبرها: ستذهبين الى كليف بريدج وهاك جنيهين لتشتري ثوباً جديدا ··· » ·

(« يا عم ، اريدك ان تكون اقل كرما ، واكثر ـ »

« اكثر ماذا ؟ » ·

كانت الكلمة التي على شفتي كارولين « تعاطفا » ، ولكنها لم تلفظها ، ووبخت نفسها على الفور · وكان عمها يضحك بالفعل لان تلك الكلمة اليسيرة الرخوة قد غابت عنها · ولما وجدها صامتة قال :

« الحقيقة هي انك لا تعرفين بالضبط ما تريدين · »

« حسبي أن اكون مربية أطفال · »

« يوه ! مجرد هراء ! انني لن اسمع شيئا عن تربية الاطفال ·

لا تذكري ذلك ثانية . فهو ميل مغرق في الانثوية . ولقد أنهيت فطوري ، فرني الجرس ، واخرجي كل أفكارك الغريبة من نفسك ، وعجلي وسلي نفسك . » .

سألت كارولين نفسها وهي تغادر الغرفة : « بم ؟ بلعبتي ؟ »

ان العزلة هي الجو المميز الذي ينتشر في حيوات البطلات عند شارلوت برونتي ، تلك العزلة التي لا تطاق في غالب الاحيان ؛ وعزلتهن داخل انفسهن ناشئة من الظروف وعما يتمتعن به من الحساسية والذكاء ، وهن في المحيط الخارجي مكرهات على التهام أرواحهن مترقبات متكاسلات . ومزية كارولين هلستون هي أنها أشد عمومية في تمثيل ذلك ، على حين أن « جين » و « لوسي » حالتان خاصتان . وكلهن ثائرات على ظروفهن ، وثورتهن ثورة تسوية . و هذا هو الفارق الواضح بين شارلوت برونتي والروائيات اللواتي سبقنها ؛ وأخيرتهن وهي جين أوستن Jane Austen قد قبلت كأية روائية أخرى ، ودونما جدل ، وضع النساء في عالم من صنع الرجل ؛ وانسجمن فيه . أما شخصيات شارلوت ، فلم تنسجم . وثورة كارولين ، أو اندفاع كارولين الى الثورة ، متجه بشكل جزئي نحو النواحي الاقتصادية ، ولكنه اندفاع أكبر نحو ما اكتشفته حديثا من الاحساس بالرقمة وبمراقبة الذات . ولعل مراقبة الذات في « فيليت » و « جين آير » هي في جوهرها مراقبة الذات جنسيا ، رغم أن الثورة هي جزء من كامل المرأة . وكارولين تحرك أنفسنا لاننا نحس أنها نمطية (١٢) ؛ وانها لشخصية فريدة ، بين عديد من الشخصيات ، تبدو في صورة واقعية للمجتمع . وانها لتحرك نفوسنا أكثر مما تحركها جين آير ولوسي سنو ؛ فان حدتهما العاطفية تكنس الشفقة وترميها جانبا .

وفي « فيليت » Villette عادت الى الرواية الذاتية بالكامل . ولوسي سنو تسرد قصتها ، ونحن لا نبارح فكرها أبدا . والملاحظة العامة تشير الى أن

---

(١٢) من الشخصيات النمطية والافراد راجع بحثنا « دراسة في نقد الرواية » ـ العدد ١٥٠ ـ آب ١٩٧٤ ـ من مجلة « المعرفة » .

حوادثها أدنى الى الواقعية من « جين آير » ، ولا ريب أن السبب في ذلك هو أن الاحداث الفعلية في حياتها كانت تتلاحق باحكام • وتعيد الكاتبة في العلاقة بين لوسي » و « م • بول عمانويل » علاقة التمييذة بالمعلم التي نشأت بينها وبين م • هغر » في بروكسل ، وعمانويل لما فيه من الاصالة الحية هو رجل أكثر إقناعاً من المستر روشستر رغم أنه ليس رمزا للذكورة • وهذه العلاقة هي قلب الرواية وقد وصمت كل ما يتعلق بحياة لوسي في مدرسة « مدام بك » بحدة تكاد تهدي والمنصران الآخران في الرواية ، وهما حب لوسي للدكتور جون ، ولعن لوسي جنيفرا فانشو » وعاشقها ، فانهما دون تلك العلاقة سواء من ناحية الخضوع او الاقناع والامور غير المحتملة هنا أقل منها في « جين آير » ، الا أننا نرى ازدياداً في الصلاح الخلقي عند البطلة ؛ وتبدو أشد من جين في تصلب العنق والتزمت الخالي من الفكاهة ، وتتساوى في الميزان احساساتها العاطفية مع الخلق المتمسك بالتقاليد، كما في المشهد المضحك الذي تدعي فيه لوسي للقيام بدور في مسرحية مدرسية من غير أن تعطى فرصة للاستعداد ، فترفض أن تستخدم ملابس الرجال وتزين سترتها الحطاقية بتنورة أرجوانية • وشارلوت برونتي من الناحية الفنيـــة لا تتذوق الشيء المضحك ولا تحس به أو تكتبه • ولكن هذه الشوائب هي شوائب مزاياها، ونحن نرى مزاياها عندما نتأمل في هذه الرواية تجسيدها المذهل لمدام بك الشريرة وفوق كل شيء ، وصفها الرهيب للعزلة الانسانية عندما تترك لوسي وحيـدة في المدرسة خلال العطلة مع الفتاة المعتوهة ، ويبلغ المشهد الذروة في دخول لوسي البروتستنتية مقصورة الاعتراف في كنيسة كاثوليكية ، وهي في حال من اليأس ، كيما تدمر حواجز عزلتها وتتصل بكائن انساني آخر بأي شكل •

وكي نحكم على شارلوت برونتي بين الكتاب الرومانتيكيين ، سواء أكانوا شعراء أم روائيين ، لا بد أن ننظر دائما الى الحدة التي تستجيب بهـا للحيـاة والتجربة واستجابتها شاملة وغير مألوفـة • وظهور شارلوت برونتي يمثـل شيئا جديدا في الرواية الانكليزية ، بما أدخلته من عاطفتها في الرواية • فقبلها كان لمعالجة الحب الحنسي سبيلان : سبيل الحب العاصف النادر بين الرجل وزوجته ، وسبيل الشهوة الحيوانية العارمة ، كما نجد في « توم جونز » Tom Jones

ولكن العاطفة كما عبر عنها الرومانتيكيون ، من أنها شيء يتجاوز الشهوة الحسية لانه يمزج الروحي بالجسدي ، فلم تكن معدومة من قبل • وحين يتمكن الحب بين الرجل والمرأة فان ما هو جديد في شارلوت برونتي هو بالضبط مقطع كهذا من « جين آير » •

(لم تكن رؤيتي أن انتباهه قد تركز عليهن (بعض السيدات) ، وأن في وسعي ان أحدق دون أن يلحظني احد ، بأسرع من انجذاب عيني الى وجهه على نحو غير ارادي : انني لم أستطع ان استمر في مراقبة جفنية : لقد كانا يرتفعان وتستقر الحدقة عليه • نظرت اليه ووجدت متعة حادة في النظر ـ متعة نفسية رغم انها لاذعة : هي ذهب صاف له راس فولاذي يسبب الما مبرحا : متعة كتلك التي قد يستشعر الانسان الهالك من الظما الذي يعرف أن البئر التي زحف اليها مسمومة، ورغم ذلك ينحني ويشرب منها جرعات سماوية •)

اننا لنجد في عبارات من مثل « متعة لاذعة » ؟ « ذهب صاف له رأس فولاذي يسبب الما مبرحا » ذلك التمسك باللغة للتعبير عما لا يمكن وصفه بصورة طبيعية في النثر ، ومما سوف نلقاه بعد سبعين سنة عند د • هـ• لورنس • وكما مع لورنس • فان الاستجابة ليست للحس وحده ، ولكنها لكل التجربة ، لكل العالم المعيش• وما اهتمت به شارلوت برونتي حقا في « الاستاذ The Professor» و « جين آير » و « فيليت » هو شيء واحد فقط . هو تصوير الروح الاعترالية العارية تستجيب لتجربة الحياة بأقصى الحدة • فالابتهاج أو من ناحية اخرى الالهام ، غير مادي : ان المرئي هو كل شيء • وهذا يعني أنها مختلفة عن الاخرين رغم أن تجربتها كانت من تجاربهم • وشارلوت برونتي ، في التحليل الاخير لها ، تنتمي الى المجموعة الصغيرة جدا من الروائيين أمثال دوستويفسكي ولورنس •

□ ■ □

ماهر البطوطي يشوه صورة جويس

د. محمد عصفور

حين تنشر دار كبيرة للنشر كتاباً فاننا نتوقع منها قدراً أكبر من المسؤولية التي نحملها لدور النشر التجارية التي يهمها الربح بالدرجة الاولى • فقد عودتنا دور النشر التجارية أن تعهد بالكتب الاجنبيـة لمترجمين مجهولين يلخصونهـا أو يعربونها أو يفعلون بها أي شيء الا أن يترجموها بالامانة العلمية المرتجاة • وأنا لا أعرف ان كانت دار الآداب قد كلفت السيد ماهر البطوطي بترجمة رواية جيمس جويس **صورة الفنان شابا** أو أنه ترجمها بدون تكليف وعرض ترجمتـه على دار الآداب للنظر فيها فوافقت على نشرها • في كلتا الحالتين تتحمل دار الآداب مسؤولية اصدار هذه الترجمة السقيمة لواحدة من أهم روايات القرن العشرين •

ان ترجمة جويس ليست بالامر السهل حتى على من يتقنون الانكليزية • وقد تصدى السيد ماهر البطوطي لمهمة عسيرة بدون مؤهلات كافية • والغريب أن كثيراً من أخطائه الفاضحة كان يمكن تلافيهـا لو أنه كلف نفسه عناء النظـر في قاموس جيد • لكن الخلط بين كلمات مثل Laboratory و Liberator ، و Plate و Palate و Shed و Shade لا يغتفر حتى لطالب في الثانوية ، فكيف يغتفـر لمن يتصدى لترجمة جويس ؟

لن أعلق فيما يلي على رداءة أسلوب المترجم العربي ولا على المواطن التي يمكن فيها تحسين الترجمة بزيادة الـدقة في التعبير ، وبتغيير مواضع الكلمـات ، وباقتراح الاجتهادات الشخصية ، اذ ان ذلك يعني اعادة ترجمة الكتاب • كل ما سأفعله هنا هو تصحيح الاخطاء ، مركزاً على الهام منها ، لان ادراج كل الاخطاء ، سيطيل من حجم هذه التصحيحات بشكل قد لا تسمح به صفحات المجلة • كذلك لن أنقل النص الانكليزي هنا لان ذلك سيجعل طباعـة هذه المراجعة أشبـه بالمستحيل • والنص الانكليزي على أية حال متوفر بطبعات شعبية كثـيرة لعل أيسرها طبعـة بنغوين البريطانية •

ص٨ س٨ : بدل كلمة « الحلوى » اقرأ « قطعة لتطييب رائحة الفم » ٠
س١٠ : بدل « يختلفان عن » اقرأ « هما غير » ، فالمقصود ان ستيفن كان يظن أن أباه وأمه هما والدا كل الاطفال . وان اكتشاف وجود آباء لغيره من الاطفال سوى أبيه وأمه أمر جديد عليه ٠
ص٩ س٨ـ٩ : بدل « الحرو المغطى بالملاءة » اقرأ « قطرة بالمربى » ٠
س٢٠ : بدل « كاتويل » اقرأ « كانتويل » ٠
س٢٢ : بدل « بطنك » اقرأ « مؤخرتك » ٠
ص١٠ س٢٣ : بدل « الساعي » اقرأ « كبير الخدم » ٠
ص١١ س٤ : بدل « كتاب الدكتور كورنويل لتهجي » اقرأ « كتاب التهجي للدكتور كورنويل » ٠
س٦ : بدل « دولسلي » اقرأ « ولزي » ٠
س١٢ : بدل « دفع » اقرأ « دفعه » ٠
س١٦ : بدل « بريجيت » اقرأ « بريجد » ٠
س٢١ : بدل « وأحدثت دانتي ذات مرة ضجة كبيرة بعد الغداء ووضعت يدها على فمها ٠ كان قلبها يضطرم بالغيرة » اقرأ « وعندما تجشأت دانتي بعد الغداء ووضعت يدها على فمها أدرك ستيفن أن ذلك حموضة في المعدة » ٠
ص١٢ س٢ : بدل « النهائي » اقرأ « الادنى » ٠
س٥ : بدل « شريطها الجلدي » اقرأ « خيطها القذر » ٠
س٩ : بدل « انك رضيع العريف ماك جلاد » اقرأ « انك امّعة العريف مكليد » ٠
س١١ : بدل « فيغضب » اقرأ « فيتظاهر بالغضب » ٠
س٢٣ : بدل « الجمع » اقرأ « مسائل الحساب » ٠
ص١٣ س١ : بدل « أرقاماً » اقرأ « مسألة » ٠
س٣ : بدل « الرقم » اقرأ « المسألة » ٠
س٥ : بدل « لجمع » اقرأ « الحساب » ٠

س١٣ : بدل « الحساب » اقرأ « الهندسة » •
س ٢٣ : بدل « زهور » اقرأ « ورود » • فالكلمة الاولى كلمة عامة ، أما الورود فهي بطبيعتها حمراء •
ص١٤س٢٣ : بدل « طاقات أذنية » قرأ « غضروفتي أذنية » •
ص١٦س٢ : بدل « الصف الثالث يقسم القـواعد » اقرأ « ترتيبة الثـالث يدرس القواعد » •
ص١٧س٦ : بدل « الحساب » اقرأ « الهندسه » •
س٧ : بدل « مدرسة كلوسجوز الثانوية » اقرأ « كلية كلونجور وود » •
س١٩ : بدل « سوف أصعد للجنة » اقرأ « وآمل بالجنة » •
ص١٨س٢٣ : احذف كلمة بدون ، وبدل كلمة « طاقات » اقرأ « غضروفتي » •
س٢٤ : بدل كلمة « يقف » اقرأ « الصمت » •
ص١٩س١٧ : بدل « القدر فوق النار وبها » اقرأ « ابريق الشاي فوق النـار لتحضـير » •

ص٢٠س١١ : أضف كلمة « الطريق » بعد كلمة « تكتنف » •
س١٥ـ١٩ : اقرأ ما يلي بدل الاصل :
ونتضرع اليك يا الهنا أن تزور هـذا المسكن ، وأن تطرد منـه كل أحابيل الاعداء وشراكهم ، وأن ترقد ملائكتك المقدسة متـا لتحفظنا بسـلام ، وأن تغدق علينا بركاتك دائماً عن طريق المسيح الهنا ، آمين » •
ص٢١س١٧ : بدل « يطفئوا » اقرأ يخفضوا » •
س١٨ : بدل « وهذب جوربيه في أعلى » اقرأ « جذب جوربيه من ساقيه »•
ص٢٢س١٣ : بدل « الطريق الزراعي » اقرأ « الطرق الريفية » •
س٢٠ : احذف « كما صوره خياله » لانها من عمد المترجم •
ص٢٣س٢ : بـدل « معاطف ذات أردان خضراء » اقـرأ « حبال من الاغصان الخضراء » •
س٣ : بعد كلمة « النباتات » أضف كلمتي « خضراء وحمراء » •

ص٢٤س١٩ : بدل « وليسي » اقرأ « ولزي » ·
ص٢٥س٩ : بدل « المعدة » اقرأ الامعاء » ·
ص٢٥س١٠ : بدل « وكافياً » اقرأ « كان يقصد أن يبحث » ·
ص٢٦س٦ : بدل « عليك اللعنة » اقرأ « اخرس » !
س١٩ : بدل « الحبيب » اقرأ « المحب » ·
ص٢٧س٧ : بدل « على اليمين » بعيدا عن اقرأ » على مسجدة من » ، فالاتجاه من عندنا المترجم ·
س١٤ : بدل « مقبرة فناء الكنيسة » اقرأ « مقبرة الكنيسة القديمة » ·
ص٢٨س١٨ : بدل « الالفاظ » اقرأ « الالغاز » ·
ص٢٩س١ : بدل « المعنى » اقرأ « الشيء » ·
س١٩ : بدل « في معمل المدرسة » اقرأ « أمام الزعيم المحرر » ·
ص٣٠س٣ : بدل « منهمك في حل المسائل » اقرأ « منهمك في كتابة المواضيع الانشائية » ·
ص٣١س١٠ : بدل « لامسته » اقرأ « سخنته » ·
س١٩ : بدل « أن أصابعه الثلاثة المتشنجة قد عرضت على الملكة فكتوريا كهدية » اقرأ « أن أصابعه الثلاثة قد تشنجت بينما كان يعرض على الملكة فكتوريا هدية » ·
ص٣٢س٢ : بعد كلمة « اليوم » أضف « عند الميناء » ·
س٦ : بدل « مائدة الطعام » اقرأ « البوفيه » ·
س١٢ : بدل « وجرعه » اقرأ « وشرب منه » ·

ص٣٣س١٥ــ١٨ : بدل « ونظر ستيفن الى الديك السمين الذي يتصدر مائدة المطبخ وقد فصل جناحاه وقطعت أجزاؤه · كان يعلم أن والده قد اشتراه بجنيه من سوق « دي أولير » وأن البائع قد وخزه حتى عظمة الصدر ليظهر مدى جودته » ·
اقرأ : « ونظر ستيفن الى الديك الرومي السمين الذي كان رآه على مائدة المطبخ وقد ربط جناحاه وشدت الدبابيس الماسكة

لصدره . كان يعلم أن والده قد اشتراه بجنيه من مخزن في شارع دولير وأن البائع قد ضغطه من عظمة صدره ليظهر مدى جودته ».

ص٣٣س٢٠ : بدل « انــه آلي دالي الحقيقي » اقــرأ « انه من مزرعــة آلــي دالي بحق » .

س٢١ : بدل « لماذا يسمي مستر بارت المدرس في كلونجوز التلميذ الذي يضربه بالديك الرومي » اقرأ « لماذا يسمي المستر باريت المدرس في كلونجوز عصاه التي يعاقب بها التلاميذ بالديك الرومي » ؟

ص٣٥س١ : بدل « قوانين الكنيسة » اقرأ « الخوري » .

س٣ : بدل « لا أظن أن هذا من خصاله المميزة » اقرأ « لم أكن أظنـه على مثل هذه المطنة » .

ص٦ س١٣ : بدل « مستر ديدالوس » اقرأ « سيمون » .

س١٨ : بدل « لم يكن جديراً » اقرأ « لم يعد جديراً » .

س٢١ : بدل « ويل للرجل الذي تأتي العثرة على يديه » اقرأ « ويــل للرجل الذي تصيبه الفضيحة » .

س٢٢ : بدل « من أن يعثر على أحد هؤلاء الصغار المؤمنين . هذه لغة المسيح عليه السلام » اقرأ « من أن تصيب الفضيحة أصغر عبادي وأقلهم شأناً . هذه لغة الروح القدس » .

ص٣٧س٥ : بدل « وتناول العم تشارلس » اقرأ « وقدم للعم تشارلس » .

س٨ : بدل « بالشوكة » اقرأ « بالسكين » .

س١٢ : بدل « لاني لم أقدمها له » اقرأ « لاني عرضتها عليكم » .

س٢١ : بدل « نغص علي عيد الميلاد » اقرأ « نغص عليّ عشاءعيد الميلاد».

ص٣٨س١٢ : بدل « ليس طيباً » اقرأ « ليس صواباً » .

س١٣ : بعد « فقالت دانتي » أضف « بلهجة حانقة » .

س١٩ : بدل « كالفئران في البالوعة » اقرأ « كجرذان المجاري » .

بدل : « وقد حضروا ما حدث ، حضروا ما حدث بحق الاله » ! اقرأ « بل انهم يبدون كالكلاب حقاً ! يبدون كالكلاب حقاً » !

ص٣٩س١٢ : بدل « مقاطعة ويلكو التي كانت تقع في نفس هذا المكــان الذي نحن فيه الآن » اقرأ « مقاطعة ويلكو حيث نحن الآن » .

س١٧ : بدل « نبيع أرواحنا ولا نبيع ايماننا » اقرأ « نضحي بأرواحنــا ولا نبيع ديننا » .

ص٤٠س٩ : بدل « خلال » اقرأ « من فوق » .

س١٣ : بدل « ألفانيا » اقرأ « جبال الاليغيني » .

س٢٣ : أضف تعبير « لعبة إلحق والمس » بعد كلمة « معاً »

ص٤١س٨ : بدل « وثغاء الماعز » اقرأ « والاستكار » .

س١٣ : بدل « لوكس » اقرأ « فوكس » .

س٢٠ : أضف كلمة « على » بعد كلمة « أطلقت » .

ص٤٢س٢٢ : بدل « أرض الاحتفالات » اقرأ « المنتزه العام » .

ص٤٣س١١ : بدل « سقف بيته » اقرأ « مائدة طعامه » .

س٢٣ : بدل « الكاثوليكية » اقرأ « الكاثوليك » .

ص٤٤س٩ : بدل « يديه المنقبضتين » اقرأ « يده المنقبضة » .

س١٤ : بدل « أستار » اقرأ « تسيج » .

ص٤٥س٢٠ : بدل « واشترك الجميع في ذلك » اقــرأ « وتقاسموا النقود فيما بينهــم » .

س٢١ : بدل « استطاعوا » اقرأ « جرؤوا » .

س٢٢ : بدل « انك تعرف قسماً كبيراً من الموضوع يا تندر » اقرأ « انك لا تعرف شيئاً من الموضوع يا تندر » .

ص٤٦س١ : بدل « ليس لي أن أفشي ذلك » اقرأ « قيل لي الا أفعل ذلك » .

س٤ـ٥ : بدل « يحتفظون به على أحد الرفوف في أحد المقدسات » اقــرأ « يحتفظون به في خزانة الموهف » ، أي غرفة المقدسات .

س١٩ : بدل « رفعها عالياً » اقرأ « أرجحها » أو « جعلها تتأرجح » .

ص٤٧س٩ : بدل « كان التلاميذ يلعبون بالكرة ويسددون الضربات على امتداد

أرض الملعب » اقرأ « كان التلاميذ يتدربون على الرميات الطويلة والتحتية والدوارة على امتداد أرض الملعب » .

ص٤٧س١٢ : بدل « القدح » اقرأ « الحوض » .
س٢٤ : بدل « ألا تمشوا » اقرأ « ألا تتصاهروا بأنكم تعرفون » .
ص٤٨س٨ : بدل « يفعلون شيئاً مخفياً » اقرأ « يتجملون » .
س١٤ : بدل « كان بعض تلاميذ الفريق الخامس عشر لكرة القدم » اقرأ « كان أعضاء فريق كرة القدم الخمسة عشر » .

ص٥١س٤ : بدل « لتضرب على » اقرأ « واكشف عن » .
س١١ : بدل « مدو » اقرأ « حاد » ـ كيف يكون الصفير مدوياً ؟
س٢٠ : بدل « أردان » اقرأ « كُمّي » .

ص٥٢س١ : بدل « المدوي » اقرأ « الحاد » .
س٦ـ٧ : بدل « اجمع » اقرأ « هيا ادخلوا » .
س١٧ : بدل « تلاميذ الصف الاعلى » اقرأ « التلاميذ الكبار » .
س٢٣ : بدل « يغني أول جزء بنفسه مع الكورس » اقرأ « يغني أول جزء لوحده في منصة المرتلين » .

ص٥٣س١٧ : بدل « الواجبات » اقرأ « الانشاء » .
ص٥٤س٥ : بدل « أقصى » اقرأ « وسط » وبدل « أبله » اقرأ « أكسل » ـ هناك فرق شاسع بين البلادة والكسل .
س١٣ : بدل « أم يكون قد تعود على الغضب ؟ » اقرأ « أم تراه يتظاهر بالغضب » ؟

ص٥٥س٤ : بدل « ألا يوجد أحد هنا يستحق » اقرأ « هل من راغب بالضرب » .
ص٥٧س١٠ : احذف كلمة « بعصاه » .
س٢٢ : بدل « المجلجل » اقرأ « الواخز » .
ص٥٩س٦ : بدل « الواجبات » اقرأ « المواضيع » .

س١٢ : بدل « في الصفوف » اقرأ « مصطفين » .
س٢٢ـ٢٣ : اقرأ ما يلي بدل الاصل : « لا لم أكن لاتحمل هذا من ذلك الاصلع أو من أي أصلع آخر ' انها فعلة دنيئة ... »

ص٦٠س١٥ : بدل « شخص عظيم قرأ عنه في كتب التاريخ » اقرأ « شخص عظيم رأسه مصدّر في كتب التاريخ » .

ص٦١س٢ : بدل « أن يواصل السير ليس خارج الردهة بل الى الدور الاعلى على اليمين » اقرأ « أن يواصل السير ليس نحو الردهة بل نحو الدرج الواقع الى اليمين » .

ص٦٣س٣ : بدل « قديسين ورجال الجزويت » أقرأ « قديسي ... »
س٥ : بدل « اكسافير » اقرأ « زافيير » .
س٧ : بدل « ستانيلوس » اقرأ « ستنيسلاوس » .
س١١ : بدل « وخرج الى مهبط الدرج » اقرأ « ثم وصل الى أعلى الدرج».
س١٥ : بدل « مهبط » اقرأ « أعلى » .

ص٦٤س٢ : بدل « حسناً أيها الرجل الصغير » اقرأ « حسناً يا بني » .
س١٣ : بدل « لم أكن أحل واجبي » أقرأ « لم أكن أكتب موضوعي » .

ص٦٦س١٤ : بدل « على شكل حلقة » اقرأ « على شكل مربع » .
س١٨ : بدل « القس » اقرأ الاصلع » .
س٢١ : بدل « لم يكن بأي حال مزهوا بما فعله بالاب دولان » اقرأ « لن يتصرف يزهو أمام الاب دولان » .

ص٦٧س٥ : بدل « يتدربون على قذف الجلة الطويل وعلى لعب الكرة والمقعد البطيء » اقرأ « يتدربون على الضربات الطويلة والرميات التحتية والدورات البطيئة في لعبة الكريكت » .

د . محمد عصفور
الجامعة الاردنية

■ الولايات المتحدة الامريكية

حياة ايفي كمبتون برنت

تأليف : اليزابيث سبرغ

أصدقاؤنا هم الذين يعملون على كشف أسرارنا بعد موتنا ، وهم الذين يطلعوننا على حقيقتنا ، ذلك أننا نمكنهم من الدخول الى عالمنا والتجول في جناتنا المحرمة . هذا ما فعلته اليزابيث سبرغ ، في كتابها حول « ايفي كمبتون برنت » فقد دخلت حياتها كصديقة حميمة ، لتصور لنا تلك الحياة من الداخل تصويرا حقيقيا ، لا لبس فيه ولا غموض ، ولا مراوغة . مركزة على الكثير من الجوانب الذاتية لتلك الروائية :

« لن أتحدث عن مؤلفات ايفي »

وتضيف :

« لقد عرضت عليها ذات يوم مسودة لمحاضرة حول رواياتها كنت أنوي القاءها، فابتسمت ، وأطرقت متمتمة » نعم ، . نعم .. نعم .. انك هنا تطلعين الناس على بعض التفاصيل الحياتية التي لم تكن معروفة لديهم من قبل »

وتكملة للحوار الذي بدأته بالمحاضرة ، أعدت اليزابيث سبرغ هذا الكتاب ليكون ترجمة حياة ، أكثر من كونه كتابا متعلقا بالناحية الادبية لتلك الروائية المبدعة .

ولدت « أيفي » عام ١٨٨٤ ، كاخت لخمسة أخوة من أم ثانية وشقيقةكبيرة لسبعة أخوة آخرين ، فقد كانت بكر أمها - زوجة أبيها الثانية التي تزوجها والدها بعد منتصف العمر ، بعد وفاة زوجته الثانية • ولم يكن والد ايفي الا طبيباً ميسور الحال ، لكن مجرد اعالته لاسرتين كبيرتين أرهقه كثيرا وادى به في نهاية الامر ، الى العوز والفقر • أما والدتها فقد كانت كما تقول « ايفي » :

« كانت تحبنا ، ولكن ذلك الحب لم يكن حبا عاديا »

واذا ما تجاوزنا كلا من الاب والام الى الاخوة والاخوات ، فاننا نستطيع أن نرسم الدائرة التي ستدور خلالها حياة « ايفي » فان واحدة من اخواتها الثماني لم تتزوج ، كما أن أخاها الوحيد « نويل » الذي كانت تحبه حبا عظيما • قد مات مقتولا في فرنسا •

بعد ذلك تنتقل بنا الكاتبة الى حياة « ايفي » الخاصة في لندن حيث عاشت مع احدى النساء الشهيرات في لندن ، في شقة واحدة أكثر من ٣٢ عاماً ، واستطاعت تلك المرأة أن تسلط بعض الاضواء على حياة « ايفي » • لكن المهم في تلك الحياة ، أن العلاقة بين هاتين المرأتين كانت مبنية على رابط جنسي بحت ، اذ كانتاتتعايشان مع بعضهما البعض معايشة الازواج هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقدكانت ايفي منفتحة في علاقاتها مع أصدقائها الى درجة كبيرة ، اذ كانت تتحدث عن كل شيء بصراحة وجرأة •

تقول « اليزابيث سبرغ » :

« كانت ايفي تضع منديلها في رباط جواربها الطويلة ، في حضرة أصدقائها المقربين ، وكانت اذا ما أرادت استعمال ذلك المنديل تضطر الى حل رباط جواربها، والكشف عن ساقيها » •

كما أن معظم مكالماتها التلفونية مع هؤلاء الاصدقاء ، كانت مكالمات فاحشة ، ولم تكن « ايفي » لتضع التلفون ، أو تنلق الخط • ولم تكن لتخجل من استمرار تلك المكالمات لمدة طويلة •

أما الاصدقاء فقد كانوا يحضرون الساعة الرابعة بعد ظهر كل يوم ليجدوا كل شيء في انتظارهم •

والسر الكبير الذي تكشفه « اليزابيث سبرغ » حول مؤلفات « ايفي » أن « ايفي » كتبت معظم رواياتها ومؤلفاتها بعد عام ١٩٢٥ ، حيث لم يستغرق ذلك أكثر من ثلاثة أعوام ، من عمرها ، معتمدة في ذلك على رسم الصور الحقيقية للواقع الذي تعيش فيه ، ذلك أنها تتفق مع ي • م فورستر ، أن لا مجال للخيال وان في ما يحيط بنا ، أشياء كثيرة ، تنتظر من يستطيع التعبير عنها •

□ ■ □

عالم لا محدود ، حقاً

تاليف : جيمي برسلين

لم يشتهر مؤلف هذه الرواية كروائي ، الا بعد ظهور روايته هذه ، بالرغم من انه كان قد أصدر في وقت سابق رواية أخرى • ذلك أن تلك الرواية لم تستطع أن تثبت وجودها ، ولم تستطع بالتالي ، أن تركز أقدام مؤلفها « برسلين » على أرض الرواية الامريكية •

وبالرغم من ضياع تلك الرواية بين ذلك الركام الهائل من الانتاج الادبي والفكري الغربي ، فان برسلين لم يضع بضياعها ، وانما بقي صحفيا متألقا ، صاحب زاوية يومية في احدى الصحف ، ومحررا ممتازا في احدى المجلات •

وقد كان طوال تلك الفترة ، الواقعة بين صدور روايتـه الاولى ، وهـذه الرواية ، يعد العدة ، من أجل انتاج رواية جديدة يستطيع أن ينطلق من خلالها الى عالم الرواية الرحب الواسع ،وقد تم له ذلك ،حين التقط بطل روايته « ديرموت داي » الشرطي الايرلندي ، السكير ، الظالم ، المرتشي ، من احد شوارع نيويورك ليلقي به على ساحة ايرلندا الجنوبية ، التي تسيطر عليها تعاليم لينين ، وتشي ، وماو ، وبعض المفكرين اليساريين الآخريـن ، مظهراً تأثير هذه الساحة على بطل قصته •

يقول :

« أن هذه التعاليم زرعت في قلب « ديرموت داي « الرعب والكره » وما هو داي في الفصل الثاني من الرواية يدور في شوارع بلفاست ، حاملا حبه العظيم

للكاثوليكية ، حاقداً على أولئك البروتستانت الذين اغتالوا امرأة وسط الشارع ، برصاصة حاقدة ، وها هو الكاتب يسير وراء بطل قصته كالظل ، راسما بكلماته الصورة الكاملة لتلك الساحة ، وذلك البطل ، ــ من وجهة نظر غربية ــ ٠

يقول الكاتب :

« أن « دافي » وزوجته مثلهما ، مثل أولئك الناس الذين يعيشون في تلك الساحة ، غير قادرين على ممارسة الجنس ، لا وقت للجنس سبعة أيام بلياليها ، أمرقت من عمريهما دون أن يقترب أحدهما من الاخر ، لا مجال لمناقشة مثل هذه الاشياء ، كل ما يجب عليهما أن يقوما به ، هو أن يحاربا من خلال الملصقات ، أو من خلال مجلات الحائط » ٠

وبعيداً عن التكنيك الروائي ، واللغة الروائية ، والخط الروائي للرواية ، نحاول هنا أن نسجل ملاحظتين هامتين :

أولا :أن الصبغة الصحفية تطبع الرواية بطابعها الخاص ٠خاصة وان الرواية لا تعتمد على الخيال ، بقدر اعتمادها على التسجيل الواقعي للاحداث ٠ حيث نجد أن التمازج من الشدة بين الحدث الصحفي والحدث الروائي التسجيلي ٠

ثانيا : أن خيوط الاحداث كلها تصب في مصب واحد ، وهو التعصب الكامل لوجهة النظر الغربية من الثورة في ايرلندا ، مما يؤدي الى جعل بعض المواقف الواردة في الرواية ، مواقف هشة ، لا تستطيع الصمود طويلا ، وهذا ما يظهر من خلال اختياره لبطل الرواية ٠ ومن خلال القول دون دليل ثابت أن « بطل الرواية يكره تلك الافكار التي يحاولون حقنه بها » ٠

ونسأل بعد ذلك :

هل تقلل تلك الملاحظات من قيمة الرواية كعمل روائي ؟؟

النقاد في العالم الغربي ، يعتبرون هذه الرواية ، عملا روائيا ناجحا تمكن صاحبها من تخطي العمل الصحفي والانطلاق نحو أرض الرواية اللامحدودة ٠

اعداد : محمد القاهر ــ الأردن